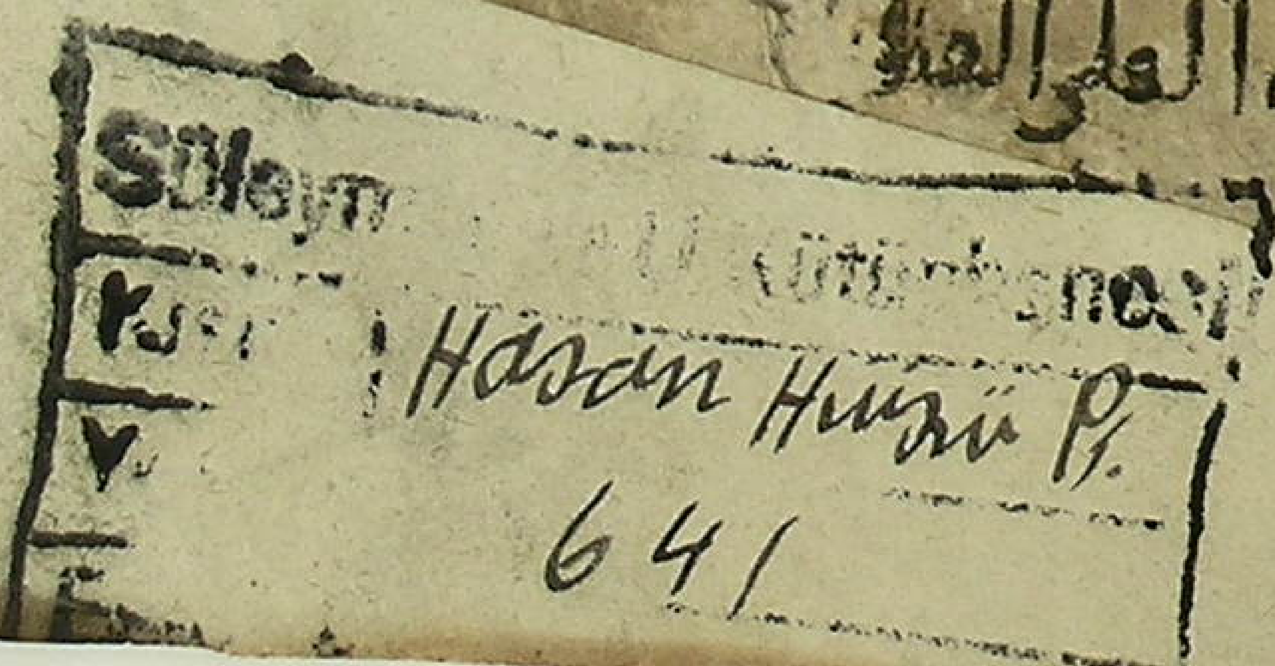


كتاب الداء والدواء تصنيف الشيخ الامام
العالم العلامه شيخ الاسلام ومفتي المسلمين
شمس الدين محمد ابن ابي بكر ابن ايوب امام المدرسة
الجوزيه رحمه الله تعالى ورضي عنه عز بن النفس
من طلب القناعه ولم يكتنف لمخلوق قناعه افا
دتني القناعه كل عز واي عز اعز من القناعه
وصير بعدها التقوي بضاعه فتظفر بالجنان بصبر
ساعه بسم الله الرحمن الرحيم اذا اردت
ان تاخذ فال انسان تخذ من القران العظيم من سابع
سطر بعتمد على اول حرف من سابع سطر فالانبيا والرسل
عليهم السلام كانوا ايتفا ولون خيره كتبت
وقد ابقنت يوم كتبته بان يدي تبلى ويبقا كتابها
ايا قاري الخط الذي قد كتبته تفكر في بليك وما
قد اصابها وبعد ذالك اقول استغفر الله من جميع
الذنوب فانه حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم



بسم الله الرحمن الرحيم ما تقول السادة العلماء ائمة الدين
رضي الله عنهم اجمعين في رجل ابتلي ببلية وعلم انها ان استمرت
به افسدت دنياه واخرته وقد اجتهد في دفعها عن نفسه
بكل طريق فما يزداد الا توقدا وشدة فما الحيلة في دفعها وما الطريق
الى كشفها فرحم الله من اعان مبتلى والله في عون العبد ما كان
في عون اخيه افتونا ماجورين يرحمكم الله فاجاب الشيخ
الامام العالم شيخ الاسلام مفتي المسلمين شمس الدين ابو عبد الله
محمد ابن ابي بكر ابن ايوب امام المدرسة الجوزية رحمة الله
عليه ورضي الله عنه الحمد لله ثبت في صحيح البخاري من حديث
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما انزل الله داء الا انزل
الله له شفا وفي صحيح مسلم من حديث جابر ابن عبد الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل داء دوا فاذا اصيب دواء الداء
برا باذن الله وفي مسند الامام احمد من حديث اسامة ابن زيد عن
انس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله لم ينزل داء الا انزل
له شفا علمه من علمه وجهله من جهله وفي لفظ ان الله لم يضع
داء الا وضع له شفاه ودوي الادواء واحدا قالوا يا رسول الله
ما هو قال الهرم قال الترمذي هذا حديث صحيح وهذا يعم

٢

بعم دا القلب والروح والبدن وادويتها وقد جعل النبي صلى الله
عليه وسلم الجهل داء وجعل دواه سوال العلما فروى ابو داوود
في سننه من حديث جابر ابن عبد الله قال خرجنا في سفر فاصاب
رجلا منا حجر فشجه في راسه ثم احتلم فسال اصحابه فقال هل
تجدون لي رخصة في التيمم قالوا ما نجد لك رخصة وانت
تقدر على الما فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سالوا اذا لم
يعلموا فانما شفا العي السوال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر
او يعصب على جرحه ثم يمسح عليه ويغسل ساير جسده فاخبر
ان الجهل دا وان شفاءه السوال وقد اخبر سبحانه عن
القران انه شفا فقال تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا
لولا فصلت اياته ااعجمي وعربي قل هو للذين امنوا هدى وشفا
وقال وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين ومن
ها هنا لبيان الجنس لا للتبعيض فان القران كله شفا كما قال في
الاية الاخرى يا ايها الناس قد جاتكم موعظة من ربكم وشفا
لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين فهو شفا القلوب
من دا الجهل والشك والريب فلم ينزل الله سبحانه من السما شفا

جهل دا

قطاعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الداء من القران وقد ثبت
في الصحيحين من حديث ابي سعيد قال انطلق نفر من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من
احيا العرب فاستضافوهم فابوا ان يضيفوهم فلدغ سيد ذلك
الحي فسعوا له بكل شي فلم ينفعه شي فقال بعضهم لو اتيتم هولا الرهط
الذين نزلوا لعل ان يكون عند بعضهم شي فاتوهم فقالوا ايها الرهط
ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شي فلم ينفعه شي فهل عند احد
منكم من شي فقال بعضهم نعم والله اني لارقي ولكن والله لقد استضفناكم
فلم تضيفونا فما انا براق حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع
من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرا الحمد لله رب العالمين فكانما
نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبة قال فاوفوهم جعلهم الذي
صالحوهم عليه فقال بعضهم اقسموا فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى
ناتي النبي صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما يامرنا
فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال
وما يدريك انها رقية ثم قال قد اصبتم اقسموا واضربوا لي معكم
سهما وضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقد اثر هذا الدوا في هذا الداء
وازاله حتى كان لم يكن وهو اسهل دوا وايسره ولو احسن

العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تاثيرا عجيبا في الشفا ومكثت
بمكة مدة يعتريني ادوا ولا اجد طبيبا ولا دوا فكنت اعالج
نفسي بالفاتحة فارى لها تاثيرا عجيبا فكنت اصف ذلك لمن يشتكي
الما فكان كثير منهم يبرا سريعا ولكن ههنا امر ينبغي التفطن
له وهو ان الاذكار والايات والادعية التي يستشفى بها
ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول
المحل وقوة همة الفاعل وتاثيره فمتى تخلف الشفا كان لضعف
تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل او لمانع قوي فيه
يمنع ان ينجح فيه الدوا كما يكون ذلك في الادوية والا
دوا الحسية فان عدم تاثيرها قد يكون لعدم قبول
الطبيعة لذلك الدوا وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه
اثره فان الطبيعة اذا اخذت الدوا بقبول تام كان انتفاع
البدن بحسب ذلك القبول وكذلك القلب اذا اخذ الرقى
والتعاويذ بقبول تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة موثرة
اثر في ازالة الداء وكذلك الدعا فانه من اقوى الاسباب في
دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف اثره عنه
اما لضعفه في نفسه بان يكون دعا لا يحبه الله لما فيه من

العدوان واما الضعف القلب وعدم اقباله على الله وجمعيته
عليه وقت الدعا فيكون بمنزلة القوس الرخو جدا فان السهم
يخرج منه خروجا ضعيفا واما لحصول المانع من الاجابة من
اكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب واستيلا
الغفلة والسهو واللهو وغلبتها كما في صحيح الحاكم من حديث
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادعوا الله وانتم موقنون
بالاجابة واعلموا ان الله لا يقبل دعا من قلب غافل لاه فهذا
دوا نافع مزيل للدا ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته
وكذلك اكل الحرام يبطل قوته او يضعفها كما في صحيح مسلم
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها
الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به
المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني
بما تعملون عليم وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السما يا رب
يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي
بالحرام فانى يستجاب لذلك وذكر عبد الله ابن احمد في كتاب الزهد
لابيه اصاب بني اسرائيل بلا فخرجوا مخرجا فاوحى الله عز وجل

الى

الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الى الصعيد بابدان
نجسة وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدما وملاتم بها بيوتكم
من الحرام الان اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا
وقال ابو ذر يكفي من الدعا مع البر ما يكفي الطعام من الملح

فصل والدعا من انفع الادوية وهو عدو البلا يد
فعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه وهو سلاح
المومن كما روى الحاكم في صحيحه من حديث علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعا
سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والارض وله
مع البلا ثلاث مقامات احدها ان يكون اقوى من البلا
فيدفعه الثاني ان يكون اضعف من البلا فيقوى عليه
البلا فيصاب به العبد ولكن قد يخففه وان كان ضعيفا
الثالث ان يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه وقد روى
الحاكم في صحيحه من حديث عائشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يغني حذر من قدر والدعا ينفع مما نزل
ومما لم ينزل وان البلا لينزل فيتلقاه الدعا فيعتلجان الى يوم
القيامة وفيه ايضا من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم

رضي الله عنه

قال الدعا ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء
وفيه ايضا من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يرد القدر الا الدعا ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل
ليحرم الرزق بذنب يصيبه **فصل** ومن انفع الا
دوية الالحاح في الدعا وقد روي ابن ماجه في سننه من حديث
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسال
الله يغضب عليه وفي صحيح الحاكم من [illegible] حديث انس عن
النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجزوا في الدعا فانه لا يهلك مع الدعا
احد وذكر الاوزاعي عن الزهري عن عروة عن عايشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الملحين في الدعا وفي
كتاب الزهد للامام احمد عن قتادة قال قال مورق ما
وجدت للمومن مثلا الا رجلا في البحر على خشبة فهو يدعو يارب
يارب لعل الله عز وجل ان ينجيه **فصل** ومن الافات التي
تمنع ترتب اثر الدعا عليه ان يستعجل العبد ويستبطي الاجابة
فيستحسر ويدع الدعا وهو بمنزلة من بذر بذرا او غرس غرسا
يتعاهده ويسقيه فلما استبطا كماله وادراكه تركه واهمله وفي
صحيح البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم
يستجب لي وفي صحيح مسلم عنه لا يزال يستجاب للعبد ما لم
يدع باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله
(وما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد)
دعوت فلم ار يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء
وفي مسند الامام احمد من حديث انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل
قالوا يا رسول الله كيف يستعجل قال يقول قد دعوت ربي
فلم يستجب لي **فصل** واذا جمع مع الدعا حضور
القلب وجمعيته بكليته على المطلوب وصادف وقتا
من اوقات الاجابة الستة وهي الثلث الاخر من الليل وعند
الاذان وبين الاذان والاقامة وادبار الصلوات المكتوبات
وعند صعود الامام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة
واخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم وصادف خشوعا
في القلب وانكسارا بين يدي الرب وذلا له وتضرعا
ورقة واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة ورفع
يديه الى الله وبدا بحمد الله والثنا عليه ثم صلى على محمد
عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم قدم بين يدي حاجته

التوبة والاستغفار ثم دخل على الله والح عليه في المسألة وتملقه
ودعاه رغبة ورهبة والتوسل اليه باسمائه وصفاته
وتوحيده وقدم بين يدي دعائه صدقة فان هذا الدعاء
لايكاد يرد ابدا ولاسيما ان صادف الادعية التي اخبر النبي
صلى الله عليه وسلم انها مظنة الاجابة او انها متضمنة للاسم الاعظم
فمنها ما في السنن وصحيح ابن حبان من حديث عبد الله ابن
بريدة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول
اللهم اني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم
يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال لقد سال الله بالا
سم الاعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب وفي لفظ
لقد سال الله باسمه الاعظم وفي السنن وصحيح ابن حبان ايضا
من حديث انس ابن مالك انه كان مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم جالسا ورجل يصلي ثم دعا فقال اللهم اني اسالك بان لك
الحمد لا اله الا انت المنان بديع السماوات والارض ياذا الجلال
والاكرام يا حي يا قيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله
باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى واخرج
الحديثين الامام احمد في مسنده وفي جامع الترمذي من حديث
اسما

اسما بنت يزيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم
في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
وفاتحة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم قال
الترمذي حديث حسن صحيح وفي مسند الامام احمد وصحيح
الحاكم من حديث ابي هريرة وانس ابن مالك وربيعة ابن
عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الظوا بياذا الجلال
والاكرام يعني تعلقوا بها والزموها وداوموا عليها وفي جامع
الترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا اهمه الامر رفع راسه الى السما واذا اجتهد
في الدعا قال يا حي يا قيوم وفيه ايضا من حديث انس ابن مالك
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر قال يا حي يا قيوم
وفيه ايضا من حديث انس ابن مالك قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم يقول يا حي يا قيوم برحمتك استغيث وفي صحيح الحاكم
من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسم الله
الاعظم في ثلاث سور من القرآن البقرة وآل عمران وطه
فالتمستها فاذا هي اية الحي القيوم وفي جامع الترمذي وصحيح
الحاكم من حديث سعد ابن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال دعوة ذي النون اذ دعا وهو في بطن الحوت لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين انه لم يدع بها مسلم في شيء قط الا
استجاب الله له قال الترمذي حديث صحيح وفي صحيح الحاكم
ايضا من حديث سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم
بشيء اذا نزل برجل منكم هم قد غابه يفرج الله عنه قالوا بلى يا رسول
الله قال دعا ذي النون وفي صحيحه ايضا انه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقول هلا ادلكم على اسم الله الاعظم قالوا بلى يا رسول الله
قال دعا يونس فقال رجل يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة
فقال الا تسمع قوله تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك
ننجي المومنين وايما مسلم دعا بها في مرضه اربعين مرة فمات في
مرضه ذلك اعطي اجر شهيد وان برا برا مغفورا له وفي الصحيح
من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول
عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش الكريم لا اله
الا الله رب السماوات ورب الارض رب العرش الكريم وفي مسند
الامام احمد من حديث علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال علمني
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل بي كرب ان اقول لا اله الا
الله الحليم الكريم سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد

لله رب العالمين وفي مسنده ايضا من حديث عبد الله ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا قط هم ولا
حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك
ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسالك اللهم بكل اسم هو لك
سميت به نفسك او علمته احدا من خلقك او انزلته في كتابك
او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القران العظيم
ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي
الا اذهب الله عز وجل همه وحزنه وابدله مكانه فرجا
فقيل يا رسول الله الا نتعلمها قال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها
وقال ابن مسعود ما كرب نبي من الانبيا الا استغاث بالتسبيح
وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب [illegible] المجابين في الدعا عن الحسن
قال كان رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار يكنا
ابا معلق وكان تاجرا متجر بمال له ولغيره ويضرب به في الافاق
وكان ناسكا ورعا فخرج مرة فلقيه لص مقنع في السلاح
فقال له ضع ما معك فاني قاتلك قال ما تريد الا دمي شانك
بالمال قال اما المال فلي ولست اريد الا دمك قال اما اذا ابيت
فذرني اصلي اربع ركعات قال صل ما بدا لك فتوضا ثم صلى اربع

ركعات فكان من دعائه في آخر سجدة ان قال يا ودود يا ذا
العرش المجيد يا فعال لما يريد اسالك بعزك الذي لا يرام وملكك
الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ اركان عرشك ان تكفيني
شر هذا اللص يا مغيث اغثني ثلاث مرات فاذا هو بفارس قد
اقبل بيده حربة قد وضعها بين اذني فرسه فلما ابصره اللص
اقبل نحوه فطعنه فقتله ثم اقبل اليه فقال قم فقال من انت بابي
انت وامي فقد اغاثني الله بك اليوم قال انا ملك من اهل السماء
الرابعة دعوت بدعائك الاول فسمعت لابواب السماء قعقعة
ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لاهل السماء ضجة ثم دعوت
بدعائك الثالث فقيل لي دعاء مكروب فسالت الله ان يوليني قتله
قال الحسن من توضا وصلى اربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب
له مكروبا كان او غير مكروب **فصل** وكثيرا ما تجد ادعية
دعا بها قوم فاستجيب لهم ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة
صاحبه واقباله على الله او حسنة تقدمت منه جعل الله
اجابة دعوته شكرا لحسنته او صادف وقت اجابة ونحو ذلك
فاجيبت دعوته فيظن الظان ان السر في لفظ الدعاء فياخذه
مجردا عن تلك الامور التي قارنته من ذلك الداعي وهذا كما

اذا استعمل رجل دواء نافعا في الوقت الذي ينبغي على الوجه
الذي ينبغي فانتفع به فظن غيره ان استعمال هذا الدواء
بمجرده كاف في حصول المطلوب كان غالطا وهذا موضع
يغلط فيه كثير من الناس ومن هذا قد يتفق دعاؤه باضطرار
عند قبر فيجاب فيظن الجاهل ان السر للقبر ولم يعلم ان السر للا
ضطرار وصدق اللجا الى الله فاذا حصل ذلك في بيت من بيوت
الله تعالى كان افضل واحب الى الله **فصل** والادعية
والتعوذات بمنزلة السلاح والسلاح بضاربه لا بحده فقط فمتى
كان السلاح سلاحا تاما لا آفة به والساعد قوي والمانع مفقود
حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاث
تخلف التاثير فاذا كان الدعاء في نفسه غير صالح او الداعي لم يجمع
بين قلبه ولسانه في الدعاء او كان ثم مانع من الاجابة لم يحصل
الاثر **فصل** وها هنا سؤال مشهور وهو ان المدعو
به ان كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه دعا به العبد او لم
يدع به وان لم يكن قد قدر لم يقع سواء ساله العبد او
لم يساله فظنت طائفة صحة هذا السؤال فتركت الدعاء وقالت
لا فائدة فيه وهؤلاء مع فرط جهلهم وضلالهم متناقضون

فنظر من فهم يوجب تعطيل جميع الاسباب فيقال لاحدهم
ان كان الشبع والري قد قدر ذلك فلابد من وقوعهما اكلت
او لم تاكل وان لم يقدر ذلك لم يقعا اكلت او لم تاكل وان كان الولد
قد قدر ذلك فلابد منه وطيت الزوجة والامة او لم تطا فان
لم يقدر ذلك فلم يكن فلا حاجة الى التزويج والتسري وهلم جرا
فهل يقول هذا عاقل او ادمي بل الحيوان البهيم مفطور على مبا
شرة الاسباب التي بها قوامه وحياته فالحيوان اعقل وافهم
من هولاي الذين هم كالانعام او اضل سبيلا وتكايس بعضهم وقال
الاشتغال بالدعا من باب التعبد المحض يثيب الله عليه الداعي
من غير ان يكون له تاثير في المطلوب بوجه ما ولا فرق عند هذا
الكيس بين الدعا وبين الامساك عنه بالقلب واللسان في
التاثير في حصول المطلوب وارتباط الدعا عندهم به كارتباط
السكوت ولا فرق وقالت طايفة اخرى اكيس من هولا بل الدعا
علامة مجردة نصبها الله تعالى امارات على قضا الحاجة فمتى
وفق العبد للدعا كان ذلك علامة له وامارة على ان حاجته
قد قضيت وهذا كما اذا رايت غيما اسود باردا في زمن الشتا فان
ذلك دليل وعلامة على انه يمطر قالوا وهكذا حكم الطاعات

مع

مع الثواب والكفر والمعاصي مع العقاب هي امارات
محضة لوقوع الثواب والعقاب لا انها اسباب له وهكذا
عندهم الكسر مع الانكسار والحرق مع الاحراق والازهاق
مع القتل ليس شي من ذلك سببا البتة ولا ارتباط بينه وبينه
الا بمجرد الاقتران العادي لا التاثير السببي وخالفوا
بذلك الحس والعقل والشرع والفطرة وساير طوايف العقلا
بل اضحكوا عليهم العقلا والصواب ان ها هنا قسما ثالثا غير
ما ذكره السايل وهو ان المقدر قدر باسباب ومن اسبابه
الدعا فلم يقدر مجردا عن سببه ولكن قدر بسببه فمتى اتى العبد
بالسبب وقع المقدور ومتى لم يات بالسبب انتفى المقدور وهذا
كما قدر الشبع والري بالاكل والشرب وقدر الولد بالوطي وقدر
حصول الزرع بالبذر وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه وكذلك
قدر دخول الجنة بالاعمال ودخول النار بالاعمال وهذا القسم
هو الحق وهو الذي حرمه السايل ولم يوفق له وحينئذ فالدعا
من اقوى الاسباب فاذا قدر وقوع المدعو به بالدعا لم يصح
ان يقال لا فايدة في الدعا كما يقال لا فايدة في الاكل والشرب
وجميع الحركات والاعمال وليس شي انفع من الدعا ولا ابلغ في حصول

من الاسباب

المطلوب ولما كانوا الصحابة رضي الله عنهم اعلم الامة بالله ورسوله
وافقههم في دينه كانوا اقوم بهذا السبب وشروطه واادابه من
غيرهم وكان عمر رضي الله عنه يستنصر به على عدوه وكان
اعظم جنديه وكان يقول لاصحابه لستم تنصرون بكثرة وانما
تنصرون من السما وكان يقول اني لا احمل هم الاجابه ولكن هم
الدعا فاذا الهمت الدعا فان الاجابة معه واخذ الشاعر
هذا فنظمه فقال لو لم ترد نيل ما ارجوا واطلبه من جود
كفيك ما علمتني الطلبا. فمن الهم الدعا فقد اريد به الاجابة
فان الله سبحانه وتعالى يقول ادعوني استجب لكم وقال واذا سالك
عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني وفي سنن
ابن ماجة من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من لم يسال الله يغضب عليه وهذا يدل على ان رضاه
في سواله وطاعته واذا رضي الرب تبارك وتعالى فكل خير
في رضاه كما ان كل بلا ومصيبة في غضبه وقد ذكر الامام احمد
في كتاب الزهد اثرا انا الله لا اله الا انا اذا رضيت باركت وليس
لبركتي منتهى واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد
وقد دل العقل والنقل والفطر وتجارب الامم على اختلاف

اجناسها ومللها ونحلها على التقرب الى رب العالمين وطلب
مرضاته والبر والاحسان الى خلقه من اعظم الاسباب الجالبة
لكل خير واضدادها من اكبر الاسباب الجالبة لكل شر
فما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه بمثل طاعته والتقرب
اليه والاحسان الى خلقه وقد رتب الله سبحانه حصول
الخيرات في الدنيا والاخرة وحصول الشرور في الدنيا
والاخرة في كتابه على الاعمال ترتب الجزا على الشرط والمعلول
على العلة والمسبب على السبب وهذا في القران يزيد على الف
موضع فتارة يرتب الحكم الخبري الكوني والامر الشرعي على
الوصف المناسب له لقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم
كونوا قردة خاسين وقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم وقوله
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وقوله ان المسلمين
والمسلمات الى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله
لهم مغفرة واجرا عظيما وهذا كثير جدا وتارة يرتبه عليه
بصيغة الشرط والجزا كقوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
ويكفر عنكم سياتكم ويغفر لكم وقوله فان تابوا واقاموا الصلاة
فاخوانكم في الدين وقوله وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم

ماغفلنا ونظايره وتارة ياتي بلام التعليل كقوله ليدبروا اياته
وليتذكر اولوا الالباب وقوله لتكونوا شهدا على الناس وتارة
ياتي باداة كي التي للتعليل لقوله كي لا يكون دولة بين الاغنيا
منكم وتارة ياتي بيا السببية كقوله ذلك بما قدمت ايديكم وقوله
بما كنتم تعملون وقوله وبما كنتم تكسبون وقوله ذلك بانهم كفروا
باياتنا وتارة ياتي بالمفعول لاجله ظاهرا او محذوفا كقوله فرجل
وامراتان ممن ترضون من الشهدا ان تضل احداهما فتذكر
احداهما الاخرى وقوله ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا
غافلين وقوله انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا اي
كراهة ان تقولوا وتارة ياتي بفا السببية كقوله فكذبوه
فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وقوله فعصوا
رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية وقوله فكذبوهما فكانوا
من المهلكين ونظايره وتارة ياتي باداة لما الدالة على الجزاء
كقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم ونظايره وتارة ياتي بان وما عملت
فيه كقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات وقوله في حق هولاء
انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين وتارة ياتي باداة لولا
الدالة على ارتباط ما قبلها بما بعدها كقوله فلولا انه كان من

المسبحين

المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وتارة ياتي بلو
الدالة على الشرط لقوله ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان
خيرا لهم وبالجملة فالقران من اوله الى اخره صريح في ترتب
الجزا بالخير والشر والاحكام الكونية والامرية على الاسباب
بل ترتب احكام الدنيا والاخرة ومصالحها ومفاسدها على
الاسباب والاعمال ومن فقه في هذه المسالة وتاملها حق
التامل انتفع بها غاية النفع ولم يتكل على القدر جهلا منه وعجزا
وتفريطا واضاعة فيكون توكله عجزا وعجزه توكلا بل الفقيه
كل الفقيه الذي يرد القدر بالقدر ويدفع القدر ويعارض
القدر بالقدر بل لا يمكن الانسان يعيش الا بذلك فان الجوع
والعطش والبرد وانواع المخاوف والمحاذير هي من القدر
والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر وهكذا
من وفقه الله والهمه رشده يدفع قدر العقوبة الاخروية
بقدر التوبة والايمان والاعمال الصالحة فهذا وزان القدر
المخوف في الدنيا وما يضاده سوا فرب الدارين واحد وحكمته
واحدة ولا يناقض بعضها بعضا ولا يبطل بعضها بعضا فهذه
المسالة من اشرف المسايل لمن عرف قدرها ورعاها حق رعايتها

والله المستعان لكن يبقى عليه امران بهما يتم له سعادته وفلاحه
احدهما ان يعرف تفاصيل اسباب الشر والخير ويكون له بصيرة
في ذلك بما يشاهده في العالم وما جربه في نفسه وغيره
وما سمعه من اخبار الامم قديما وحديثا ومن انفع ما في ذلك
تدبر القران فانه كفيل بذلك على اكمل الوجوه وفيه اسباب
الخير والشر جميعا مفصلة ثم السنة فانها شقيقة القران وهي
الوحي الثاني ومن صرف اليهما عنايته اكتفى بهما عن غيرهما وهما
يريانك الخير والشر واسبابهما حتى كانك تعاين ذلك عيانا
وبعد ذلك اذا تاملت اخبار الامم وايام الله في اهل طاعته
واهل معصيته طابق ذلك ما علمته من القران والسنة
ورايته بتفاصيل ما اخبر الله به ووعد به وعلمت من اياته في
الافاق ما يدلك على ان القران حق وان الرسول حق وان
الله ينجز وعده لا محالة والتاريخ تفصيل لجزئيات ما عرفنا
الله ورسوله به من الاسباب الكلية للخير والشر

فصل الامر الثاني ان يحذر مغالطة نفسه له على
هذه الاسباب وهذا من اهم الامور فان العبد يعرف
ان المعصية والغفلة من الاسباب المضرة له في دنياه

واخرته

واخرته ولا بد ولكن تغالطه نفسه بالاتكال على عفو
الله ومغفرته تارة وبالتسويف بالتوبة تارة وبالاستغفار
باللسان تارة وبفعل المندوبات تارة وبالعلم تارة وبالا
حتجاج بالقدر تارة وبالاحتجاج بالاشباه والنظراء
تارة وبالاكابر تارة وكثير من الناس يظن انه لو فعل ما
فعل ثم قال استغفر الله زال اثر الذنب وراح هذا بهذا وقال
لي رجل من المنتسبين الى الفقه انا افعل ما افعل ثم اقول سبحان
الله وبحمده مائة مرة وقد غفر ذلك اجمعه كما صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من قال في يوم سبحان الله وبحمده
مائة مرة حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وقال
لي اخر من اهل مكة نحن احدنا اذا فعل ما فعل اغتسل وطاف
بالبيت اسبوعا وقد محي عنه ذلك وقال لي اخر قد صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله اذنب عبدك ذنبا فقال
اي رب اذنبت ذنبا فاغفره لي فغفر له ذنبه ثم مكث ما شاء
الله ثم اذنب ذنبا اخر فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفره
لي فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا فقال اي رب
اصبت ذنبا فاغفره لي فقال الله عز وجل علم عبدي ان له ربا

يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليصنع ما شا قال
وانا لا اشك ان لي ربا يغفر الذنب ويأخذ به وهذا الضرب
من الناس قد تعلق بنصوص الرجا واتكل عليها وتعلق بها بكلتا
يديه واذا عوتب على الخطايا والانهماك فيها سرد لك ما يحفظه
من سعة رحمة الله ومغفرته ونصوص الرجا وللجهال من هذا
الضرب من الناس في هذا الباب غرايب وعجايب كقول بعضهم
وكثر ما استطعت من الخطايا اذا كان القدوم على كريم
وقول الاخر التنزه من الذنب جهل بسعة عفو الله وقال الاخر
ترك الذنوب جراة على مغفرة الله واستصغار لها وقال ابو
محمد ابن حزم ورايت بعض هولا يقول في دعايه اللهم اني اعوذ بك
من العصمة ومن هولا المغرورين من يتعلق بمسلة الجبر وان
العبد لا فعل له البتة ولا اختيار وانما هو مجبور على فعل المعاصي
ومن هولا من يغتر بمسلة الارجا وان الايمان مجرد التصديق
والاعمال ليست من الايمان وايمان افسق الناس كايمان جبريل
وميكاييل ومن هولا من يغتر بمحبة الفقرا والمشايخ والصالحين
وكثرة التردد الى قبورهم والتضرع اليهم والاستشفاع بهم والتوسل
بهم الى الله بهم وسواله بحقهم عليه وحرمتهم عنده ومنهم من يغتر

بابايه

١٣

بابايه واسلافه وان لهم عند الله مكانا وصلاحا فلا بد ان
يخلصوه كما يشاهد في حضرة الملوك فان الملوك تهب
لخواصهم ذنوب ابناهم واقاربهم واذا وقع احد منهم في
امر مفظع خلصه ابوه وجده بجاهه ومنزلته ومنهم
من يغتر بان الله عز وجل غني عن عذابه وعذابه لا يزيد في
ملكه شيا ورحمته لا تنقص من ملكه شيا فيقول انا مضطر
الى رحمته وهو اغنا الاغنيا ولو ان فقيرا مسكينا مضطرا
الى شربة ما هي عنده وفي داره شط يجري لما منعه منها
فالله اكرم واوسع فالمغفرة لا تنقصه شيا والعقوبة لا
تزيد في ملكه شيا ومنهم من يغتر بفهم فاسد فهمه هو
واضرابه من نصوص القرآن والسنة فاتكلوا عليه كاتكال
بعضهم على قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قالوا وهو لا
يرضى ان يكون احد من امته في النار وهذا من اقبح الجهل
وابين الكذب عليه فانه يرضى بما يرضى ربه عز وجل والله
تعالى يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والخونة والمصرين
على الكباير فحاشا رسول الله ان لا يرضى بما يرضى به ربه تبارك
وتعالى وكاتكال بعضهم على قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب

جميعا وهذا ايضا من قبح الجهل فان الشرك داخل في هذه فانه
راس الذنوب واساسها ولا خلاف ان هذه الاية في حق
التائبين فانه يغفر ذنب كل تائب اي ذنب كان ولو كانت
الاية في حق غير التائبين لبطلت نصوص الوعيد كلها واحاديث
اخراج الموحدين من النار بالشفاعة وهذا انما اتي صاحبه من قلة
علمه وفهمه فانه سبحانه ههنا عمم واطلق فعلم انه اراد
التائبين وفي سورة النساء خصص وقيد فقال ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاخبر سبحانه
انه لا يغفر الشرك واخبر انه يغفر ما دونه ولو كان هذا في
حق التائب لم يفرق بين الشرك وغيره وكاغترار بعض الجهال
بقوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك
فيقول كرمه وقد يقول بعضهم انه لقن المغتر حجته وهذا
جهل قبيح انما غره بربه الغرور وهو الشيطان ونفسه الامارة
بالسوء وجهله وهواه واتى سبحانه بلفظ الكريم وهو السيد
العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا اهمال حقه فوضع
هذا المغتر الغرور في غير موضعه واغتر بما لا ينبغي الاغترار
به كاغترار بعضهم بقوله تعالى في النار لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب

وتولى ولم يدر هذا المغتر ان قوله فانذرتكم نارا تلظى هي
نار مخصوصة من جملة دركات جهنم ولو كانت جميع جهنم
فهو سبحانه لم يقل لا يدخلها بل قال لا يصلاها الا الاشقى
ولا يلزم من عدم صليها عدم دخولها فان الصلي اخص من
الدخول ونفي الاخص لا يستلزم نفي الاعم ثم ان هذا المغتر
لو تامل الاية التي بعدها لعلم انه غير داخل فيها فلا يكون
مضمونا له ان يجنبها واما قوله في النار اعدت للكافرين فقد
قال في الجنة اعدت للمتقين ولا ينافي اعداد النار للكافرين
ان يدخلها الفساق والظلمة ولا ينافي اعداد الجنة للمتقين ان
يدخلها من في قلبه ادنى مثقال ذرة من ايمان ولم يعمل خيرا
قط وكاتكال بعضهم على صوم يوم عاشورا او يوم عرفة حتى
يقول بعضهم يوم عاشورا يكفر ذنوب العام كلها ويبقى صوم
يوم عرفة زيادة في الاجر ولم يدر هذا المغتر ان صوم
رمضان والصلوات الخمس اعظم واجل من يوم عرفة ويوم
عاشورا وهي انما تكفر ما بينهما اذا اجتنبت الكبائر فرمضان
والجمعة الى الجمعة لا تقوى على تكفير الصغائر الا مع انضمام
ترك الكبائر اليها فيقوى مجموع الامرين على تكفير الصغائر

فكيف يكفر صوم يوم تطوع كل كبيرة عملها العبد وهو مصر
عليها غير تايب منها هذا محال على انه لا يمتنع ان يكون صوم
يوم عرفة ويوم عاشورا مكفرا لجميع ذنوب العام على
عمومه وتكون الوعيد التي لها شروط وموانع ويكون اصراره
على الكبائر مانعا من التكفير فاذا لم يصر على الكبائر تساعد
الصوم وعدم الاصرار وتعاونا على عموم التكفير كما كان
في رمضان والصلوات الخمس مع اجتناب الكبائر متساعدين
متعاونين على تكفير الصغاير مع انه سبحانه قد قال ان
تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا
كريما فعلم انه جعل الشي سببا للتكفير لا يمتنع ان يساعد هو
وسبب اخر على التكفير ويكون التكفير مع اجتماع السببين
اقوى واتم منه مع انفراد احدهما وكلما قويت اسباب التكفير
كان اقوى واتم واشمل وكما اتكل بعضهم على قوله صلى الله عليه
وسلم حاكيا عن ربه انا عند حسن ظن عبدي فليظن بي ما شاء
يعني ما كان في ظنه فاني فاعله به ولا ريب ان حسن الظن انما يكون
مع الاحسان فان المحسن احسن الظن بربه انه يجازيه على
احسانه ولا يخلف وعده ويقبل توبته واما المسيء المصر على

الكبائر

الكبائر والظلم والمخالفات فان وحشة المعاصي والظلم
والاجرام تمنعه من حسن الظن بربه وهل امر موجود في الشاهد
فان العبد الابق المسيء الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن
به ولا يجامع وحشة الاساة احسان الظن ابدا فان المسيء مستو
حش بقدر اساته واحسن الناس ظنا بربه اطوعهم له كما قال الحسن
البصري ان المومن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان الفاجر
اسا الظن بربه فاسا العمل وكيف يكون يحسن الظن بربه من
هو شارد عنه حال مرتحل في مساخطه وما يغضبه متعرض
للعنته قد هان امره وحقه عليه فاضاعه وهان نهيه عليه
فارتكبه واصر عليه وكيف يحسن الظن بربه من بارزه بالمحاربة
وعادا اولياه ووالى اعداه وجحد صفات كماله واسا الظن بما
وصف به نفسه ووصفه به رسوله وظن بجهله ان ظاهر ذلك
ضلال وكفر وكيف يحسن الظن بربه من يظن انه لا يتكلم ولا يامر ولا
ينهى ولا يرضى ولا يغضب وقد قال تعالى في حق من شك في تعلق
سمعه ببعض الجزئيات وهو السر من القول وذلكم ظنكم الذي
ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فهولا لما ظنوا ان الله
سبحانه لا يعلم كثيرا مما تعملون كان هذا اساة لظنهم بربهم فارداهم

ذالك الظن وهذا شأن كل من جحد صفة كماله ونعوت جلاله
ووصفه بما لا يليق به فاذا ظن هذا انه يدخله الجنة كان هذا
غرورا وخداعا من نفسه وتسويلا من الشيطان لا احسان ظن
بربه فتأمل هذا الموضع وتأمل شدة الحاجة اليه وكيف يجتمع
في قلب العبد تيقنه بانه ملاق الله يسمع كلامه ويرى مكانه
ويعلم سره وعلانيته ولا يخفى عليه خافية من امره وانه موقوف
بين يديه ومسؤل عن كل ما عمل وهو مقيم على مساخطه مضيع
لاوامره معطل لحقوقه وهو مع هذا يحسن الظن به وهل هذا
الا من خدع النفوس وغرور الاماني وقد قال ابو امامة ابن سهل
ابن حنيف دخلت انا وعروة ابن الزبير على عائشة رضي الله
الله عنها فقالت لو رأيتما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض
له وكانت عندي ستة دنانير او سبعة فامرني النبي صلى الله
عليه وسلم ان افرقها قالت فشغلني وجع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى عافاه الله ثم سألني عنها فقال ما فعلت اكنتي فرقتي الست
دنانير قلت لا والله لقد كان شغلني وجعك قالت فدعا بها فوضعها
في كفه فقال ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده وفي لفظ ما
ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده فيالله العجب ما ظن اصحاب

الكبائر والظلمة بالله اذا لقوه ومظالم العباد عندهم فان
كان ينفعهم قولهم حسن ظنونا بك لم يعذب ظالم ولا فاسق
فليصنع العبد كل ما شاء وليرتكب المعاصي كل ما نهاه عنه و
ليحسن ظنه بالله فان النار لا تمسه فسبحان الله ما يبلغ الغرور
بالعبد وقد قال ابراهيم لقومه أئفكا آلهة دون الله
تريدون فما ظنكم برب العالمين اي ما ظنكم به ان يفعل
بكم اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ومن تأمل هذا الموضع
حق التأمل علم ان حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه
فان العبد انما يحمله على حسن العمل حسن ظنه بربه ان يجازيه
على اعماله ويثيبه عليها ويتقبلها منه فالذي حمله على العمل
حسن الظن فكلما حسن ظنه حسن عمله والا فحسن الظن مع اتباع الهوى
عجز كما في الترمذي والمسند من حديث شداد ابن اوس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما
بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
وبالجملة فحسن الظن انما يكون مع انعقاد اسباب النجاة واما
مع انعقاد اسباب الهلاك فلا يتأتى احسان الظن فان قيل
بل يتأتى ذالك ويكون مستقبل حسن الظن معه مغفرة الله

ورحمته وعفوه وجوده وان رحمته سبقت غضبه وانه
لا ينفعه العقوبة ولا يضره العفو قيل الامر هكذا والا
فوق ذالك واجل واكرم واجود وارحم ولكن انما يضع
ذالك في محله اللايق به فانه سبحانه موصوف بالحكمة
والعزة والانتقام وشدة البطش وعقوبة من يستحق
العقوبة فلو كان حسن الظن على مجرد صفاته واسمايه لا
شترك في ذالك البر والفاجر والمؤمن والكافر ووليه
وعدوه فما ينفع المجرم اسماوه وصفاته وقد باء بسخطه وغضبه
وتعرض للعنته واوضع في محارمه وانتهك حرماته بل
حسن الظن ينفع من تاب وندم واقلع وبدل السيئة بالحسنة
واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة وحسن الظن والاول
غرور والله المستعان ولا يستطل هذا الفصل فان الحاجة
اليه شديدة لكل احد يفرق بين حسن الظن بالله وبين
الغرور به وقال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اوليك يرجون رحمت الله والله غفور
رحيم فجعل هولاء اهل الرجا لا البطالين والفاسقين وقال تعالى
ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا

ان

ان ربك من بعدها لغفور رحيم فاخبر سبحانه انه بعد هذه
الاشيا غفور رحيم لمن فعلها والعالم يضع الرجا مواضعه
والجاهل المغتر يضعه في غير مواضعه **فصل** وكثير
من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه وضيعوا
امره ونهيه ونسوا انه شديد العقاب وانه لا يرد باسه
عن القوم المجرمين ومن اعتمد على العفو مع الاصرار فهو
كالمعاند قال معروف رجاوك رحمة من لا تطيعه من الخذ
لان والحمق وقال بعض العلما من قطع عضوا منك في الدنيا
بسرقة ثلاثة دراهم لا تامن ان تكون عقوبته في الاخرة
على نحو هذا وقيل للحسن نراك طويل البكا فقال اخاف ان
يطرحني في النار ولا يبالي وسال رجل الحسن فقال يا ابا سعيد
كيف نصنع بمجالسة اقوام يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير
فقال والله لان تصحب اقواما يخوفونك حتى تدرك امنا
خير من ان تصحب قوما يومنونك حتى تلحقك المخاوف
وقد ثبت في الصحيحين من حديث اسامة ابن زيد قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يجا بالرجل يوم القيامة
فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور في النار كما يدور

الحمار برحاه فيطيف به اهل النار فيقولون يا فلان ما
اصابك الم تكن تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول
كنت امركم بالمعروف ولا اتيه وانهاكم عن المنكر واتيه
وذكر الامام احمد من حديث ابي رافع قال مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالبقيع فقال اف لك اف لك فظننت
انه يريدني فقال لا ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعيا على
ال فلان فغل نمرة فدرع الان مثلها من نار وفي مسنده
ايضا من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم
بمقاريض من نار فقلت من هولا قالوا خطباء من اهل النار
كانوا يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم افلا يعقلون
وفيه ايضا من حديثه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون
وجوههم وصدورهم فقلت من هولا يا جبريل قال هولاء
الذين كانوا ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم
وفيه ايضا عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله امنا

بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم القلوب بين اصبعين
من اصابع الله يقلبها كيف شا وفيه ايضا عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما لي لا ارى ميكائيل ضاحكا
قط قال ما ضحك منذ خلقت النار وفي صحيح مسلم عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بانعم اهل الدنيا من
اهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال له يا ابن ادم هل
رايت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب
ويؤتى باشد الناس بوسا في الدنيا من اهل الجنة فيصبغ في
الجنة صبغة فيقال له يا ابن ادم هل رايت بوسا قط هل مر بك
شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بي بوسا قط ولا رايت
شدة قط وفي المسند من حديث البرا بن عازب قال خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار
فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجلسنا حوله كان على رووسنا الطير وفي يده عود
ينكت به الارض فرفع راسه فقال استعيذوا بالله من
عذاب القبر مرتين او ثلاثا ثم قال ان العبد المومن
اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الاخرة نزل اليه

ملائكة من السما بيض الوجوه كان وجوههم الشمس معهم
كفن من اكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا
منه مد البصر ثم يجي ملك الموت حتى يجلس عند راسه
فيقول اخرجي ايتها النفس المطمينة اخرجي الى مغفرة من الله
ورضوان فتخرج تسيل كما تسيل القطرة في السقا فياخذها
فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى ياخذوها
فيجعلوها في ذالك الكفن وفي ذالك الحنوط فيخرج منها
كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض فيصعدون
بها فلا يمرون بها على ملا من الملايكة الا قالوا ما هذا الروح
الطيب فيقولون فلان ابن فلان باحسن اسمايه الذي
كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهون بها الى سما الدنيا
فيستفتحون له فيفتح له فيشيعوه من كل سما مقربوها
الى السما التي تليها حتى ينتهى بها الى السما السابعة فيقول الله
عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين واعيدوه الى الارض
فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى
فتعاد روحه الى الارض فياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان
له من ربك فيقول ربي الله عز وجل فيقولان له ما دينك

فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث
فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له وما علمك فيقول
قرات كتاب الله فامنت به وصدقت فينادي مناد من
السما ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة
وافتحوا له بابا الى الجنة فياتيه من روحها وطيبها ويفسح
له في قبره مد بصره قال وياتيه رجل حسن الوجه حسن
الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي يسرك هذا يومك
الذي كنت توعد فيقول له من انت فوجهك الوجه الذي يجي
بالخير فيقول انا عملك الصالح فيقول رب اقم الساعة رب اقم
الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال وان العبد الكافر
اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الاخرة نزل اليه
من السما ملايكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه
مد البصر ثم يجي ملك الموت حتى يجلس عند راسه فيقول ايتها
النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب قال فتفرق
في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول
فياخذها فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى
يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كانتن جيفة وجدت

علي وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة
الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان ابن فلان باقبح
اسمايه التي كان يسما بها في الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم
قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السما ولا
يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله عز وجل
اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى فتطرح روحه طرحا
ثم قرا ومن يشرك بالله فكانما خر من السما فتخطفه الطير
او تهوي به الريح في مكان سحيق فتعاد روحه في جسده
وياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه
لا ادري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان
له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادري
فينادي منادي من قبل السما ان كذب عبدي فافرشوه
من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار قال فياتيه
من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه
وياتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول ابشر
بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول ومن
انت فوجهك الذي يجي بالشر فيقول انا عملك الخبيث فيقول

الوجه

رب لا تقم الساعة

رب لا تقم الساعة وفي لفظ لاحمد ايضا ثم يقيض له اعمى اصم
ابكم في يده مرزبة من حديد لو ضرب بها على جبل لكان
ترابا فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم يعيده الله عز وجل كما
كان فيضربه ضربة اخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شي
الا الثقلين قال البرا ثم يفتح له بابا من النار ويمهد له في فرش
النار وفي المسند ايضا عنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ نظر بجماعة فقال على ما اجتمعوا هولا قيل على قبر
يحفرونه ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدر بين يدي
اصحابه مسرعا حتى انتهى الى القبر فجثى على ركبتيه فاستقبلته
من بين يديه لانظر ما يصنع فبكى حتى بل الثرى من دموعه
ثم اقبل علينا فقال اخواني لمثل هذا اليوم فاعدوا وفي المسند
من حديث بريدة قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما فنادى ثلاث مرات يا ايها الناس اتدرون ما مثلي ومثلكم
فقالوا الله ورسوله اعلم فقال انما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا
عدوا ان ياتيهم فبعثوا رجلا يترايا لهم فابصروه فاقبل لينذرهم العدو
العدو وخشي ان يدركه العدو قبل ان ينذر قومه فاهوا
بثوبه ايها الناس اتيتم ايها الناس اتيتم ثلاث مرات وفي صحيح

مسلم من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ما اسكر حرام وان الله عز وجل عهد لمن شرب المسكرات
ان يسقيه من طينة الخبال قالوا وما طينة الخبال قال عرق اهل
النار او عصارة اهل النار وفي المسند ايضا من حديث ابي ذر رض
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا
تسمعون اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع الاصابع
وعليه ملك ساجد ولو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وما تلذذتم بالنسا على الفرش ولخرجتم الى الصعدات
تجأرون الى الله عز وجل قال ابو ذر والله لوددت اني شجرة
تعضد وفي المسند ايضا من حديث حذيفة قال كنا مع النبي صلى
الله عليه وسلم في جنازة فلما انتهينا الى القبر قعد على شافته
فجعل يردد بصره فيه ثم قال يضغط المؤمن فيه ضغطة
تزول منها حمائله وتملا على الكافر نارا والحمائل عروق الانثيين
وفي المسند ايضا من حديث جابر قال خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى سعد ابن معاذ حين توفي فلما صلى عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع في قبره وسوي عليه
سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبحنا طويلا ثم كبر وكبرنا

فقيل

فقيل يا رسول الله لم سبحت ثم كبرت قال لقد تضايق على هذا
العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه وفي صحيح البخاري
من حديث ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على اعناقهم فان كانت
صالحة قالت قدموني قدموني وان كانت غير صالحة قالت
يا ويلها اين تذهبون بها يسمع صوتها كل شي الا الانسان ولو
رض سمعها الانسان لصعق وفي مسند الامام احمد من حديث ابي امامة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس يوم القيامة
على قدر ميل ويزداد في حرها كذا وكذا تغلي منها الرؤوس
كما تغلي القدور يعرقون فيها على قدر خطاياهم منهم من
يبلغ الى كعبيه ومنهم من يبلغ الى ساقيه ومنهم من يبلغ الى
وسطه ومنهم من يلجمه العرق وفيه عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال كيف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن
وحنى جبهته يسمع متى يؤمر فينفخ فقال اصحابه كيف نقول
قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وفي المسند
ايضا عن ابن عمر يرفعه من تعظم في نفسه واختال في مشيته
لقي الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان وفي الصحيحين عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المصورين يعذبون
يوم القيامة يقال لهم احيوا ما خلقتم وفيها عن النبي صلى الله عليه
ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان
كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن
اهل النار فيقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل
يوم القيامة وفيها ايضا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا صار
اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار جيء بالموت حتى يوقف
بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا اهل الجنة خلود فلا
موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى
فرحهم ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم وفي المسند عنه قال
من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله
له صلاة ما دام الثوب عليه ثم ادخل اصبعيه في اذنيه ثم
قال صمتا ان لم اكن سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقوله وفيه
عن عبد الله ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك الصلاة
سكرا مرة واحدة فكانما كانت له الدنيا وما عليها فسلبها
ومن ترك الصلاة سكرا اربع مرات كان حقا على الله ان
يسقيه من طينة الخبال قالوا وما طينة الخبال يا رسول الله

قال

قال عصارة اهل النار اوجهم وفيه ايضا مرفوعا من شرب من
الخمر شربة لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب
تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا
فان تاب تاب الله عليه فلا ادري في الثالثة او في الرابعة
فان عاد كان حقا على الله ان يسقيه من ردغة الخبال
يوم القيامة وفي المسند ايضا من حديث ابي موسى قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مدمنا للخمر سقاه الله
من نهر الغوطة قيل وما نهر الغوطة قال نهر يجري من فروج
المومسات يؤذي اهل النار ريح فروجهن وفيه ايضا قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة
ثلاث عرضات فاما عرضتان جدال ومعاذير واما الثالثة
فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ
بشماله وفي المسند ايضا من حديث ابن مسعود ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن
على الرجل فيهلكنه وضرب لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثلا كمثل قوم نزلوا ارض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل
ينطلق فيجي بالعود والرجل يجي بالعود حتى جمعوا سوادا واججوا

نارًا فانصحوا اما فد فوا فيها وفي الصحيح من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب
الجسر على جهنم فاكون اول من يجوز ودعوى الرسل يومئذ
اللهم سلم سلم وحافتيه كلاليب مثل شوك السعدان تخطف
الناس باعمالهم فمنهم الموثق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجوا حتى
اذا فرغ الله من القضا بين العباد واراد ان يخرج من النار
من اراد ان يرحم ممن كان يشهد ان لا اله الا الله امر الملايكة
ان يخرجوهم فيعرفوهم بعلامة اثار السجود وحرم الله على
النار ان تاكل من بني ادم اثر السجود فيخرجونهم وقد امتحشوا
فيصب عليهم من ما يقال له ما الحياة فينبتون نبات الحبة في
حميل السيل وفي صحيح مسلم عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان اول الناس يقضى فيه يوم القيامة
ثلاثة رجل استشهد فاتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت
فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكن قاتلت ليقال
هو جري وقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في
النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرا القران فاتي به فعرفه نعمه
فعرفها فقال ما عملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرات

فيك

فيك القران فقال كذبت ولكن تعلمت ليقال هو عالم فقد
قيل وقرات القران ليقال هو قارئ فقد قيل ثم امر
به فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل وسع الله عليه
واعطاه من اصناف المال كله فاتي به فعرفه نعمه فعرفها
فقال ما عملت فيها فقال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق
فيه الا انفقت فيها لك قال كذبت ولكنك انفقت ليقال
هو جواد فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في
النار وفي لفظ فهولاء اول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة
وسمعت شيخ الاسلام يقول ان خير الناس الانبيا وشر الناس
من تشبه بهم من الكاذبين وادعا انه منهم وليس منهم وخير
الناس بعدهم العلما والشهدا والمتصدقون المخلصون
فشر الناس من تشبه بهم يوهم انه منهم وليس منهم وفي صحيح
البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من كانت عنده لاخيه مظلمة في مال او عرض فلياته
فليستحلها منه قبل ان يوخذ وليس عنده دينار ولا درهم
فان كانت له حسنات اخذ من حسناته والا اخذ من سياته
فطرحت عليه ثم طرح في النار وفي الصحيح من حديث ابي

هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اخذ شبرا
من الارض بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع ارضين
وفي الصحيحين عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ناركم هذه الذي توقدون جزء من احد وسبعين جزءا
من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية قال فانها قد
فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها وفي المسند عن
معاذ قال اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تشرك
بالله شيئا وان قتلت وحرقت ولا تعقن والديك وان امراك
ان تخرج من اهلك ومالك ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا
فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله
ولا تشربن خمرا فانه كل فاحشة واياك والمعصية فان المعصية
تحل سخط الله والاحاديث في هذا الباب اضعاف اضعاف
ما ذكرنا فلا ينبغي لمن نصح نفسه ان يتعامى عنها ويرسل نفسه
في المعاصي ويتعلق بحبل الرجاء وحسن الظن قال ابو الوفاء بن
عقيل احذره ولا تغتر به فانه قطع اليد في ثلاثة دراهم
وجلد الحد في مثل رأس الابرة من الخمر وقد دخلت امرأة
النار في هرة واشتعلت الشملة نارا على من غلها وقد قتل

شهيدا

شهيدا وقال الامام احمد حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش
عن سليمان ابن ميسرة عن طارق ابن شهاب يرفعه طارق
قال دخل رجل الجنة في ذباب ودخل النار رجل في ذباب
قالوا وكيف ذاك يا رسول الله قال مر رجلان على قوم
لهم صنم لا يجوزه احد حتى يقرب له شيئا فقالوا لاحدهما
قرب قال ليس عندي شيء قالوا له قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا
فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للاخر قرب فقال ما كنت
لاقرب لاحد شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل
الجنة وهذه الكلمة الواحدة يتكلمها العبد يهوي بها
في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب وربما اتكل بعض
المغترين على ما يرى من نعم الله عليه في الدنيا وانه لا يغير
به ويظن ان ذلك من محبة الله له وانه يعطيه في الاخرة
افضل من ذلك وهذا من الغرور قال الامام احمد حدثنا
يحيى ابن غيلان حدثنا رشدين ابن سعد عن حرملة ابن عمران
عن عقبة ابن مسلم عن عقبة ابن عامر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا
على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلى قوله عز وجل

فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي حتى اذا فرحوا بما
اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال بعض السلف اذا
رايت الله يتابع عليك نعمه وانت مقيم على معاصيه فاحذره
فانما هو استدراج يستدرجك به وقد قال تعالى ولولا ان
يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا
عليها يتكيون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا
والاخرة عند ربك للمتقين وقد رد سبحانه على من يظن هذا
الظن بقوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول
ربي اكرمني واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي
اهانني كلا اي ليس كل من نعمته ووسعت عليه رزقه اكون
قد اكرمته ولا كل من ابتليته وضيقت عليه رزقه اكون
قد اهنته بل ابتلي هذا بالنعمة واكرم هذا بالابتلا وفي جامع
الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله يعطي الدنيا من يحب
ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال بعض السلف رب
مستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم ورب مغرور بستر الله
عليه وهو لا يعلم ورب مفتون بثنا الناس عليه وهو لا يعلم

فصل

ورضي بها من الاخرة صح

فصل واعظم الخلق غرورا من اغتر بالدنيا وعاجلها
فاثرها على الاخرة ابدا حتى يقول بعضهم هذه الدنيا
نقد والاخرة نسية والنقد انفع من النسية ويقول بعضهم
ذرة منقوده اولى من درة موعوده ويقول بعضهم لذات
الدنيا متيقنة ولذات الاخرة مشكوك فيها ولا ادع اليقين
بالشك وهذا من اعظم تلبيس الشيطان وتسويله والبهايم
العجم افضل من هولا فان البهيمة اذا خافت مضرة شي
لم تقدم عليه ولو ضربت وهولا يقدم احدهم على عطبه
وهو بين مصدق ومكذب فهذا الضرب ان امن احدهم
بالله ورسوله ولقايه والجزا فهو من اعظم الناس حسرة لانه
اقدم على علم وان لم يومن بالله ورسله فابعد له
وقول هذا القايل النقد خير من النسية جوابه انه ان كان
يساوي النقد والنسية فالنقد خير وان تفاوتا وكانت النسية
اكثر وافضل فهو خير فكيف والدنيا من اولها الى اخرها
كنفس واحد من انفاس الاخرة كما في مسند الترمذي من
حديث المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كما يدخل احدكم اصبعه في اليم

فلينظر بما يرجع فايثار اهل النقد على هذه النسبة من اعظم الغبن
واقبح الجهل واذا كان هذا نسبة الدنيا مجموعها الى الاخرة
فما مقدار عمر الانسان بالنسبة الى الاخرة فانما اولى بالعاقل
ايثار العاجل في هذه المدة اليسيرة وحرمان الخير الدائم في الاخرة
ام ترك شي حقير صغير منقطع عن قريب ليأخذ ما لا قيمة له ولا
خطر له ولا نهاية لعدده ولا غاية لامده ولا مدده واما قول الاخر
لا اترك متيقنا لمشكوك فيه فيقال له اما ان تكون على شك
من وعد الله ووعيده وصدق رسله فيما اخبروا به عن الله فجرد
وقم لله ناظرا او مناظرا حتى يتبين لك ان ما جا به الرسل عن الله
فهو الحق الذي لا شك فيه وان خالق هذا العالم ورب السماوات
والارض يتعالى ويتقدس ويتنزه عن خلاف ذلك كما اخبرت
به رسله عنه ومن نسبه الى ذلك فقد شتمه وكذبه وانكر
ربوبيته وملكه اذ من المحال الممتنع عند كل ذي فطرة سليمة ان
يكون الملك الحق عاجزا او جاهلا لا يعلم شيا ولا يسمع ولا يبصر
ولا يتكلم ولا يامر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا يعز من يشا
ويذل من يشا ولا يرسل رسله الى اطراف مملكته ونواحيها
ولا يعتني باحوال رعيته بل يتركهم سدى ويخليهم هملا وهذا يقدح

في

في ملك احاد ملوك البشر ولا يليق به فكيف يجوز نسبة الملك
الحق المبين اليه واذا تامل الانسان حاله من مبدأ كونه
نطفة الى حين كماله واستوائه تبين له ان من عني به هذه
العناية ونقله من هذه الاحوال وصرفه من هذه الاطوار
لا يليق به ان يهمله ويتركه سدى لا يامره ولا ينهاه ولا يعرفه
حقوقه عليه ولا يثيبه ولا يعاقبه ولو تامل العبد حق التامل
لكان كل ما يبصره وما لا يبصره دليلا على التوحيد والنبوة وا
لمعاد وان القران كلامه وقد ذكرنا وجه الاستدلال بذلك
في كتاب ايمان القران عند قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا
تبصرون انه لقول رسول كريم وذكرنا طرفا من ذلك عند
قوله وفي انفسكم افلا تبصرون وان الانسان دليل نفسه على
وجود خالقه وتوحيده وصدق رسله واثبات صفات كماله
فقد بان ان المضيع مغرور على التقديرين تقدير من تصديقه
ويقينه وتقدير تكذيبه وشكه وان قلت كيف يجتمع التصديق
الجازم الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلف العمل وهذا
في الطباع البشرية ان يعلم العبد انه مطلوب غدا الى بين يدي
بعض الملوك ليعاقبه اشد عقوبة او يكرمه اتم كرامة ويبيت

ساهيا غافلا لا يتذكر موقفه بين يدي الملك ولا ياخذ له اهبته
قيل هذا العمر الله سؤال صحيح وارد على اكثر هذا الخلق واجتماع
هذين الامرين من اعجب الاشيا وهذا التخلف له عدة اسباب احدها
ضعف العلم ونقصان اليقين من ظن ان العلم لا يتفاوت فقوله
من افسد الاقوال وابطلها وقد سال ابراهيم الخليل ربه ان يريه
احيا الموتي عيانا بعد علمه بقدرة الرب على ذلك ليزداد طمانينة
ويصير المعلوم غيبا شهادة وقد روي احمد في مسنده عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ليس الخبر كالمعاين فاذا [illegible] اجتمع
الى ضعف العلم عدم استحضاره وغيبته عن القلب في كثير من اوقاته
او اكثرها لاشتغاله بما يضاده وانضم الى ذلك تقاضي الطبع
وغلبات الهوى واستيلا الشهوة وتسويل النفس وغرور الشيطان
واستبطا الوعد وطول الامل ورقدة الغفلة وحب العاجلة
ورخص التاول والف العوايد فهناك لا تمسك الايمان الا الذي
تمسك السماوات والارض ان تزولا ولهذا السبب يتفاوت
الناس حتى ينتهي الى ادنى ادنى مثقال ذرة في القلب وجميع هذه
الاسباب ترجع الى ضعف البصيرة والبصر ولهذا امدح الله تعالى
اهل الصبر واليقين وجعلهم ائمة الدين فقال تعالى وجعلنا هم

ائمه

ائمة الدين فقال تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا
وكانوا باياتنا يوقنون **فصل** فقد تبين الفرق بين
حسن الظن والغرور وان حسن الظن ان حمل على العمل وحث
عليه وساق اليه فهو صحيح وان دعا الى البطالة والانهماك في
المعاصي فهو غرور وحسن الظن هو الرجا فمن كان رجاوه حاملة على
الطاعة زاجرا له عن المعصية فهو رجا صحيح ومن كانت بطالته
رجا ورجاوه بطالة وتفريطا فهو الغرور ولو ان رجلا له ارض
تامل ان يعود عليه من مغلها ما ينفعه فاهملها ولم يبذرها ولم
يحرثها وحسن ظنه انه ياتي من مغلها ما ياتي من حرث وبذر وسقي
وتعاهد الارض لعادة الناس فهو من اسفه السفها وكذلك
لو حسن ظنه وقوي رجاوه بان يجيه ولد من غير جماع او يصير
اعلم اهل زمانه من غير طلب العلم وحرص عليه وامثال ذلك
وكذلك من حسن ظنه وقوي رجاوه بالدرجات العلى والنعيم
المقيم من غير تقرب الى الله بامتثال اوامره واجتناب نواهيه
وبالله التوفيق وقد قال سبحانه تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اولايك يرجون رحمة الله فتامل كيف
جعل رجاهم بعد الطاعة وقال المغرورين ان المعرضين المضيعين

لحقوق الله تعالى المعطلين لاوامر الله الباغين على عباد الله المتجرين
على محارمه اولايك يرجون رحمة الله وسر المسلة ان الرجا
وحسن الظن انما يكون مع الاتيان بالاسباب التى اقتضتها حكمة
الله فى شرعه وقدره وثوابه وكرامته فياتى العبد بها ثم يحسن
ظنه بربه ويرجوا ان لا يكله اليها وان يجعلها موصلة الى
ماينفعه ويصرف عنه ما يعارضها ويبطل اثرها

فصل

ومما ينبغى ان تعلم ان من رجا شيا استلزم رجاؤه امورا
احدها محبة ما يرجوه الثانى خوفه من فواته الثالث
سعيه فى تحصيله بحسب الامكان واما رجا لا يقارنه شى
من ذلك فهو من باب الامانى والرجا شى والامانى شى اخر
فكل راج خايف والساير على الطريق اذا خاف ادلج او اسرع
المسير مخافة الفوات وفى جامع الترمذى من حديث ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج
ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة
الله الجنة وهو سبحانه كما جعل الرجا لاهل الاعمال الصالحة
فكذلك جعل الخوف لاهل الاعمال فعلم ان الرجا والخوف
النافع هو ما اقترن بالعمل قال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم

مشفقون والذين هم بايات ربهم يومنون والذين هم بربهم
لا يشركون والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم
الى ربهم راجعون اولايك يسارعون فى الخيرات وهم لها
سابقون وقد روى الترمذى فى جامعه عن عايشة رضى
الله عنها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية
اهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون فقال لا يا بنت
الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون
ويخافون الا يقبل منهم اولايك يسارعون فى الخيرات وقد روى
من حديث ابى هريرة ايضا والله تعالى وصف اهل السعادة
بالاحسان مع الخوف ووصف الاشقيا بالاساة مع الامن ومن
تامل احوال الصحابة رضى الله عنهم فى غاية العمل مع غاية
الخوف ونحن جمعنا بين التقصير بل بين التفريط والامن فهذا
الصديق يقول وددت انى شعرة فى جنب عبد مومن ذكره
احمد عنه وذكر عنه انه كان يمسك بلسانه ويقول هذا
اوردنى الموارد وكان يبكى كثيرا ويقول ابكوا فان لم تبكوا
فتباكوا وكان اذا قام الى الصلاة كانه عود من خشية الله
عز وجل واتى بطاير فقلبه ثم قال ما صيد من صيد ولا قطعت من

شجرة الا بما ضعفت من التسبيح ولما احتضر قال لعايشة يا بنية
اني اصبت من مال المسلمين هذه العباة وهذا الحلاب وهذا العبد
فاسرعي الى ابن الخطاب وقال والله لوددت اني كنت هذه
الشجرة تؤكل وتعضد وقال قتادة بلغني ان ابا بكر قال وددت
اني خضرة تاكلني الدواب وهذا عمر ابن الخطاب قرا سورة الطور
حتى اذا بلغ ان عذاب ربك لواقع بكا واشتد بكاوه حتى
مرض وعادوه وقال لابنه وهو في الموت ويحك ضع خدي
على الارض عساه ان يرحمني ثم قال ويل امي ان لم يرحمني ويغفر لي
ثلاث مرات ثم قضى وكان يمر بالاية في ورده بالليل فتخيفه
فيبقى في البيت اياما يعاد يحسبونه مريضا وكان في وجهه رضي
الله عنه خطان اسودان من البكا وقال ابن عباس مصر الله
بك الامصار وفتح بك الفتوح وفعل وفعل فقال وددت
اني انجو لا اجر ولا وزر وهذا عثمان ابن عفان رضي الله عنه
كان اذا وقف على القبر يبكي حتى يبل لحيته وقال لو انني بين
الجنة والنار لا ادري الى ايهما يؤمر بي لاخترت ان اكون رمادا
قبل ان اعلم الى ايهما اصير وهذا علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
وبكاوه وخوفه وكان يشتد خوفه من اثنين طول الامل

واتباع

واتباع الهوا قال فاما طول الامل فينسي الاخرة واما اتباع
الهوى فيضل عن الحق الا وان الدنيا قد ولت مدبرة والاخرة
مقبلة ولكل واحدة بنون فكونوا من ابنا الاخرة ولا تكونوا
من ابنا الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل
وهذا ابو الدردا كان يقول ان اشد ما اخاف على نفسي يوم
القيامة ان يقال لي يا ابا الدردا اقد علمت فكيف عملت فيما علمت
وكان يقول لو تعلمون ما انتم لاقون بعد الموت لما اكلتم
طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا على شهوة ولا دخلتم بيتا
تستظلون فيه ولخرجتم الى الصعيد تضربون صدوركم
وتبكون على انفسكم ولوددت اني شجرة تعضد ثم تؤكل
وكان بعبد الله ابن عباس اسفل عينيه مثل الشراك البالي من
الدموع وكان ابو ذر يقول يا ليتني شجرة تعضد ووددت
اني لم اخلق وعرضت عليه النفقة فقال عندنا عنز نحلبها
واحمرة ننقل عليها ومحرر يخدمنا وفضل عباه واني اخاف
الحساب فيها وقرا تميم الداري ليلة سورة الجاثية فلما اتى على
هذه الاية ام حسب الذين اجترحوا السيات ان نجعلهم
كالذين امنوا وعملوا الصالحات جعل يرددها ويبكي حتى

اصبح وقال ابو عبيدة ابن الجراح وددت اني كبش فذبحني اهلي
واكلوا لحمي وحسوا مرقتي وهذا باب يطول تتبعه وقال البخاري
في صحيحه **باب** خوف المؤمن من ان يحبط عمله وهو
لا يشعر وقال ابراهيم التيمي ما عرضت قولي على عملي الا خشيت
ان اكون مكذبا وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما
منهم من احد يقول انه على ايمان جبريل وميكائيل ويذكر
عن الحسن ما خافه الا مؤمن ولا امنه الا منافق وكان عمر ابن
الخطاب يقول لحذيفة انشدك الله هل سماني لك رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني في المنافقين فيقول لا ولا ازكي بعدك
احدا فسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول ليس مراده اني لا ابرئ
غيرك من النفاق بل المراد لا افتح علي هذا الباب فكل من
سالني هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فازكيه قلت
وقريب من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم للذي ساله ان
يدعو الله ان يكون من السبعين الفا الذين يدخلون الجنة
بغير حساب سبقك بها عكاشة ولم يرد ان عكاشة وحده
احق بذلك ممن عداه من الصحابة ولكن لو دعا لقام اخر

واخر وانفتح الباب وربما قام من لا يستحق ان يكون منهم
فكان الامساك اولى والله اعلم **فصل** فلنرجع الى ما كنا (الدواء)
فيه من ذكر الدواء الذي ان استمر به افسد دنيا العبد واخرته
فمما ينبغي ان يعلم ان الذنوب تضر ولا بد وان ضررها في
القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها في
الضرر وهل في الدنيا والاخرة شر وداء الا وسببه الذنوب
والمعاصي فما الذي اخرج الابوين من الجنة دار اللذة والنعيم (والراحة)
والبهجة والسرور الى دار الالام والاحزان والمصائب وما
ذا الذي اخرج ابليس من ملكوت السما وطرده ولعنه ومسخ
ظاهره وباطنه فجعل صورته اقبح صورة واشنعها وباطنه
اقبح من صورته وبدل بالقرب بعدا وبالرحمة لعنة وبالجمال
قبحا وبالجنة نارا تلظى وبالايمان كفرا وبموالاة الولي الحميد
اعظم عداوة ومشاقة وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل
زجل الكفر والشرك والكذب والزور والفحش وبلباس
الايمان لباس الكفر والفسوق والعصيان فهان على الله
غاية الهوان وسقط من عينه غاية السقوط وحل عليه
غضب الرب تعالى فاهواه ومقته اكبر المقت فصار قوادا

نفعه

قال بعضهم في ذلك عجبت في ابليس في نخوته وكبره والطرق مع نفسه طلبه على آدم سجوده وجاء ... الزم

لكل فاسق ومجرم رضي بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة
فبعدا لك اللهم من مخالفة امرك وارتكاب نهيك وما الذي
اغرق اهل الارض كلهم حتى علا الما فوق رؤس الجبال وما
الذي سلط الريح على قوم عاد حتى القتهم موتا على وجه الارض
كانهم اعجاز نخل خاوية ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم
وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للامم الى يوم القيامة
وما الذي ارسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في
اجوافهم وماتوا عن اخرهم وما الذي رفع قرى اللوطية حتى
سمعت الملايكة نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها
فاهلكهم جميعا ثم اتبعهم حجارة من السما امطرها عليهم فجمع عليهم
من العقوبة ما لم يجمعه على امة غيرهم ولاخوانهم امثالها وما
هي من الظالمين ببعيد وما الذي ارسل على قوم شعيب
سحاب العذاب كالظلل فلما صار فوق رؤسهم امطر عليهم
نارا تلظى وما الذي اغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت
ارواحهم الى جهنم فالاجساد للغرق والارواح للحرق وما الذي
خسف بقارون وداره وماله واهله وما الذي اهلك القرون
من بعد نوح بانواع العقوبات ودمرها تدميرا وما الذي اهلك

قوم

قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن اخرهم وما الذي بعث
على بني اسرايل قوما اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار
فقتلوا الرجال وسبوا الذرية والنسا واحرقوا الديار ونهبوا
الاموال ثم بعث عليهم مرة ثانية واهلكوا ما قدروا عليه
وتبروا ما علوا تتبيرا وما الذي سلط عليهم انواع العقوبات
مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد ومرة بجور الملوك ومرة
بمسخهم قردة وخنازير واخر ذلك اقسم الرب تبارك وتعالى
ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال
الامام احمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمرو حدثني
عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن ابيه قال لما فتحت قبرس
فرق بين اهلها فبكى بعضهم الى بعض رايت ابا الدردا جالسا
وحده يبكي فقلت يا ابا الدردا ما يبكيك في يوم اعز الله فيه
الاسلام واهله فقال ويحك يا جبير ما اهون الخلق على الله
عز وجل اذا اضاعوا امره بينا هي امة قاهرة ظاهرة لهم
الملك تركوا امر الله فصاروا الى ما ترى فقال علي بن الجعد
حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت ابا البختري يقول
اخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لن يهلك حتى يعذروا

الناس

قالت سمعت رسول الله

منْ انفسهم وفي مسند الامام احمد من حديث ام سلمة يقول اذا ظهرت
المعاصي في امتي عمهم الله بعذاب من عنده فقلت يا رسول الله
اما فيهم يومئذ اناس صالحون قال بلى قالت فكيف يصنع باولئك
قال يصيبهم ما اصاب الناس ثم يصيرون الى مغفرة من الله
ورضوان وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال
هذه الامة تحت يد الله وفي كنفه ما لم يمال قراؤها امراؤها
وما لم يزك صلحاؤها فجارها وما لم يهن خيارها شرارها فاذا
فعلوا ذلك رفع الله يده عنهم ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم
سوء العذاب ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر وفي المسند من حديث
ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان تداعى
عليكم الامم من كل افق كما تداعى الاكلة على قصعتها قلنا يا
رسول الله امن قلة منا يومئذ قال انتم يومئذ كثير ولكنكم
غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في
قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن قال حب الحياة وكراهة الموت
وفي المسند من حديث انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من حديد او من نحاس يخمشون
وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين

ياكلون

ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وفي جامع الترمذي
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخرج في اخر الزمان قوم يختلبون الدنيا بالدين ويلبسون
للناس مسوك الضان من اللين السنتهم احلى من السكر وقلوبهم
قلوب الذئاب يقول الله عز وجل ابي يغترون وعلي يجترئون
فبي حلفت لابعثن على اولئك منهم فتنة تدع الحليم فيها حيرانا
وذكر ابن ابي الدنيا من حديث جعفر ابن محمد عن ابيه عن
جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس
زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ومن القران الا رسمه مسا
جدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى علماؤهم شر من
تحت اديم السماء منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود وذكر من حديث
سماك عن عبد الرحمن ابن عبد الله ابن مسعود عن ابيه قال
اذا ظهر الزنا والربا في قرية اذن الله عز وجل بهلاكها ومن
مراسيل الحسن اذا اظهر الناس العلم وضيعوا العمل وتحابوا بالالسن
وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالارحام لعنهم الله عز وجل عند
ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم وفي سنن ابن ماجة من حديث
عبد الله ابن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما قال كنت عاشر

عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال يا معشر
المهاجرين خمس خصال ان ادركتموهن واعوذ بالله ان تدركوهن
ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى اعلنوا بها الا ابتلوا بالطواعين
والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم الذين مضوا ولا نقص قوم المكيال
والميزان الا ابتلوا بالسنين وشدة المونة وجور السلطان وما
منع قوم زكاة اموالهم الا منعوا القطر من السما فلولا البهايم لم
يمطروا ولا خفر قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم
فاخذوا بعض ما في ايديهم وما لم تعمل ائمتهم بما انزل الله عز وجل
في كتابه الا جعل الله باسهم بينهم وفي المسند من حديث عمرو
ابن مرة عن سالم ابن الجعد عن ابي عبيدة ابن عبد الله ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من كان قبلكم كان
اذا عمل العامل فيهم بالخطية جاه الناهي تعذيرا فاذا كان
الغد جالسه وواكله وشاربه كان لم يره على خطية بالامس
فلما راى الله عز وجل منهم ضرب الله بقلوب بعضهم على بعض
ثم لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون والذي نفس محمد بيده لتامرن بالمعروف

ولتنهون

ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد السفيه ولتاطرنه على الحق
اطرا او ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما
لعنهم وذكر ابن ابي الدنيا عن ابراهيم ابن عمرو الصنعاني قال
اوحى الله تعالى الى يوشع ابن نون عليه السلام اني مهلك
من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم
قال يا رب هولاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا
لغضبي وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم وذكر ابو عمر ابن عبد
البر عن ابي هريرة انه قال بعث الله عز وجل ملكين الى قرية
ان دمراها بمن فيها فوجدا فيها رجلا قايما يصلي في مسجد
فقالا يا رب ان فيها عبدك فلانا يصلي فقال الله عز وجل
دمراها ودمراه معهم فانه ما تمعر وجهه في قط وذكر الحميدي
عن سفيان ابن عيينة حدثني سفيان ابن سعيد عن مسعر
ان ملكا امر ان يخسف بقرية فقال يا رب ان فيها فلان
العابد فاوحى الله عز وجل اليه ان به فابدا فانه لم يتمعر وجهه
في ساعة قط وذكر ابن ابي الدنيا عن وهب ابن منبه قال
لما اصاب داود الخطية قال يا رب اغفر لي قال قد غفرت
لك والزمت عارها بني اسرائيل قال يا رب كيف وانت الحكم

العدل لا تظلم احدا اعملا الخطية وتلزم عارها غيري فاوحى
الله اليه انك لما عملت الخطية لم يعجلوا عليك بالانكار وذكر
ابن ابي الدنيا عن انس بن مالك انه دخل على عايشة هو ورجل
اخر فقال لها الرجل يا ام المومنين حدثينا عن الزلزلة فقالت
اذا استباحوا الزنا وشربوا الخمور وضربوا بالمعازف غار
الله عز وجل في سمايه فقال للارض تزلزلي بهم فان تابوا ونزعوا
والا هدمها عليهم قال يا ام المومنين اعذابا لهم قالت بل موعظة
ورحمة للمومنين ونكالا وعذابا وسخطا على الكافرين فقال
ما سمعت حديثا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اشد فرحا
مني بهذا الحديث وذكر ابن ابي الدنيا حديثا مرسلا ان الارض
تزلزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها
ثم قال لها اسكني فانه لم يان لكي بعد ثم التفت الى اصحابه فقال
ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه ثم تزلزلت بالناس على عهد عمر ابن
الخطاب فقال ايها الناس ما كانت هذه الزلزلة الا عن شي
احدثتموه والذي نفسي بيده ان عادت لا اساكنكم فيها ابدا
وفي مناقب عمر لابن ابي الدنيا ان الارض زلزلت على عهد
عمر فضرب بيده عليها وقال مالك مالك اما انها لو كانت القيامة

رض

حدثت اخبارها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا كان يوم القيامة فليس فيها ذراع ولا شبر الا
وهو ينطق وذكر الامام احمد عن صفية قالت زلزلت
الارض على عهد عمر فقال يا ايها الناس ما هذا ما اسرع ما
احدثتم لئن عادت لا اساكنكم فيها وقال كعب انما تزلزل
الارض اذا عمل فيها بالمعاصي فترعد فرقا من الرب جل جلاله
ان يطلع عليها وكتب عمر ابن عبد العزيز الى الامصار اما
بعد فان هذا الرجف شي يعاقب الله به عباده وقد كتب
الى الامصار ان يخرجوا في يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا
فمن كان عنده شي فليتصدق به فان الله عز وجل يقول
قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقولوا كما قال ادم
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وقولوا كما قال نوح والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين
وقولوا كما قال يونس لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين وقال الامام احمد حدثنا اسود ابن عامر حدثنا ابو بكر
عن الاعمش عن عطا ابن ابي رباح عن ابن عمر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ظن الناس بالدينار والدرهم

حدثنا

وتبايعوا بالعينة واتبعوا اذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل
الله انزل الله بهم بلا فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم رواه ابو
داود باسناد حسن وذكر ابن ابي الدنيا من حديث ابن عمر قال
لقد رايتنا وما احد احق بديناره ودرهمه من اخيه المسلم ولقد
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ضن الناس بالدينار
والدرهم وتبايعوا بالعينة وتركوا الجهاد واخذوا اذناب
البقر انزل الله عليهم من السما بلا لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا
دينهم وقال الحسن ان الفتنة والله ما هي الا عقوبة من الله عز
وجل على الناس ونظر بعض انبيا بني اسرايل الى ما يصنع بهم
بخت نصر فقال بما كسبت ايدينا سلط الله علينا من لا يعرفك
ولا يرحمنا فقال بخت نصر لدانيال ما الذي سلطني على قومك
قال عظم خطيتك وظلم قومي انفسهم وذكر ابن ابي الدنيا من حديث
عامر بن ياسر وحذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز
وجل اذا اراد بالعباد نقمة امات الاطفال وعقم ارحام النسا
فتنزل النقمة وليس فيهم مرحوم وذكر عن مالك ابن دينار قال قرات
في الحكمة يقول الله عز وجل انا الله مالك الملوك قلوب الملوك
بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه

مطلب سب الملوك

نقمة

نقمة ولا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم
عليكم ومن مراسيل الحسن اذا اراد الله بقوم خيرا جعل امرهم
الى علمايهم وفيهم عند سمحايهم واذا اراد الله بقوم شرا جعل
الى سفهايهم وفيهم عند بخلايهم وذكر الامام احمد وغيره عن
قتادة قال قال موسى يا رب انت في السما ونحن في الارض فما علامة
غضبك من رضاك قال اذا استعملت عليكم خياركم فهو علامة
رضاي عنكم واذا استعملت عليكم شراركم فهو علامة سخطي
عليكم وذكر ابن ابي الدنيا عن الفضيل ابن عياض قال اوحي الله
الى بعض الانبيا اذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني
وذكر ايضا من حديث ابن عمر يرفعه والذي نفسي بيده لا تقوم
الساعة حتى يبعث الله امرا كذبة ووزرا فجرة واعوانا خونة
وعرفا ظلمة وقرا فسقة سيماهم سيما الرهبان وقلوبهم انتن
من الجيفة اهواهم مختلفة فيفتح الله لهم فتنة غبرا مظلمة
فيتهاوكون فيها والذي نفس محمد بيده لينتقضن الاسلام
عروة عروة حتى لا يقال الله الله لتامرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سو العذاب
ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم لتامرن بالمعروف ولتنهون

عن المنكر او ليبعثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر كبيركم ٭
وفي معجم الطبراني وغيره من حديث سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طفف قوم كيلا ولا بخسوا
ميزانا الا منعهم الله عز وجل القطر ٭ وما ظهر في قوم الزنا الا ظهر
فيهم الموت ٭ وما ظهر في قوم الربا الا سلط الله عليهم الجنون ٭ وما
ظهر في قوم القتل يقتل بعضهم بعضا الا سلط الله عليهم عدوهم ٭
ولا ظهر في قوم عمل قوم لوط الا ظهر فيهم الخسف ٭ وما ترك قوم
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا لم ترفع اعمالهم ولم يسمع دعاهم ٭
ورواه ابن ابي الدنيا من حديث ابراهيم ابن الاشعث عن عبد الرحمن
ابن زيد عن ابيه عن سعيد وفي المسند وغيره من حديث عروة
عن عايشة قالت دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
حفزه النفس فعرفت في وجهه ان قد حفزه شي فما تكلم حتى
توضا وخرج فلصقت بالحجرة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه
ثم قال ايها الناس ان الله عز وجل يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا
عن المنكر قبل ان تدعوني فلا اجيبكم وتستنصروني فلا
انصركم وتسالوني فلا اعطيكم وقال العمران الزاهد ان من
غفلتك عن نفسك واعراضك عن الله ان ترى ما يسخط الله فتجاوزه

ولا تامر فيه ولا تنهى عنه خوفا ممن لا يملك ضرا ولا نفعا وقال
من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة من المخلوقين
نزعت منه الطاعة ولو امر ولده او بعض مواليه لاستخفوا
بحقه ٭ وذكر الامام احمد في مسنده من حديث قيس ابن ابي
حازم قال قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا ايها الناس
انكم تتلون هذه الاية وانكم تضعونها على غير مواضعها
يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا الظالم
فلم ياخذوا على يديه وفي لفظ اذا راوا المنكر فلم يغيروه اوشك
ان يعمهم الله بعذاب من عنده ٭ وذكر الاوزاعي عن يحيى ابن
ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا خفيت الخطيئة لم تضر الا صاحبها واذا ظهرت فلم تغير
ضرت العامة ٭ وذكر الامام احمد عن عمر ابن الخطاب قال يوشك
القران تخرب وهي عامرة قيل وكيف تخرب وهي عامرة قال
اذا علا فجارها ابرارها وساد القبيلة منافقوها ٭ وذكر
الاوزاعي عن حسان ابن عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
سيظهر شرار امتي على خيارها حتى يستخفي المومن فيهم كما يستخفي

المنافق فينا اليوم. وذكر ابن ابي الدنيا من حديث ابن عباس يرفعه
قال يأتي زمان يذوب فيه قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء
قيل مم ذاك يا رسول الله قال مما يرى من المنكر لا يستطيع
ان يغيره. وذكر الامام احمد من حديث جرير ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم اعز واكثر ممن
يعمله لم يغيروه الا عمهم الله بعقاب. وفي صحيح البخاري عن
اسامة ابن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه
في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع عليه اهل النار
فيقولون اي فلان ما شانك الست كنت تامرنا بالمعروف
وتنهانا عن المنكر قال كنت امركم بالمعروف ولا اتيه وانهاكم
عن المنكر واتيه. وذكر الامام احمد عن مالك ابن دينار قال
كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى منزله الرجال والنساء
فيعظهم ويذكرهم ايام الله فرأى بعض بنيه يوما يغمز النساء فقال
مهلا يا بني فسقط من سريره فانقطع نخاعه واسقطت امراته
وقتل بنوه فاوحى الله الى نبيهم ان اخبر فلان الحبر اني لا اخرج
من صلبك صديقا ابدا ما كان غضبك لي الا ان قلت مهلا يا

بني

بني. وذكر الامام احمد من حديث عبد الله ابن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم ومحقرات الذنوب فانهن
يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا ارض فلاة فحضر صنيع
القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى
جمعوا سوادا واججوا نارا وانضجوا ما قذفوا فيها. وفي صحيح
البخاري عن انس ابن مالك قال انكم لتعملون اعمالا هي ادق في
اعينكم من الشعر ان كنا لنعدها على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الموبقات. وفي الصحيحين من حديث عبد الله ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عذبت امراة في هرة
سجنتها حتى ماتت فدخلت النار لا هي اطعمتها ولا سقتها ولا تركتها
تاكل من خشاش الارض. وفي الحلية لابي نعيم عن حذيفة انه
قيل له في يوم واحد تركت بنو اسرائيل دينهم قال لا ولكنهم
اذا امروا بشيء تركوه واذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا من
دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه. ومن ههنا قال بعض السلف
المعاصي بريد الكفر كما ان القبلة بريد الجماع والغنا
بريد الزنا والنظر بريد العشق والمرض بريد الموت. وفي

الحلية ايضا عن ابن عباس انه قال يا صاحب الذنب لا تامن سوء عاقبته
ولما يتبع الذنب اعظم من الذنب اذا عملته قلة حيائك ممن على
اليمين وعلى الشمال وانت على الذنب اعظم من الذنب وضحكك
وانت لا تدري ما الله صانع بك اعظم من الذنب وفرحك
بالذنب اذا ظفرت به اعظم من الذنب وحزنك على الذنب
اذا فاتك اعظم من الذنب وخوفك من الريح اذا حركت ستر
بابك وانت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله
اليك اعظم من الذنب ويحك هل تدري ما كان ذنب ايوب
فابتلاه الله بالبلاء في جسده وذهاب ماله استغاث به مسكين
على ظالم يدرأه عنه فلم يغثه ولم ينه الظالم عن ظلمه فابتلاه
الله قال الامام احمد حدثنا الوليد قال سمعت الاوزاعي يقول
سمعت بلال ابن سعد يقول لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر
الى من عصيت وقال الفضيل ابن عياض بقدر ما يصغر الذنب
عندك يعظم عند الله وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله
وقيل اوحى الله الى موسى يا موسى ان اول من مات من خلقي ابليس
وذلك انه عصاني وانما اعد من عصاني من الاموات وفي
المسند وجامع الترمذي من حديث ابي صالح عن ابي هريرة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا اذنب
نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل
قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي
ذكر الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
قال الترمذي هذا حديث صحيح وقال حذيفة اذا اذنب
نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يصير قلبه كالشاة السوداء وقال
الامام احمد حدثنا يعقوب قال حدثنا ابي صالح عن ابن شهاب
قال حدثني عبيد الله ابن عبد الله ابن عتبة عن عبد الله ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما بعد يا معشر قريش
فانكم اهل لهذا الامر ما لم تعصوا الله فاذا عصيتموه بعث
عليكم من يلحاكم كما يلحى هذا القضيب لقضيب في يده ثم لحى
قضيبه فاذا هو ابيض يصلد وذكر الامام احمد عن وهب
ان الرب عز وجل قال في بعض ما يقول لبني اسرائيل اني
اذا اطعت رضيت واذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية
واذا عصيت غضبت واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع
من الولد وذكر ايضا عن وكيع عن عامر قال كتبت عائشة
الى معاوية اما بعد فان العبد اذا عمل بمعصية الله عاد

حامده من الناس ذامًا وذكر ابو نعيم عن سالم ابن ابي الجعد عن ابي
الدردا قال ليحذر امرؤ ان تلعنه قلوب المومنين من
حيث لا يشعر ثم قال تدري مم هذا قلت لا قال العبد يخلو
بمعاصي الله فيلقي الله بغضه في قلوب المومنين من حيث
لا يشعر وذكر عبد الله ابن احمد في كتاب الزهد لابيه عن محمد
ابن سيرين انه لما ركبه الدين اغتم لذلك فقال اني لاعرف
هذا الغم بذنب اصبته منذ اربعين سنة وها هنا نكتة
دقيقة يغلط فيها الناس في امر الذنب وهي انهم لا يرون تاثيره
في الحال وقد يتاخر تاثيره فينسى ويظن العبد انه لا يغبر بعد ذلك
وان الامر كما قال القايل اذا لم يغبر حايط في وقوعه
فليس له بعد الوقوع غبار وسبحان الله ماذا اهلكت هذه
البلية من الخلق وكم ازالت من نعمة وكم جلبت من نقمة وما
اكثر المغترين بها من العلما فضلا عن الجهال ولو يعلم المغتر
ان الذنب ينقض ولو بعد حين كما ينقض السم وكما ينقض
الجرح المندمل على الغش والدغل وقد ذكر الامام احمد عن ابي
الدردا اعبدوا الله كانكم ترونه وعدوا انفسكم في الموتى
واعلموا ان قليلا يغنيكم خير من كثير يلهيكم واعلموا ان

البر

البر لا يبلى وان الاثم لا ينسى ونظر بعض العباد الى صبي
فتامل محاسنه فاوتي في منامه وقيل له لتجدن غبها
بعد اربعين سنة هذا مع ان الذنب نقدا معجلا لا يتاخر
عنه قال سليمان التيمي ان الرجل ليصيب الذنب في السر
فيصبح وعليه مذلته وقال ذو النون من خان الله في السر
هتكه الله في العلانية وقال يحيى بن معاذ الرازي عجبت
من ذي عقل يقول في دعايه اللهم لا تشمت بي الاعدا ثم هو يشمت
بنفسه كل عدو له قيل وكيف ذاك قال يعصي الله ويشمت
به في القيامة كل عدو له **فصل** وللمعاصي من الاثار
القبيحة المذمومة المضرة للقلب والبدن والدنيا والاخرة
ما لا يعلمه الا الله فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله
في القلب والمعصية تطفي ذلك النور ولما جلس الشافعي
بين يدي مالك وقرا عليه اعجبه ما راى من وفور فطنته
وتوقد ذكايه وكمال فهمه فقال اني ارى الله قد القى على
قلبك نورا فلا تطفه بظلمة المعصية وقال الشافعي
شكوت الى وكيع سو حفظي فارشدني الى ترك المعاصي
وقال اعلم بان العلم فضل وفضل الله لا يوتاه عاصي ومنها

حرمان الرزق وفي المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب
يصيبه وقد تقدم وكما ان تقوى الله مجلبة للرزق
فترك التقوى مجلبة للفقر فما استجلب رزق الله بمثل ترك
المعاصي ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين
الله لا توازنها ولا تقارنها لذة اصلا ولو اجتمعت له لذات
الدنيا باسرها لم تف بتلك الوحشة وهذا امر لا يحس به الا
من في قلبه حياة وما لجرح بميت ايلام فلو لم تترك الذنوب
الا حذرا من وقوع تلك الوحشة لكان العاقل حريا بتركها
وشكا رجل الى بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه فقال
له اذا كنت قد اوحشتك الذنوب فدعها اذا شئت واستا
نس وليس على القلب امر من وحشة الذنب على الذنب فالله
المستعان ومنها الوحشة التي تحصل له بينه وبين الناس
ولا سيما اهل الخير منهم فانه يجد وحشة بينهم وبينه وكلما
قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم وحرم بركة
الانتفاع بهم وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب
الرحمن وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فيقع بينه وبين
امراته وولده واقاربه وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشا

من نفسه وقال بعض السلف اني لاعصي الله فارى ذلك في خلق
دابتي وامراتي ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر
الا يجده مغلقا دونه او متعسرا عليه وهذا كما ان من اتقى
الله جعل له من امره يسرا فمن عطل التقوى جعل له من امره
عسرا فيالله العجب كيف يجد العبد ابواب الخير والمصالح
مسدودة عنه وطرقها متعسرة عليه وهو لا يعلم من اين اتي
ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة
الليل البهيم اذا ادلهم فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة
الحسية لبصره فان الطاعة نور والمعصية ظلمة وكلما
قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات
والامور المهلكة وهو لا يشعر كاعمى خرج في ظلمة الليل
يمشي وحده وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين ثم تقوى
حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه يراه كل احد قال
عبد الله ابن عباس ان للحسنة ضياء في الوجه ونورا
في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في
قلوب الخلق وللسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب
ووهنا ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق ومنها

ومنها ان المعاصي توهن القلب والبدن اما وهن القلب
فامر ظاهر لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية واما وهنها
للبدن فان المومن قوته في قلبه وكلما قوي قلبه قوي
بدنه واما الفاجر فانه ان كان قوي البدن فهو اضعف
شي عند الحاجة اليه فتخونه قوته احوج ما يكون الى نفسه
وتامل قوة ابدان فارس والروم وكيف خانتهم احوج
ما كانوا اليها وقهرهم اهل الايمان بقوة ابدانهم وقلوبهم
ومنها حرمان الطاعة فلو لم يكن للذنب عقوبة الا ان
يصد عن طاعة يكون بدله ويقطع طريق طاعة اخرى
فينقطع عليه بالذنب طريق ثالثة ثم رابعة وهلم جرا
فينقطع عليه بالذنب طاعات كثيرة كل واحد منها خير
له من الدنيا وما عليها وهذا الرجل اكل اكلة اوجبت له
مرضة طويلة منعته من عدة اكلات اطيب منها فالله المستعان
ومنها ان المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته ولا بد فان البر
كما يزيد في العمر فالفجور يقصر العمر وقد اختلف الناس في
هذا الموضع فقالت طائفة نقصان عمر العاصي هو ذهاب
بركة عمره ومحقها عليه وهذا حق وهو بعض تاثير المعاصي وقالت
طايفه

طايفة بل تنقصه حقيقة كما ينقص الرزق فجعل الله سبحانه
البركة في الرزق اسبابا تكثره وتزيده وللبركة في العمر
اسبابا تكثره وتزيده قالوا ولا يمنع زيادة العمر باسباب
كما ينقص باسباب فالارزاق والاجال والسعادة والشقاوة
والصحة والمرض والغنا والفقر ان كانت بقضا الله عز
وجل فهو يقضي بما يشا باسباب جعلها موجبة لمسبباتها مقتضية
لها وقالت طايفة اخرى تاثير المعاصي في محق العمر انما هو من
باب حقيقة الحياة هي حياة القلب ولهذا جعل الله سبحانه
الكافر ميتا غير حي كما قال تعالى اموات غير احيا فالحياة في
الحقيقة حياة القلب وعمر الانسان مدة حياته فليس عمره الا
اوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره بالبر والتقوى والطاعة
تزيد في هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها
وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت
عليه ايام حياته الحقيقية التي يجد غب اضاعتها يوم يقول
يا ليتني قدمت لحياتي فلا يخلو اما ان يكون له مع ذلك تطلع
تطلع الى مصالحه الدنيوية والاخروية او لا فان لم يكن له
تطلع الى ذلك ضاع عليه عمره كله وذهبت حياته باطلا

وان كان له تطلع الى ذالك ضاعت عليه الطريق بسبب العوايق
وتعسرت عليه اسباب الخير بحسب اشتغاله باضدادها وذلك
نقصان حقيقي من عمره وسر المسالة ان عمر الانسان مدة
حياته ولا حياة له الا باقباله على ربه والتنعم بحبه وذكره
وايثار مرضاته **فصل** ومنها ان المعاصي تزرع امثالها
وتولد بعضها بعضا حتى تعسر على العبد مفارقتها والخروج
منها كما قال بعض السلف ان عقوبة السيئة السيئة بعدها وان
من ثواب الحسنة الحسنة بعدها فالعبد اذا عمل حسنة قالت
اخرى الى جانبها اعملني فاذا عملها قالت الثالثة كذالك وهلم
جرا فتضاعف الربح وتزايدت الحسنات وكذالك جانب السيات
ايضا حتى تصير الطاعات والمعاصي هيات راسخة وصفات
لازمة وملكات ثابتة فلو عطل المحسن الطاعة لضاقت
عليه نفسه وضاقت عليه الارض بما رحبت واحس من نفسه
كانه كالحوت اذا فارق الما حتى يعاودها فتسكن نفسه
وتقر عينه ولو عطل المجرم المعصية واقبل على الطاعة لضاقت
عليه نفسه وضاق صدره واعيت عليه مذاهبه حتى يعاودها
وان كثيرا من الفساق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها ولا

داعية

داعية اليها الا لما يجد من الالام بمفارقتها كما صرح بذالك شيخ
القوم الحسن ابن هاني حيث يقول شعر وكاس شربت
على لذة واخرى تداويت منها بها وقال اخر فكانت دواي
وهي داي بعينه كما يتداوى شارب الخمر بالخمر ولا يزال
العبد يعاني الطاعة ويالفها ويحبها ويوثرها حتى يرسل الله
سبحانه برحمته اليه الملايكة تؤزه اليها ازا وتحرضه عليها
او تزعجه عن فراشه ومجلسه اليها ولا يزال يالف المعاصي
ويحبها ويوثرها حتى يرسل الله عليه الشياطين فتؤزه اليها
ازا فالاول قوي جند الطاعة بالمدد فصاروا من اكبر اعوانه
وهذا قوى جند المعصية بالمدد فكانوا اعوانا عليه
فصل وهو من اخوفها على العبد انها تضعف القلب
عن ارادته فتقوى ارادة المعصية وتضعف ارادة التوبة
شيا فشيا الى ان تنسلخ من قلبه ارادة التوبة بالكلية
فلو مات نصفه لما تاب الى الله فياتي من الاستغفار وتوبة
الكاذبين باللسان بشي كثير وقلبه معقود بالمعصية مصر
عليها عازم على مواقعتها متى امكنه وهذا من اعظم الامراض
واقربها الى الهلاك **فصل** ومنها انه ينسلخ من القلب استقباحها

منصور له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم
فيه وهذا عند ارباب الفسوق هو غاية التهتك وتمام اللذة
حتى يفتخر احدهم بالمعصية ويحدث بها من لم يعلم انه عملها فيقول
يا فلان عملت كذا وكذا وهذا الضرب من الناس لا يعافون منه
ويسد عليهم طريق التوبة وتغلق عنهم ابوابها في الغالب كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم كل امتي معافا الا المجاهرين وان من الاجهار
ان يستر الله على العبد ثم يصبح يفضح نفسه ويقول يا فلان عملت
يوم كذا وكذا كذا وكذا فيهتك نفسه وقد بات يستره ربه
ومنها ان كل معصية من المعاصي فهي ميراث عن امة من الامم
الذي اهلكها الله عز وجل فاللوطية ميراث عن قوم لوط
واخذ الحق الزائد ودفعه الناقص ميراث عن قوم شعيب
والعلو في الارض والفساد ميراث عن قوم فرعون والتكبر
والتجبر ميراث عن قوم هود فالعاصي لابس ثياب بعض هذه
الامم هم اعداء الله وقد روى عبد الله ابن احمد في كتاب الزهد
لابيه عن مالك ابن دينار قال اوحى الله الى نبي من انبياء بني اسرائيل
ان قل لقومك لا يدخلوا مداخل اعدائي ولا يطعموا مطاعم اعدائي
ولا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يركبوا مراكب اعدائي فيكونوا اعدائي
كا

كما هم اعدائي وفي مسند احمد من حديث عبد الله ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى
يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي
وجعل الذلة والصغار على من خالف امري ومن تشبه بقوم
فهو منهم **فصل** ومنها ان المعصية سبب لهوان العبد
على ربه وسقوطه من عينه قال الحسن البصري هانوا عليه
فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم واذا هان العبد على الله
لم يكرمه احد كما قال تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم وان
اعظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم اليهم او خوفا من شرهم فهم في
قلوبهم احقر شيء واهونه ومنها ان العبد لا يزال يرتكب الذنب
حتى يهون عليه ويصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك فان
الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله وقد ذكر البخاري
في صحيحه عن ابن مسعود قال ان المؤمن يرى ذنوبه كانه
في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه
كذباب وقع على انفه فقال هكذا فطار **فصل**
ومنها ان غيره من الناس والدواب يعود عليه شوم ذنوبه
فيحترق هو وغيره بشوم الذنوب والظلم قال ابو هريرة رض

رضي الله عنه ان الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم وقال
مجاهد ان البهائم تلعن عصاة بني ادم اذا اشتدت السنة
وامسك المطر وتقول هذا بشوم معصية بني ادم وقال عكرمة
دواب الارض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون منعنا
القطر بذنوب بني ادم فلا يكفيه عقاب ذنبه حتى يلعنه من
لا ذنب له **فصل** ومنها ان المعصية تورث الذل ولا
بد فان العز كل العز في طاعة الله قال الله تعالى من كان
يريد العزة فلله العزة جميعا اي فليطلبها بطاعة الله فانه
لا يجدها الا في طاعته وكان من دعا بعض السلف اللهم
اعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك قال الحسن البصري انهم
وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين ان ذل المعصية
لا يفارق قلوبهم ابى الله الا ان يذل من عصاه **قال عبد الله
ابن المبارك شعر** رايت الذنوب تميت القلوب وقد يورث
الذل ادمانها ٭ وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك
عصيانها ٭ وهل افسد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها
فصل ومنها ان المعاصي تفسد العقل فان للعقل نورا
والمعصية تطفي نور العقل ولا بد واذا طفي نوره ضعف
ونقص

ونقص قال بعض السلف ما عصى الله احد حتى يغيب عقله
وهذا ظاهر فانه لو حضره عقله لحجزه عن المعصية وهو في
قبضة الرب تعالى وتحت قهره وهو مطلع عليه وفي داره
وعلى بساطه وملايكته يشهدون عليه ناظرون اليه
وواعظ القران ينهاه والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا
والاخرة اضعاف اضعاف ما يحصل له من السرور واللذة
بها فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله والاستخفاف به
ذو عقل سليم **فصل** ومنها ان الذنوب اذا تكاثرت
طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين كما قال بعض السلف
في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
قال الذنب على الذنب وقال الحسن هو الذنب بعد الذنب
حتى يعمي القلب وقال غيره لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم احاطت
بقلوبهم واصل هذا ان القلب يصدا من المعصية فان زادت
غلب الصدا حتى يصير رانا ثم يغلب حتى يصير طبعا وقفلا وختما
فيصير القلب في غشاوة وغلاف فان حصل له بعد ذلك الهدى
والبصيرة انتكس فصار اعلاه اسفله فحينئذ يتولاه عدوه
ويسوقه حيث اراد **فصل** ومنها ان الذنوب تدخل

العبد تحت لعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لعن على
معاصي وغيرها اكبر منها فهي اولا بدخول فاعلها تحت اللعنة
فلعن الله الواشمة والمستوشمة والواصلة والموصولة والنامصة
والمتنمصة والواشرة والمستوشرة ولعن اكل الربا وموكله
وكاتبه وشاهديه ولعن المحلل والمحلل له ولعن السارق
ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبايعها
ومشتريها واكل ثمنها وحاملها والمحمول اليه ولعن من غير منار
الارض وهي اعلامها وحدودها ولعن من لعن والديه ولعن
من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا يرميه بالسهام ولعن المخنثين
من الرجال والمترجلات من النسا ولعن من ذبح لغير الله
ولعن من احدث حدثا او اوى محدثا ولعن المصورين ولعن
من عمل عمل قوم لوط ولعن من سب اباه ولعن من سب امه ولعن
من كمه اعمى عن الطريق ولعن من اتى بهيمة ولعن من وسم
دابة في وجهها ولعن من ضار مسلما او مكر به ولعن زوارات
القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ولعن من افسد
امراة على زوجها او مملوكا على سيده ولعن من اتى امراة
في دبرها واخبر ان اي امراة باتت مهاجرة فراش زوجها

لعنتها

لعنتها الملائكة حتى تصبح ولعن من انتسب الى غير ابيه واخبر
ان من اشار الى اخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه ولعن
من سب اصحابه وقد لعن الله من افسد في الارض وقطع
رحمه واذى رسوله ولعن من كتم ما انزل الله من البينات والهدى
ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة
ولعن من جعل الكافر اهدى من سبيل المسلم ولعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الرجل الذي يلبس لبسة المراة والمراة
تلبس لبسة الرجل ولعن الراشي والمرتشي والرائش هو الواسطة
في الرشوة ولعن على اشيا اخر غير هذه فلو لم يكن في فعل
ذالك الا رضا فاعله بان يكون ممن يلعنه الله ورسوله
وملائكته لكان في ذالك ما يدعو الى تركه **فصل**
ومنها حرمان دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والملائكة
فان الله سبحانه امر نبيه ان يستغفر للمؤمنين والمؤمنات
وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد
ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت
كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم
عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح

من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم
السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فهذا دعا الملائكة
للمومنين التابعين المتبعين لكتابه وسنة رسوله الذين
لاسبيل لهم غيرهما فلا يطمع هو باجابة هذه الدعوة اذا لم
يتصف بصفات المدعو له بها والله المستعان

فصل

ومن عقوبات المعاصي ما رواه البخاري في صحيحه من حديث
سمرة ابن جندب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم مما يكثر
ان يقول لاصحابه هل رأى احد منكم البارحة رؤيا فيقص
عليه من شا الله ان يقص وانه قال لنا ذات غداة انه اتاني
الليلة اتيان وانهما ابتعثاني وانهما قالا لي انطلق واني انطلقت
معهم وانا اتينا على رجل مضطجع واذا اخر قايم عليه
بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة لراسه فيثلغ راسه
فيتدهده الحجر هاهنا فيتبع الحجر فياخذه فلا يرجع اليه
حتى يصح راسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما
فعل في المرة الاولى قال قلت لهما سبحان الله ما هذا قالا لي
انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على رجل مستلق لقفاه واذا
اخر قايم عليه بكلوب من حديد واذا هو ياتي احد شقي

وجهه فيشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه
الى قفاه ثم يتحول الى الجانب الاخر فيفعل به مثل ما
فعل بالجانب الاول فما يفرغ من ذالك الجانب حتى يصح
ذالك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما
فعل في المرة الاولى قال قلت سبحان الله ما هذا فقالا لي
انطلق انطلق فانطلقت فاتينا على مثل التنور فاذا فيه
لغط واصوات قال فاطلعنا فيه فاذا فيه رجال ونسا
عراة واذاهم ياتيهم لهب من اسفل منهم فاذا اتاهم ذالك
اللهب ضوضوا فقال قلت ما هولا قالا لي انطلق انطلق
فانطلقنا فاتينا على نهر احمر مثل الدم فاذا في النهر رجل
سابح يسبح واذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة
كثيرة واذا ذالك السابح يسبح ما سبح ثم ياتي ذالك الذي
قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرا قلت لهما
ما هذا قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا على رجل كريه المراي
او كاكره ما انت راي رجلا مراي واذا عنده نار يحشها
ويسعى حولها قال قلت لهما ما هذا قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا
على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع واذا بين ظهري

الروضة رجل طويل لا اكاد ارى راسه طولا في السما واذا حول
الرجل من اكثر ولدان رايتهم قط قال قلت ما هولا قالا لي
انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على دوحة عظيمة لم ار قط دوحة
اعظم منها ولا احسن قال قالا لي ارق فيها فارتقينا فيها الى مدينة
مبنية بلبن ذهب ولبن فضة قال فاتينا باب المدينة فاستفتحنا
ففتح لنا فدخلنا فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن ما انت
راي وشطر منهم كاقبح ما انت راي قال قالا لهم اذهبوا فاقعوا
في ذالك النهر واذا نهر معترض يجري كان ماوه المحض من
البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذالك
السو عنهم قال قالا لي هذه جنة عدن وهذاك منزلك قال
فسما بصري صعدا فاذا قصر مثل الربابة البيضا قال قالا لي
هذاك منزلك قال قلت لهما بارك الله فيكما فذراني ادخله
قال اما الان فلا وانت داخله قال قلت لهما فاني رايت منذ الليلة
عجبا فما هذا الذي رايت قال قالا لي اما انا سنخبرك اما الرجل الاول
الذي اتيت عليه يثلغ راسه بالحجر فانه الرجل ياخذ القرآن
فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة واما الرجل الذي اتيت
عليه يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه

فانه

فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الافاق:
واما الرجال والنسا العراة الذين هم في مثل بنا التنور فانهم
الزناة والزواني واما الرجل الذي اتيت عليه يسبح في النهر
ويلقم الحجارة فانه اكل الربا واما الرجل الكريه المراه الذي
عند النار يحشها ويسعى حولها فانه مالك خازن النار جهنم
واما الرجل الطويل الذي في الروضة فانه ابراهيم الخليل واما الولدان
الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة وفي رواية البرقاني
ولد على الفطرة فقال بعض المسلمين يا رسول الله واولاد المشركين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين واما القوم
الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا
عملا صالحا واخر سيئا تجاوز الله عنهم **فصل** ومن اثار
الذنوب والمعاصي انها تحدث في الارض انواعا من الفساد في المياه
والهوى والزروع والثمار والمساكن قال الله تعالى ظهر الفساد
في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا
لعلهم يرجعون قال مجاهد اذا ولي الظالم سعى بالظلم
والفساد فيحبس الله بذالك القطر فيهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد ثم قرا ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت

ايدي الناس لآية ثم قال اما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قرية
على ماء جار فهو بحر قال عكرمة ظهر الفساد في البر والبحر اما
اني لا اقول بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء قال قتادة اما
البر فاهل العمود واما البحر فاهل الفري والريف قلت وقد
سمى الله الماء العذب بحرا فقال وهو الذي مرج البحرين هذا
عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج وليس في العالم بحر
حلو واقف دائما بين الانهار الجارية والبحر المالح وهو الساكن
تسمى الفري التي عليها المياه الجارية باسم تلك المياه وقال ابن
زيد ظهر الفساد في البر والبحر قال الذنوب قلت اراد ان الذنوب
سبب الفساد الذي ظهر وان اراد ان الفساد الذي ظهر هو
الذنوب بنفسها فيكون قوله ليذيقهم لام العاقبة والتعليل
وعلى الاول فالمراد بالفساد النقص والشر والآلام التي يحدثها
الله في الارض عند معاصي العباد فكلما احدثوا ذنبا احدث
لهم عقوبة كما قال بعض السلف كلما احدثتم ذنبا احدث الله لكم
من سلطانه عقوبة والظاهر والله اعلم ان الفساد المراد به الذنوب
وموجباتها ويدل عليه قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا فهذا
حالنا وانما اذاقنا الشيء اليسير من اعمالنا ولو اذاقنا كل اعمالنا

لما ترك على ظهرها من دابة ومن تاثير المعاصي في الارض ما يحل
بها من الخسف والزلازل ومحق بركتها وقد مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ديار ثمود فمنعهم من دخول ديارهم
ومن شرب مائهم ومن الاستقاء من ابارهم حتى امر ان يعلف العجين
الذي عجن بمائهم النواضح لتاثير شوم المعصية في الماء وكذلك
شوم تاثير الذنوب في نقص الثمار وما ترمى به من الافات وقد
ذكر الامام احمد في مسنده في ضمن حديث قال وجد في خزائن بني
امية حنطة الحبة بقدر نواة التمرة وهي في صرة مكتوب عليها
هذا كان ينبت في زمن العدل وكثير من هذه الافات احدثها
الله سبحانه بما احدث العباد من الذنوب واخبرني جماعة من
شيوخ الصحراء انهم كانوا يعهدون الثمار اكبر مما هي الان وكثير
من هذه الافات التي تصيبها لم يكونوا يعرفونها وانما حدثت
من قريب واما تاثير الذنوب في الصور والخلق فقد روى الترمذي
في جامعه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله تعالى آدم وطوله
في السماء ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقصون حتى الان فاذا
يطهر الله سبحانه الارض من الظلمة والفجرة والخونة ويخرج
عبدا من عباده من اهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم فيملأ الارض

قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ويقتل المسيح اليهود والنصارى ويقيم
الدين الذي بعث الله به رسوله وتخرج الارض بركتها وتعود
كما كانت حتى ان العصابة من الناس ليأكلون الرمانة ويستظلون
بقحفها ويكون العنقود من العنب وقر بعير وان اللقحة
الواحدة لتكفي الفئام من الناس وهذا لان الارض لما طهرت من
المعاصي ظهرت فيها آثار البركة من الله التي محقتها الذنوب
والكفر ولا ريب ان العقوبات التي انزلها في الارض تبقى آثارها
سائرة في الارض تطلب ما يشاكلها من الذنوب التي هي آثار تلك
الجرائم التي عذبت بها الامم فهذه الآثار في الارض من آثار تلك
العقوبات كما ان هذه المعاصي من آثار تلك الجرائم فتناسبت كلمة
الله وحكمه الكوني اولا وآخرا وكان العظيم من العقوبة
للعظيم من الجناية والاخف للاخف وهكذا يحكم سبحانه بين خلقه
في دار البرزخ ودار الجزاء وتأمل مقارنة الشيطان ومحله وداره
فانه لما قارن العبد واستولى عليه نزعت البركة من عمره وعمله
وقوله ورزقه ولما اثرت طاعته في الارض نزعت البركة من كل
محل ظهرت فيه طاعته وكذلك مسكنه لما كان الجحيم لم يكن
هناك شيء من الروح والرحمة والبركة **فصل** ومن عقوبات

الذنوب انها تطفئ من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه
الغريزية لحياة جميع البدن فالغيرة حرارته وناره التي تخرج
ما فيه من الخبث كالحرارة والصفات المذمومة كما يخرج
الكير خبث الذهب والحديد والفضة واشرف الناس واعلاهم
همة اشدهم غيرة على نفسه وخاصته وعموم الناس ولهذا
كان النبي صلى الله عليه وسلم اغير الخلق على الامة والله سبحانه
اشد غيرة منه كما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال اتعجبون من غيرة سعد لانا اغير منه والله اغير
مني وفي الصحيح ايضا انه قال في خطبة الكسوف يا امة محمد
ما احد اغير من الله ان يزني عبده او تزني امته وفي الصحيح
ايضا عنه قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من
اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا احد احب
اليه المدح من الله من اجل ذلك اثنى على نفسه فجمع في هذا الحديث
بين الغيرة التي هي اصلها كراهة القبائح وبغضها وبمحبته
العذر الذي يوجب كمال العدل والرحمة والاحسان وانه
سبحانه مع شدة غيرته يحب ان يعتذر اليه عبده ويقبل

عذر من اعتذر اليه وانه لا يؤاخذ عبيده بارتكاب ما يغار
ارتكابه حتى يعذر اليهم ولاجل ذلك ارسل رسله وانزل
كتبه اعذارا وانذارا وهذا غاية المجد والاحسان ونهاية
الكمال فان كثيرا ممن تشتد غيرته من المخلوقين تحمله شدة
الغيرة على سرعة الايقاع والعقوبة من غير اعذار منه ومن
غير قبول العذر ممن اعتذر اليه بل يكون له في نفس الامر
عذر ولا تدعه شدة الغيرة ان يقبل عذره وكثير ممن يقبل
المعاذير يحمله على قبولها قلة الغيرة حتى يتوسع في طرق
المعاذير ويرى عذرا ما ليس بعذر حتى يعذر كثيرا منهم بالقدر
وكل منهما غير ممدوح على الاطلاق وقد صح عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان من الغيرة ما يحبها الله ومنها ما يبغضه الله
فالتي يبغضها الله الغيرة من غير ريبة وذكر الحديث وانما
الممدوح اقتران الغيرة بالعذر فيغار في محل الغيرة ويعذر
في موضع العذر ومن كان هكذا فهو الممدوح حقا ولما جمع
الله سبحانه صفات الكمال كلها كان احق بالمدح من كل
احد ولا يبلغ احد ان يمدحه كما ينبغي له بل هو كما مدح نفسه
واثنى على نفسه فالغيور قد وافق ربه سبحانه في صفة من صفاته

ومن

ومن وافق الله في صفة من صفاته قادته الصفة اليه بزمامه
وادخلته على ربه وادنته منه وقربته من رحمته وصيرته
محبوبا له فانه سبحانه رحيم يحب الرحما وكريم يحب الكرما
وعليم يحب العلما وقوي يحب المؤمن القوي وهو احب اليه
من المؤمن الضعيف حتى يحب اهل الحيا وجميل يحب الجمال
ووتر يحب الوتر ولو لم يكن في الذنوب والمعاصي الا انها
توجب لصاحبها ضد هذه الصفات وتمنعه من الاتصاف بها
لكفى بها عقوبة فان الخطرة تنقلب وسوسة والوسوسة
تصير ارادة والارادة تقوى فتصير عزيمة ثم تصير فعلا ثم
تصير صفة لازمة وهيئة ثابتة راسخة وحينئذ يتعذر الخروج
منها كما يتعذر الخروج من صفاته القائمة به والمقصود انه
كلما اشتدت ملابسة الذنوب اخرجت من القلب الغيرة
على نفسه واهله وعموم الناس وقد تضعف في القلب جدا
حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره واذا
وصل الى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك وكثير من هولاء
لا يقتصر على عدم الاستقباح بل يحسن الفواحش والظلم
لغيره ويزينه له ويدعوه اليه ويحثه عليه ويسعى له في تحصيله

ولهذا كان الديوث اخبث خلق الله والجنة حرام عليه وكذلك
محلل الظلم والبغي لغيره ومزينه له فانظر ما الذي حملت عليه
قلة الغيرة وهذا يدلك على ان اصل الدين الغيرة ومن لا
غيرة له لا دين له فالغيرة تحمي القلب وتحمي له الجوارح فتدفع
السوء والفواحش وعدم الغيرة يميت القلب فتموت الجوارح
فلا يبقى عندها دفع البتة ومثل الغيرة في القلب مثل القوة
التي تدفع المرض وتقاويه فاذا ذهبت القوة وجد الداء
المحل قابلا ولم يجد دافعا فكان الهلاك ومثلها مثل حياط
الجاموس الذي يدفع بها عن نفسه وولده فاذا كسرت
طمع فيه عدوه **فصل** ومن عقوباتها ذهاب الحياء
الذي هو مادة حياة القلب وهو اصل كل خير وذهابه
ذهاب الخير اجمعه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال الحياء خير كله وقال ان مما ادرك الناس من كلام النبوة
الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وفيه تفسيران احدهما
على التهديد والوعيد والمعنى من لم يستحي فانه يصنع ما شاء
من القبائح اذ الحامل على تركها الحياء فاذا لم يكن هناك
حياء يردعه عن القبائح فانه يواقعها وهذا تفسير ابو عبيد الثاني

ان

ان الفعل اذا لم تستحي منه من الله فافعله وانما الذي ينبغي
تركه ما يستحيا منه من الله وهذا تفسير الامام احمد في رواية
ابن هانئ فعلى الاول يكون تهديدا كقوله اعملوا ما شئتم
وعلى الثاني يكون اذنا واباحة فان قيل فهل من سبيل الى
حمله على المعنيين قلت لا ولا على قول من يحمل على المشترك
على جميع معانيه لما بين الاباحة والتهديد من المنافاة
ولكن اعتبار احد المعنيين يوجب اعتبار الاخر والمقصود
ان الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه
بالكلية حتى انه ربما لا يتأثر بعلم سوء حاله وقبيح ما يفعله والحامل
له على ذلك انسلاخه من الحياء واذا وصل العبد الى هذه
لم يبق في صلاحه مطمع واذا رأى ابليس طلعة وجهه حياه
وقال له فديت من لا يفلح والحياء مشتق من الحياة والغيث
يسمى حيا بالقصر لان به حياة الارض والنبات والدواب
وكذلك بالحياء حياة الدنيا والاخرة ومن لا حياء فيه ميت
في الدنيا شقي في الاخرة وبين الذنوب وبين قلة الحياء وعدم
الغيرة تلازم من الطرفين وكل منهما يستدعي الاخر ويطلبه
حثيثا ومن استحيا من الله عند معصيته استحيا الله من عقوبته

يوم يلقاه ومن لم يستحي من معصيته لم يستحي من عقوبته
فصل ومن عقوبات الذنوب انها تضعف في القلب
تعظيم الرب جل جلاله وتضعف وقاره في قلب العبد ولا بد
شا ام ابا ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرا
على معاصيه وربما اغتر المغتر وقال انما يحملني على المعاصي حسن
الرجا وطمعي في عفوه لا ضعف عظمته في قلبي وهذا من مغالطة
النفس فان عظمة الله وجلاله في قلب العبد وتعظيم حرماته
تحول بينه وبين الذنوب والمتجريون على معاصيه ما
قدروا الله حق قدره وكيف يقدره حق قدره ويعظمه ويكبره
ويرجوا وقاره ويجله من يهون عليه امره ونهيه وهذا من
امحل المحال وابين الباطل وكفى بالعاصي عقوبة ان يضمحل
من قلبه تعظيم الله جل جلاله وتعظيم حرماته ويهون عليه
حقه ومن بعض عقوبته هذا ان يرفع الله عز وجل مهابته
من قلوب الخلق ويهون عليهم ويستخفون به كما هان عليه
امره واستخف به فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس
وعلى قدر خوفه من الله يخافه الخلق وعلى قدر تعظيمه لله
وحرماته يعظم الناس حرماته وكيف ينتهك عبد حرمات الله

ويطمع

ويطمع ان لا ينتهك الناس حرماته ام كيف يهون عليه حق الله
ولا يهونه الله على الناس ام كيف يستخف بمعاصي الله ولا
يستخف به الخلق وقد اشار سبحانه الى هذا في كتابه عند ذكر
عقوبات الذنوب وانه اركسهم بما كسبوا وغطى على قلو
بهم فطبع عليها بذنوبهم وانه نسيهم كما نسوه واهانهم كما اهانوا
دينه وضيعهم كما اضاعوا امره ولهذا قال تعالى في اية
سجود المخلوقات له ومن يهن الله فما له من مكرم فانهم لما
هان عليهم السجود له واستخفوا به ولم يفعلوه اهانهم
فلم يكن لهم من مكرم بعد ان اهانهم ومن ذا يكرم من
اهان الله او يهن من اكرمه الله فصل ومن
عقوباتها انها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه
وبين نفسه وشيطانه وهناك الهلاك الذي لا يرجا معه
نجاة قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس
ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا
تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولائك هم الفاسقون
فامر بتقواه ونهى من ان يتشبه عباده المومنون عن
نسيه بترك تقواه واخبر انه عاقب من ترك التقوى

بان اساه نفسه اي اساه مصالحها وما يجيها من عمل به
وما يوجب له الحياة الابدية وكمال لذتها وسرورها
ونعيمها فانساه ذلك كله جزا لما نسيه من عظمته وخوفه
والقيام بامره فترا العاصي مهملا لمصالح نفسه مضيعا لها قد
اغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا
وقد انفرطت عليه مصالح دنياه واخراته وقد فرط سعادته
الابدية واستبدل بها ادنى ما يكون من لذة انما هي سحابة
صيف او خيال طيف احلام نوم او كظل زايل ان اللبيب
لمثلها لا يخدع تصير واعظم العقوبات نسيان العبد لنفسه واهماله
لها واضاعته حظها ونصيبها من الله وبيعها ذلك بالغبن
والهوان وابخس الثمن فضيع من لا غنا له عنه ولا عوض له منه
واستبدل به من عنه كل الغنا ومنه كل عوض من كل شي
اذا ضيعته عوض وما من الله ان ضيعته عوض فالله
سبحانه يعوض عن ما سواه ولا يعوض منه شي ويغني عن كل
شي لا يغني عنه شي ويجير من كل شي ولا يجير منه شي ويمنع من
كل شي ولا يمنع منه شي فكيف يستغني العبد عن طاعة من هذا
شانه طرفة عين وكيف ينسى ذكره ويضيع امره حتى ينسيه نفسه
ويظلمها

ويظلمها اعظم الظلم فما ظلم العبد ربه بل ظلم نفسه وما ظلمه
ربه ولكن هو الذي ظلم نفسه **فصل** ومن عقوباتها
انها تخرج العبد من دايرة الاحسان وتمنعه ثواب المحسنين
فان الاحسان اذا باشر القلب منعه من المعاصي فان من عبد
الله كانه يراه لم يمكن ذلك الا لاستيلا ذكره ومحبته
وخوفه ورجايه على قلبه بحيث يصير كانه يشاهده وذلك
يحول بينه وبين ارادة المعصية فضلا عن مواقعتها فاذا خرج
من دايرة الاحسان فاته صحبة رفقة الخاصة وعيشهم الهنا
ونعيمهم التام فان اراد الله به خيرا اقره في دايرة عموم
المومنين فان عصاه بالمعاصي التي تخرجه من دايرة الايمان
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو
مومن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن ولا يسرق السارق
حين يسرق وهو مومن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع
اليه فيها الناس ابصارهم حين ينتهبها وهو مومن فاياكم
اياكم والتوبة التوبة معروضة بعد فخرج من دايرة الايمان
وفاته رفقة المومنين وحسن دفاع الله عنهم فان الله يدفع عن
الذين امنوا وفاته كل خير في الدنيا والاخرة ومنها الاجر

العظيم وسوف يؤتي الله المؤمنين اجرا عظيما ومنها الدفع عنهم
شرور الدنيا والاخرة ان الله يدافع عن الذين امنوا ومنها استغفار
الملائكة حملة العرش لهم الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ومنها موالات
الله لهم ولا يذل من موالات الله الله ولي الذين امنوا ومنها امره
ملائكته بتثبيتهم اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا
الذين امنوا ومنها ان لهم الدرجات العلى عند ربهم والمغفرة
والرزق الكريم ومنها العزة ولله العزة جميعا ولرسوله وللمؤمنين
ومنها معية الله لاهل الايمان وان الله لمع المؤمنين ومنها الرفعة
في الدنيا والاخرة يرفع الله الذين امنوا والذين اوتوا العلم درجات
ومنها اعطاؤهم كفلين من رحمته واعطاؤهم نورا يمشون به
ومغفرة ذنوبهم ومنها الود الذي يجعله الله سبحانه لهم انه يحبهم
ويحببهم الى ملائكته وانبيائه وعباده الصالحين ومنها امانهم
من الخوف يوم يشتد الخوف فمن امن وعمل صالحا فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ومنها انهم المنعم عليهم الذين امرنا ان نسأله
ان يهدينا صراطهم في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة ومنها
ان القران انما هو هدى لهم وشفا قل هو للذين امنوا هدى

وشفا

وشفا والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك
ينادون من مكان بعيد والمقصود ان الايمان سبب
جالب لكل خير وكل خير في الدنيا والاخرة فسببه الايمان
وكل شر في الدنيا والاخرة فسببه عدم الايمان فكيف يهون
على العبد ان يرتكب شيئا يخرجه من دائرة الايمان ويحول
بينه وبينه ولكن لا يخرج من دائرة عموم المسلمين فان استمر
على الذنوب واصر عليها خيف عليه ان يران على قلبه فيخرجه
عن الاسلام بالكلية ومن ها هنا اشتد خوف السلف كما قال بعضهم
انتم تخافون الذنوب وانا اخاف الكفر **فصل** ومن
عقوباتها انها تضعف سير القلب الى الله والدار الاخرة او
تعوقه او توقفه وتقطعه عن السير فلا تدعه يخطو الى الله
خطوة هذا ان لم ترده عن وجهته الى ورائه فالذنب يحجب
الواصل ويقطع السائر وينكس الطالب والقلب انما يسير
الى الله بقوته فاذا مرض بالذنب ضعفت تلك القوة التي
تسيره فان زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعا يبعد تداركه
والله المستعان فالذنب اما ان يميت القلب او يمرضه مرضا
مخوفا او تضعف قوته ولا بد حتى ينتهي ضعفه الى الاشيا الثمانية

التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم وهي الهم والحزن والعجز
والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال وكل
اثنين منهما قرينان فالهم والحزن قرينان فان المكروه الوارد
على القلب ان كان لامر مستقبل يتوقعه احدث الهم وان كان
من امر ماض قد وقع احدث الحزن والعجز والكسل قرينان
فان تخلف العبد عن اسباب الخير والفلاح ان كان لعدم قدرته
فهو العجز وان كان لعدم ارادته فهو الكسل والجبن والبخل
قرينان فان عدم النفع منه ان كان ببدنه فهو الجبن وان
كان بماله فهو البخل وضلع الدين وقهر الرجال قرينان فان
استعلى الغير عليه ان كان بحق فهو من ضلع الدين وان كان
بباطل فهو من قهر الرجال والمقصود ان الذنوب من اقوى
الاسباب الجالبة للثمانية كما انها من اقوى الاسباب الجالبة لجهد
البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء ومن اقوى الا
سباب الجالبة لزوال نعم الله وتحول عافيته وفجاءة نقمته وجميع
سخطه **فصل** ومن عقوبات الذنوب انها تزيل النعم وتحل
النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بذنب ولا حلت به نقمة الا بذنب
كما قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ما نزل بلاء الا بذنب ولا

رفع

رفع الا بتوبة وقد قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم ويعفو عن كثير وقال تعالى ذلك بان الله لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم فاخبر تعالى
انه لا يغير نعمه التي انعم بها على احد حتى يكون هو الذي يغير ما
بنفسه فيغير طاعة الله بمعصيته وشكره بكفره واسباب
رضاه باسباب سخطه فاذا غير غير عليه جزاء وفاقا وما ربك
بظلام للعبيد فاذا غير المعصية بالطاعة غير الله عليه
العقوبة بالعافية والذل بالعز وقال تعالى ان الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا
فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وفي بعض الاثار الالهية
عن الرب تبارك وتعالى انه قال وعزتي وجلالي لا يكون
عبد من عبيدي على ما احب ثم ينتقل عنه الى ما اكره الا
انتقلت له مما يحب الى ما يكره ولا يكون عبد من عبيدي
على ما اكره ثم ينتقل عنه الى ما احب الا انتقلت له مما يكره
الى ما يحب وقد احسن القائل حيث **يقول شعر** اذا كنت
في نعمة فارعها فان الذنوب تزيل النعم ∴ وحطها بطاعة
رب العباد فرب العباد سريع النقم ∴ واياك والظلم مهما

استطعت فظلم العباد شديد الوخم ؛ وسافر بعقلك بين الورى
لتنظر آثار من قد ظلم ؛ فتلك مساكنهم بعدهم شهود عليهم ولا
تتهم ؛ وما كان شيء عليهم أضر من الظلم وهو الذي قد قصم ؛
فكم تركوا من جنان ومن قصور وأخرى عليهم أطم ؛ صلوا
بالجحيم وفات النعيم وكان الذي نالهم كالحلم ؛ فصل
ومن عقوباتها ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في
قلب العاصي فلا تراه إلا خائفا مرعوبا فإن الطاعة حصن
الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبة الدنيا
والآخرة ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب فمن
أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه أمانا ومن عصاه انقلبت مأمنه
مخاوف فلا تجد العاصي إلا وقلبه كأنه بين جناحي طائر إن
حركت الريح الباب قال جاء الطلب وإن سمع وقع قدم خاف
أن يكون نذيرا بالعطب يحسب كل صيحة عليه وكل مكروه
قاصدا إليه فمن خاف الله آمنه من كل شيء ومن لم يخف الله
أخافه كل شيء ؛ بذا قضى الله بين الناس مذ خلقوا أن المخاوف ؛
والأحزان في قرن ؛ فصل ومن عقوباتها أنها توقع
الوحشة العظيمة في القلب فيجد المذنب نفسه مستوحشا

وقد

٥٥

وقد وقعت الوحشة بينه وبين ربه وبين الخلق وبين نفسه
وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة وأمر العيش عيش
المستوحشين الخائفين وأطيب العيش عيش المستأنسين فلو
نظر العاقل ووازن بين لذة المعصية وما توقعه من الخوف
والوحشة لعلم سوء حاله وعظم غبنه إذ باع أنس الطاعة
وأمنها وحلاوتها بوحشة المعصية وما توجبه من الخوف
فإن كنت قد أوحشتك الذنوب فدعها إذا شئت واستأ
نس وسر المسألة أن الطاعة توجب القرب من الرب وكلما
ازداد العبد قويت الوحشة ولهذا يجد العبد وحشة بينه
وبين عدوه للبعد بينهما وإن كان ملابسا له قريبا منه ويجد
أنسا قريبا بينه وبين من يحب وإن كان بعيدا عنه ؛ والوحشة
سببها الحجاب وكلما غلظ الحجاب زادت الوحشة فالغفلة توجب
الوحشة وأشد منها وحشة المعصية وأشد منها وحشة الشرك
والكفر ولا تجد أحدا ملابسا شيئا من ذلك إلا ويعلوه من
الوحشة بحسب ما لابسه منه فتعلو الوحشة وجهه وقلبه
فيستوحش ويستوحش منه ؛ فصل ومن عقوباتها أنها
تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه

والمعصية توجب البعد من الرب صح

فلا يزال مريضاً معلولاً لا ينتفع بالاغذية التي فيها حياته وصلاحه
فان تاثير الذنوب في القلوب كتاثير الامراض في الابدان بل
الذنوب امراض القلوب ودآؤها ولا دوآ لها الا تركها وقد اجمع
السايرون الى الله ان القلوب لا تعطى مناها حتى تصل الى مولاها
ولا تصل الى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة ولا تكون
صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها فيصير نفس دوائها ولا
يصح لها ذالك الا بمخالفة هواها فهواها مرضها وشفاؤها
مخالفته فان استحكم المرض قتل او كاد وكما ان من نهى
نفسه عن الهوى كانت الجنة ماواه فكذا يكون قلبه
في هذه الدار في جنة عاجلة لا يشبه نعيم اهلها نعيم البتة
بل التفاوت الذي بين النعيمين كالتفاوت الذي بين
نعيم الدنيا والاخرة وهذا امر لا يصدق به الا من باشر
قلبه هذا وهذا ولا تحسب ان قوله تعالى ان الابرار لفي
نعيم وان الفجار لفي جحيم مقصور على نعيم الاخرة وجحيمها
فقط بل في دورهم الثلاثة هم كذالك اعني دار الدنيا ودار
البرزخ ودار القرار فهولاء في نعيم وهولاء في جحيم وهل النعيم
الا نعيم ~~الاخرة~~ القلب وهل العذاب الا عذاب القلب

واي

واي عذاب اشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر
واعراضه عن الله والدار الاخرة وتعلقه بغير الله
وانقطاعه عن الله بكل واد منه شعبة وكل من تعلق
به واحبه من دون الله فانه يسومه سوء العذاب فكل
من احب شيئا غير الله عذب به ثلاث مرات في هذه الدار
فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل فاذا حصل عذب به
حال حصوله بالخوف من سلبه وفواته والتنغيص والتنكيد
عليه وانواع المعارضات فاذا سلبه اشتد عليه عذابه
فهذه ثلاثة انواع من العذاب في هذه الدار واما في البرزخ
فعذاب يقارنه الم الفراق الذي لا يرجو عوده والم فوات
ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده والم الحجاب عن
الله والم الحسرة التي تقطع الاكباد والهم والغم والحسرة
والحزن يعمل في نفوسهم اكثر ما تعمل الهوام والديدان في
ابدانهم بل عملها في النفوس دائم مستمر حتى يردها الله الى
اجسادها فحينئذ ينتقل العذاب الى نوع هو ادهى وامر
فاين هذا من نعيم من يرقص قلبه طربا وفرحا وانسا بربه
واشتياقا اليه وارتياحا بحبه وطمانينة بذكره حتى يقول

بعضهم في حال فراغه واطرباه ويقول الآخر ان كان اهل الجنة
في مثل هذا الحال انهم لفي عيش طيب ويقول الآخر مساكين
اهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا الذ العيش فيها وما ذاقوا
اطيب ما فيها ويقول الآخر لو علموا الملوك وابنا الملوك ما
نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف ويقول الآخر ان في الدنيا
جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة فيا من باع حظه
الغالي بابخس الثمن وغبن كل الغبن في هذا العقد وهو يرى
انه قد غبن اذا لم يكن لك خبرة بقيمة السلع فسل المقومين فيا
عجبا من بضاعة مع الله يشتريها وثمنها جنة المأوى والسفير
الذي جرى على يده عقد التبايع وضمن الثمن عن المشتري هو
الرسول وقد بعتها بغاية الهوان اذا كان هذا فعل
عبد بنفسه فمن ذا الذي بعد ذلك يكرمه ومن يهن الله
فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشا فصل ومن عقو
باتها انها تعمي بصيرة القلب وتطمس نوره وتسد طرق العلم وتحجب
مواد الهداية وقد قال مالك للشافعي لما اجتمع به وراى تلك
المخايل اني ارى الله قد القى عليك نورا فلا تطفه بظلمة المعصية
ولا يزال هذا النور يضعف ويضمحل وظلام المعصية تقوى

حتى يصير القلب في مثل الليل البهيم فكم من مهلك يسقط فيه
ولا يبصره كاعمى خرج بالليل في طريق ذات مهالك ومعا
طب فيا عزة السلامة ويا سرعة العطب ثم تقوى تلك
الظلمات وتفيض من القلب الى الجوارح فيغشى الوجه منها
سواد بحسب قوتها وتزايدها فاذا كان عند الموت
ظهرت في البرزخ فامتلا القبر ظلمة كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان هذه القبور ممتلية على اهلها ظلمة وان الله منورها
بصلاتي عليهم فاذا كان يوم المعاد وحشر الاجساد علت الوجوه
علوا ظاهرا يراه كل احد حتى يصير الوجه اسود مثل الحممة
فيا لها عقوبة لا توازن لذات الدنيا باجمعها من اولها الى
اخرها بقسط العبد المنغص المنكد المتعب في زمن انما هو
ساعة من حلم فالله المستعان فصل ومن عقوباتها
انها تصغر النفس وتقمعها وتدسيها وتحقرها حتى تصير
اصغر شيء واحقره كما ان الطاعة تنميها وتزكيها وتكبرها
قال تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها والمعنى
قد افلح من كبرها واعلاها بطاعة الله واظهرها وقد
خسر من اخفاها وحقرها وصغرها بمعصية الله واصل

البر سببه الاخفا ومنه قوله تعالى يدسه في التراب بالمعاصى
يدس نفسه في المعصية ويخفي مكانها يتوارى من الخلق من
سو ما ياتي به قد انقمع عند نفسه وانقمع عند الله وانقمع عند
الخلق فالطاعة والبر تكبر النفس وتعزها وتعليها حتى تصير
اشرف شي وازكاه واعلاه ومع ذالك فهي اذل كل شي
واحقره واصغره لله وبهذا الذل حصل لها هذا العز والشرف
والنمو فما اصغر النفوس مثل معصية الله وما كبرها وشرفها
ورفعها مثل طاعة الله **فصل** ومن عقوباتها ان
العاصى دايما في اسر شيطانه وسجن شهواته وقيد هواه فهو
اسير مسجون مقيد ولا اسير اسوا حالا من اسير اسره
اعدا عدو له ولا سجن اضيق من سجن الهوى ولا قيد اصعب
من قيد الشهوة فكيف يسير الى الله والدار الاخرة قلب
ماسور مسجون مقيد وكيف يخطو خطوة واحدة واذا
تقيد القلب طرقته الافات من كل جانب بحسب قيوده ومثل
القلب مثل الطاير كلما علا بعد عن الافات وكلما نزل احتوشته
الافات وفي الحديث الشيطان ذيب الانسان وكما ان الشاة
التي لا حافظ لها هي بين الذياب سريعة العطب فكذا العبد

اذا لم يكن عليه حافظ من الله فذيبه مفترسه ولا بد وانما
يكون عليه من الله بالتقوى فهي وقاية وجنة حصينة
بينه وبين ذيبه كما هي وقاية بينه وبين عقوبة الدنيا
والاخرة وكلما كانت الشاة اقرب الى الراعي كانت اسلم
من الذيب وكلما بعدت عن الراعي كانت اقرب الى الهلاك
فاحما ما تكون الشاة اذا قربت من الراعي وانما ياخذ الذيب
القاصية من الغنم وهي ابعد من الراعي واصل هذا كله ان
القلب كلما كان ابعد من الله كانت الافات اليه اسرع وكلما
قرب من الله بعدت عنه الافات والبعد من الله مراتب
بعضها اشد من بعض فالغفلة تبعد القلب عن الله وبعد
المعصية اعظم من بعد الغفلة وبعد البدعة اعظم من بعد
المعصية وبعد النفاق والشرك اعظم من ذالك كله **فصل**
ومن عقوباتها سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه
فان اكرم الخلق عند الله اتقاهم واقربهم منه منزلة واطوعهم له
وعلى قدر طاعة العبد تكون منزلته عنده فاذا عصاه
وخالف امره سقط من عينه فاسقطه من قلوب عباده
واذا لم يبق له جاه عند الخلق وهان عليهم عاملوه على حسب

ذالك فعاش بينهم اسوأ عيش خامل الذكر ساقط القدر زري
الحال لا حرمة له ولا فرح ولا سرور فان خمول الذكر وسقوط
القدر والجاه معه كل غم وهم وحزن ولا سرور معه ولا فرح
واين هذا الالم من لذة المعصية لولا سكر الشهوة ومن اعظم
نعم الله على العبد ان يرفع له بين العالمين ذكره ويعلو قدره
ولهذا اختص انبياءه ورسله من ذالك بما ليس لغيرهم كما قال تعالى
واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار
انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار اي خصصناهم بخصيصة وهو
الذكر الجميل الذي يذكرون به في هذه الدار وهو لسان الصدق
الذي ساله ابراهيم الخليل حيث قال واجعل لي لسان صدق في
الاخرين وقال سبحانه عنه وعن بنيه ووهبنا لهم من رحمتنا
وجعلنا لهم لسان صدق عليا وقال لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم ورفعنا لك ذكرك فاتباع الرسل لهم نصيب من ذالك
بحسب ميراثهم من طاعتهم وكل من خالفهم فان له من ذالك بحسب
مخالفتهم ومعصيتهم **فصل** ومن عقوباتها انها تسلب صاحبها
المدح والشرف وتكسوه اسماء الذم والصغار فتسلبه اسم المؤمن
والبر والمحسن والمتقي والمطيع والمنيب والولي والورع والمصلح

والعابد

والعابد والخائف والاواب والمرضي ونحوها وتكسوه اسم
الفاجر والعاصي والمخالف والمسيء والمفسد والخبيث والمسخوط
والزاني والسارق والقاتل والكاذب والخائن واللوطي
وقاطع الرحم والغادر وامثالها فهذه اسماء الفسوق بعد
الايمان التي توجب غضب الديان ودخول النيران وعيش
الخزي والهوان وتلك الاسماء توجب رضا الرحمان ودخول
الجنان وتوجب شرف المسمى بها على ساير نوع الانسان فلو لم
يكن في عقوبة المعصية الا استحقاق تلك الاسماء وموجباتها
لكان في العقل ناه عنها ولو لم يكن في ثواب الطاعة الا الفوز
بتلك الاسماء وموجباتها لكان في العقل امر بها ولكن لا مانع لما
اعطا ولا معطي لما منع ولا مقرب لما باعد ولا مبعد لمن قرب
ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء **فصل**
ومن عقوباتها انها تؤثر بالخاصية في نقصان العقل فلا تجد
عاقلين احدهما مطيع لله والاخر عاص الا وعقل المطيع منهما
اوفر واكمل وفكره اصح ورايه اسد والصواب قرينه
ولهذا تجد خطاب القران انما هو مع اولي العقول والا
لباب كقوله تعالى فاتقوني يا اولي الالباب وقوله وما يذكر

الاولي الالباب ونظير ذالك كثير وكيف يكون عاقلاً وافر
العقل من يعصي من هو في قبضته وفي روايةٍ وهو يعلم انه
يراه ويشاهده ويعصيه وهو بعينه غير متوارٍ عنه ويستعين
بنعمه على مساخطه ويستدعي كل وقت غضبه عليه ولعنته له
وابعاده من قربه وطرده عن بابه واعراضه عنه وخذلانه له
والتخلية بينه وبين نفسه وعدوه وسقوطه من عينه وحرمانه
روح رضاه وحبه وقرة العين بقربه والفوز بجواره والنظر
الى وجهه في زمرة اوليائه الى اضعاف اضعاف ذالك من عقوبة
اهل المعصية فاي عقل لمن آثر لذة ساعة او يوم او دهر ثم
تنقضي كانها حلم لم يكن على هذا النعيم المقيم والفوز العظيم
بل هو سعادة الدنيا والاخرة ولولا العقل الذي تقوم به
عليه الحجة لكان بمنزلة المجانين بل قد يكون المجانين احسن
حالاً منه واسلم عاقبة فهذا من هذا الوجه واما تاثيرها في نقصان
العقل المعيشي فلولا الاشتراك في هذا النقصان لظهر لمطيعنا
نقصان عقل عاصينا ولكن الجائحة عامة والجنون فنون
ويا عجبا لو صحت العقول لعلمت ان تحصيل طريق اللذة والفرح
والسرور وطيب العيش انما هو في رضا من النعيم كله في رضاه

والالم والعذاب كله في سخطه وغضبه ففي رضاه قرة العيون
وسرور النفوس وحياة القلوب ولذة الارواح وطيب
الحياة ولذة العيش واطيب النعيم مما لو وزن منه مثقال
ذرةٍ بنعيم الدنيا لم يف به بل اذا حصل للقلب من ذالك
ايسر نصيب لم يرض بالدنيا وما فيها عوضاً منه ومع هذا
يتنعم بنصيبه في الدنيا اعظم من تنعم المترفين من الهموم
والغموم والاحزان والمعارضات بل قد حصل على
النعيمين وهو ينتظر نعيمين اخرين اعظم منهما ويحصل له في
خلال ذالك من الآلام فالامر كما قال الله تعالى ان تكونوا
تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون
فلا اله الا الله ما انقص عقل من باع الدر بالبعر والمسك بالرجيع
ومرافقة الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين بمرافقة الذين غضب الله عليهم ولعنهم واعد
لهم جهنم وساءت مصيراً **فصل** ومن اعظم عقوباتها
انها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه تبارك تعالى
واذا وقعت القطيعة انقطعت عنه اسباب الخير وا
تصلت به اسباب الشر فاي فلاح واي رجا واي عيش

لمن انقطعت عنه اسباب الخير وقطع ما بينه وبين وليه ومولاه
الذي لا غنا له عنه طرفة عين ولا بد له منه ولا عوض له عنه
واتصلت به اسباب الشر ووصل ما بينه وبين اعدا عدو له
فتولاه عدوه وتخلا عنه وليه فلا تعلم نفس ما في هذه الانقطاع
والاتصال من انواع الآلام وانواع العذاب ؞ قال بعض السلف
رايت العبد ملقى بين الله وبين الشيطان فان اعرض الله عنه
تولاه الشيطان وان تولاه الله لم يقدر عليه الشيطان ؞ وقد
قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا
ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته
اوليا من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا يقول الله
سبحانه انا اكرمت اباكم ورفعت قدره وفضلته على غيره
فامرت ملائكتي كلهم ان يسجدوا له تكريما له وتشريفا طا
عوني وابا عدوي وعدوه فعصى امري وخرج عن طاعتي
فكيف يحسن بكم بعد هذا ان تتخذوه وذريته اوليا من دوني
فتطيعونه في معصيتي وتوالونه في خلاف مرضاتي وهم اعدا
عدو لكم فواليتم عدوي وقد امرتكم بمعاداته ومن والى
اعدا الملك كان هو واعداؤه عنده سوا فان المحبة والطاعة

لا تتم الا بمعاداة اعدا المطاع وموالاة اوليائه واما ان توالي
اعدا الملك ثم تدعي انك موالي له فهذا محال هذا لو لم يكن
عدو الملك عدوا لكم فكيف اذا كان عدوكم على الحقيقة
والعداوة التي بينكم وبينه اعظم من المعاداة التي بين الشاة
والذئب فكيف يليق بالعاقل ان يوالي عدوه وعدو وليه
ومولاه الذي لا مولا له سواه ونبه سبحانه على قبح هذه
الموالاة بقوله وهم لكم عدو كما نبه على قبحها بقوله ففسق
عن امر ربه فتبين ان عداوته لربه وعداوته لنا كل
منهما سبب يدعوا الى معاداته فما هذه الموالاة وما هذه
الاستبدال بئس للظالمين بدلا ويشبه ان يكون تحت
هذا الخطاب نوع من العتاب لطيف عجيب وهو اني عاديت
ابليس اذ لم يسجد لابيكم آدم مع ملائكتي فكانت معاداته
لاجلكم ثم كانت هذه المعاداة ان عقدتم بينه وبينكم عقد
المصالحة **فصل** ومن عقوباتها انها تمحق بركة العمر
وبركة الرزق وبركة العلم وبركة العمل وبركة الطاعة
وبالجملة تمحق بركة الدين والدنيا فلا تجد اقل بركة في عمره
ودينه ودنياه ممن عصا الله وما محقت البركة من الارض الا

بمعاصي بني آدم الخلق قال تعالى ولو أن أهل الكتاب آمنوا
واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم وقال تعالى ولو أن أهل القرى
آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض وقال
تعالى وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا
وان العبد ليحرم الرزق بذنب يصيبه وفي الحديث ان
روح القدس نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل
رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب فانه لا ينال ما عند
الله الا بطاعته وان الله جعل الروح والفرح في الرضى واليقين
وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وقد تقدم الاثر الذي
ذكره احمد في كتاب الزهد انا الله اذا رضيت باركت
وليس لبركتي منتهى واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع
من الولد وليست سعة الرزق والعمل بكثرته ولا طول العمر
بكثرة الشهور والاعوام ولكن سعة الرزق والعمر
بالبركة فيه وقد تقدم ان عمر العبد هو مدة حياته ولا حياة
لمن اعرض عن الله واشتغل بغيره بل حياة البهائم خير من حياته
فان حياة الانسان بحياة قلبه وروحه ولا حياة لقلبه الا
بمعرفة فاطره ومحبته وعبادته وحده والانابة اليه والطمأنينة

بذكره

بذكره والانس بقربه ومن فقد الحياة فقد الخير كله ولو تعوض
عنها بما تعوض مما في الدنيا بل ليست الدنيا باجمعها عوضا عن
هذه الحياة فمن كل شيء يفوت العبد عوض واذا فاته الله
لم يعوض عنه شيء البتة وكيف يعوض الفقير بالذات عن الغني
والعاجز بالذات عن القادر بالذات والميت عن الحي الذي لا
يموت والمخلوق عن الخالق ومن لا وجود له ولا شيء له من
ذاته البتة عن من غناه وحياته وكمال وجوده ورحمته
من لوازم ذاته وكيف يعوض من لا يملك مثقال ذرة عن من
له ملك السماوات والارض وانما كانت معصية الله سببا
لمحق بركة الرزق والاجل لان الشيطان موكل بها وباصحابها
وسلطانه عليهم وحوالته على هذا الديوان واهله واصحابه
وكل شيء يتصل به الشيطان ويقارنه فبركته ممحوقة ولهذا
شرع اسم الله تعالى عند الاكل واللبس والركوب والجماع
لما في مقارنة اسم الله من البركة وذكر اسمه يطرد الشيطان
فتحصل البركة ولا معارض له وكل شيء لا يكون لله فبركته
منزوعة فان الرب هو الذي يبارك وحده والبركة كلها
منه وكلما نسب اليه مبارك وكلامه مبارك ورسوله مبارك

وعبده المؤمن النافع لخلقه مبارك وبيته الحرام مبارك وكنانته
من ارضه وهي ارض الشام ارض البركة وصفها بالبركة في ست
ايات من كتابه ولا متبارك الا هو وحده ولا مبارك الا ما نسب
اعني الي الوهيته ومحبته ورضاه والا فالكون كله منسوب
الي ربوبيته وخلقه وكلما باعده من الاقوال والاعمال فلا بركة
فيه ولا خير فيه وكلما كان قريبا من ذلك ففيه من البركة على
حسب قربه منه وضد البركة اللعنة فارض لعنها الله او شخص
لعنه الله او عمل لعنه الله ابعد شي من الخير والبركة وكلما اتصل
بذلك وارتبط به وكان منه بسبيل فلا بركة فيه البتة
وقد لعن عدوه ابليس وجعله ابعد خلقه منه فكلما كان في
جهته فله لعنة الله بقدر قربه منه واتصاله به فمن هاهنا كان
للمعاصي اعظم تاثير في محق بركة العمر والرزق والعلم والعمل وكل وقت
عصيت الله فيه او مال فيه او مال او بدن او جاه او علم او عمل فهو
على صاحبه ليس له فليس له من عمره وماله وقوته وجاهه وعلمه
الا ما اطاع الله به ولهذا من الناس من يعيش في هذه الدار مائة
سنة او نحوها ويكون عمره لا يبلغ عشر سنين او نحوها كما ان منهم
من يملك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ويكون ما لدي

الحسد

الحقيقة لا يبلغ الف درهم او نحوها وهكذا الجاه والعلم وفي الترمذي
عنه صلى الله عليه وسلم قال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر
الله وما والاه وعالما او متعلما وفي اثر اخر الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها الا ما كان لله فهذا الذي هو فيه البركة خاصة والله
المستعان **فصل** ومن عقوباتها انها تجعل صاحبها من
السفلة بعد ان كان مهيئا لان يكون من العلية فان الله خلق
خلقه قسمين علية وسفلة وجعل عليين مستقر العلية واسفل سا
فلين مستقر السفلة وجعل اهل طاعته الاعلين في الدنيا والاخرة
واهل معصيته الاسفلين في الدنيا والاخرة كما جعل اهل طاعته
اكرم خلقه عليه واهل معصيته اهون خلقه عليه وجعل
العزة لهولاء والذلة والصغار لهولاء كما في مسند الامام احمد من
حديث عبد الله ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال جعل
الله الذل والصغار على من خالف امري فكلما عمل العبد معصية
نزل الي اسفل درجة ولا يزال في نزول حتى يكون من الاسفلين
وكلما عمل بطاعة الله ارتفع بها درجة فلا يزال في ارتفاع حتى
يكون من الاعلين وقد يجتمع للعبد في ايام حياته الصعود من
وجه والنزول من وجه وايهما كان اغلب عليه كان من اهله

فليس من صعد مائة درجة ونزل درجة واحدة كمن كان بالعكس
ولكن يعرض هنا للنفوس غلط عظيم وهو ان العبد قد ينزل
نزولا عظيما او بعيدا ابعد مما بين المشرق والمغرب وما بين السماء
والارض فلا يفي صعوده الف درجة بهذا النزول الواحد كما في
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد ليتكلم
بالكلمة الواحدة لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق
والمغرب فاي صعود يوازي هذه النزله والنزول امر لازم
للانسان ولكن من الناس من يكون نزوله الى غفلة فهذا متى
استيقظ من غفلته عاد الى درجته او الى ارفع منها بحسب يقظته
ومنهم من يكون نزوله الى مباح لا ينوي به الاستعانة على الطاعة
فهذا متى رجع الى الطاعة فقد يعود الى درجته وقد لا يصل اليها
وقد يرتفع عنها فانه قد يعود اعلا همة مما كان وقد يكون
اضعف همة وقد تعود همته كما كانت ومنهم من يكون نزوله
الى معصية اما صغيرة او كبيرة فهذا يحتاج في عودته الى درجته
الى توبة نصوحة وانابة صادقة واختلف الناس هل يعود بعد
التوبة الى درجته التي كان فيها بناء على ان التوبة تمحو اثر الذنوب
وتجعل وجوده كعدمه فكانه لم يكن او لا يعود بناء على ان

التوبة

التوبة تاثيرها في اسقاط العقوبة واما الدرجة التي فاتته فانه لا
يصل اليها قالوا وتقرير ذلك انه كان مستعدا باشتغاله با
الطاعة في الزمن الذي عصى فيه لصعود اخر وارتفاع بجملة اعماله
السالفة بمنزلة كسب الرجل كل يوم بجملة ماله الذي يملكه وكلما تضا
عف المال تضاعف الربح فقد راح عليه في زمن المعصية ارتفاع وربح
بجملة اعماله فاذا استانف العمل استانف صعودا من نزول وكان
قبل ذلك صاعدا من علو وبينهما بون عظيم قالوا ومثل ذلك
رجلان مرتقيان في سلمين لا نهاية لهما وهما سواء فنزل احدهما
الى اسفل ولو درجة واحدة ثم استانف الصعود فان الذي
لم ينزل يعلو عليه ولا بد وحكم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله
بين الطائفتين حكما مقبولا فقال التحقيق ان من التائبين من يعود
الى ارفع من درجته ومنهم من يعود الى درجته ومنهم من لا يصل
الى درجته قلت هذا بحسب قوة التوبة وكمالها وما احدثته
المعصية للعبد من الذل والخضوع والانابة والحذر والخوف من الله تعالى
والبكاء من خشيته فقد تقوى هذه الامور حتى يعود التائب
الى ارفع من درجته ويصير بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة
فهذا قد تكون الخطيئة في حقه رحمة فانها نفت عنه داء العجب

وخلصته من ثقته بنفسه واعماله ووضعت خد ضراعته وذله
وانكساره على عتبة باب سيده ومولاه وعرفته قدره واشهدته
فقره وضرورته الى حفظ سيده له والى عفوه عنه ومغفرته له
واخرجت من قلبه صولة الطاعة وكسرت انفه ان يشمخ بها او
يتكبر بها او يرى نفسه خيرا من غيره واوقفته بين يدي ربه
موقف الخطائين المذنبين ناكس الراس بين يدي ربه مستحيا منه
خائفا وجلا محتقرا لطاعته مستعظما لمعصيته قد عرف نفسه
بالنقص والذم وربه متفردا بالكمال والحمد والوفا كما قيل استاثر
الله بالوفا وبالحمد وولى الملامة الرجلا فاي نعمة وصلت من الله
اليه استكثرها على نفسه وراي نفسه دونها ولم يرها اهلا واي
نقمة او بلية وصلت اليه راى نفسه اهلا لما هو اكبر منها وراى
مولاه قد احسن اليه اذ لم يعاقبه على قدر جرمه ولا شطره
ولا ادنى جزء منه فان ما يستحقه من العقوبة لا تحمله الجبال
الراسيات فضلا عن هذا العبد الضعيف العاجز فان الذنب
وان صغر فان مقابلة العظيم الذي لا شي اعظم منه الكبير الذي
لا شي اكبر منه الكريم الذي لا اجل منه ولا اجمل المنعم بجميع اصناف
النعم دقيقها وجليلها من اقبح الامور وافضعها واشنعها فان

مقابلة

مقابلة العظما الاجلا وسادات الناس بمثل ذلك يستقبحه كل
احد مومن وكافر واراذل الناس واسقطهم مروة من قابلهم
بالرذايل فكيف بعظيم السماوات والارض وملك السموات
والارض واله السماوات والارض ولولا ان رحمته غلبت غضبه
ومغفرته سبقت عقوبته والا لتدكدكت الارض بمن قابله بما
لا يليق مقابلته به ولولا حلمه ومغفرته لزلزلت السماوات والارض
من معاصي العباد قال الله تعالى ان الله يمسك السماوات والارض
ان تزولا ولين زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما
غفورا فتامل كيف ختم هذه الاية باسمين من اسمايه وهما
الحليم والغفور كيف تجد تحت ذلك انه لولا حلمه عن الجناة
ومغفرته للعصاة لما استقرت السماوات والارض وقد اخبر
سبحانه عن بعض كفر عباده انه تكاد السماوات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وقد اخرج الله سبحانه الا
بوين من الجنة بذنب واحد ارتكباه وخالفا فيه نهيه ولعن
ابليس وطرده واخرجه من ملكوت السماوات بذنب ارتكبه
وخالف فيه امره ونحن معاشر الحمقا كما قيل نصل الذنوب
الى الذنوب ونرجى درك الجنان ونيل النعيم الخالد ولقد علمنا

انه قد اخرج الابوين من ملكوتنا الاعلا بذنب واحد والمقصود
ان العبد قد يكون بعد التوبة خيرا مما كان قبل الخطية وارفع
درجة وقد تضعف الخطية همته وتوهن عزمه وتمرض
قلبه فلا يقوي دوا التوبه علي اعادته الي صحته الاولى فلا
يعود الي درجته وقد يزول المرض بحيث تعود الصحة كما
كانت ويعود الي مثل عمله فيعود الي درجته الاوهذا كله اذا
كان نزوله الي معصية فان كان نزوله الى امر يقدح في اصل
ايمانه مثل الشكوك والريب والنفاق فذاك نزول لا يرجي
لصاحبه صعود الا بتجديد اسلامه من راس **فصل**
ومن عقوباتها انها تجرى على العبد من لم يكن يجترى عليه
من اصناف المخلوقات فتجتري عليه الشياطين بالاذى والاغواء
والوسوسه والتخويف والتحزين وانسائه ما به مصلحته في
ذكره ومضرته في نسيانه فتجترى عليه الشياطين حتي تؤزه
الى معصية الله ازا وتجتري عليه شياطين الانس بما تقدر
عليه من اذاه في غيبته وحضوره وتجترى عليه اهله وخدمه
واولاده وجيرانه حتى الحيوان البهيم قال بعض السلف اني
لاعصي الله فاعرف ذالك في خلق امرأتي ودابتي وكذالك

تجترى

تجترى عليه اوليا الامر بالعقوبة التي ان عدلوا فيها اقا
موا عليه حدود الله وتجترى عليه نفسه فتتاسد عليه
وتستصعب عليه فلو ارادها لخير لم تطاوعه ولم تنقد له
وتسوقه الي ما فيه هلاكه شا او ابا وذالك ان الطاعة
حصن الرب تعالى الذي من دخله كان من الامنين فاذا
فارق الحصن اجترا عليه قطاع الطريق وغيرهم وعلى حسب
اجترائه على معاصي الله يكون اجترا هذه الافات
والنفوس عليه وليس له شئ يرد عنه فان ذكر الله وطاعته
والصدقه وارشاد الجاهل والامر بالمعروف والنهى عن
المنكر وقاية ترد عن العبد بمنزلة القوة التي ترد المرض
وتقاومه فاذا سقطت القوة غلب وارد المرض فكان
الهلاك فلا بد للعبد من شئ يرد عنه فان موجب السيات
والحسنات تتدافع ويكون الحكم كما تقدم وكلما قوي
جانب الحسنات كان الرد اقوي فان الله يدافع عن الذين
امنوا والايمان قول وعمل فبحسب قوة الايمان يكون
الدفع والله المستعان **فصل** ومن عقوباتها انها
تخون العبد احوج ما يكون الى نفسه فان كل احد يحتاج

الى معرفة ما ينفعه وما يضره فى معاشه ومعاده واعلم الناس
اعرفهم بذلك على التفصيل واقواهم واكيسهم من قوى على تنفيذ
ارادته فاستعملها فيما ينفعه وكفها عما يضره وفى ذلك
تفاوتت معارف الناس وهممهم ومنازلهم فاعرفهم من كان
عارفا باسباب السعادة والشقاوة وارشدهم من اثر هذه
على هذه كما ان اسفههم من عكس الامر والمعاصى تخون العبد
احوج ما كان الى نفسه فى تحصيل هذا العلم وايثار هذا الحظ
الاشرف العالى الدائم على الحظ الخسيس الادنى المنقطع
فتحجبه الذنوب على كمال هذا العلم وعن الاشتغال بما هو اولى
به وانفع له من الدارين فاذا وقع فى مكروه واحتاج الى
التخلص منه خانه قلبه ونفسه وجوارحه وكان بمنزلة صح
رجل معه سيف قد غشه الحرب ولزم قرابه بحيث لا ينجذب
مع صاحبه اذا جذبه فعرض له عدوه يريد قتله فوضع يده على
على قايم سيفه واجتهد ليخرجه فلم يخرج معه فدهمه العدو
وظفر به كذلك القلب يصدى بالذنوب ويجرب ويصير
مثخنا بالمرض فاذا احتاج الى محاربة العدو به لم يجد
معه منه شيا والعبد انما يحارب ويصول ويقدم بقلبه

والجوارح

والجوارح تبع للقلب فاذا لم يكن عند ملكها قوة يدفع
بها فما الظن بها وكذلك النفس فانها تخبث بالشهوات
والمعاصى وتضعف اعنى النفس المطمئنة وان كانت الامارة
تقوى وتتاسد وكلما قويت هذه ضعفت تلك فيبقى الحكم
والتصرف للامارة وربما ماتت نفسه المطمئنة موتا لا يرجا
معه حياة فهذا ميت فى الدنيا ميت فى البرزخ غير حى فى الاخرة
حياة ينتفع بها بل حياته حياة يدرك بها الالم فقط والمقصود
ان العبد اذا وقع فى شدة او كربة او بلية خانه قلبه ولسانه
وجوارحه عما هو انفع شى له فلا ينجذب قلبه للتوكل على
الله والانابة اليه والجمعية عليه والتضرع والتذلل
والانكسار بين يديه ولا يطاوعه لسانه لذكره وان ذكره
بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه فينحبس القلب على اللسان
بحيث يوثر الذكر ولا ينحبس القلب واللسان على المذكور
بل ان ذكر ودعا ذكر بقلب ساه لاه غافل ولو اراد من
جوارحه ان تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقد له ولم تطاوعه
وهذا كله اثر الذنوب والمعاصى كمن له جند يدفع عنه
الاعدا فاهمل جنده وضيعهم واضعفهم وقطع اخبازهم

ثم اراد منهم عند هجوم العدو وعليه ان يستفرغوا وسعهم في
الدفع عنه بغير قوة هذا وثم امر اخوف من ذالك وادهى
منه وامر وهوان تخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال
الى الله فربما تعذر عليه النطق بالشهادة كما شاهد الناس
كثيرا من المحتضرين اصابهم ذالك حتى قيل لبعضهم قل لا اله الا
الله فقال اه اه لا استطيع ان اقولها وقيل لاخر قل لا اله الا الله
فقال شاه رخ وتخلبك ثم قضى وقيل لاخر قل لا اله الا الله فقال
يا رب قايلة يوما وقد تعبت كيف الطريق الى حمام منجاب
ثم قضى وقيل لاخر قل لا اله الا الله فجعل يهذي بالغنا ويقول
تاننا تننا حتى قضى وقيل لاخر ذالك فقال وما ينفعني ما اقول
ولم ادع معصية الا ركبتها ثم قضى ولم يقلها وقيل لاخر ذالك
فقال وما يغني عني ذالك وما اعرف اني صليت لله صلاة ولم
يقبلها وقيل لاخر ذالك فقال هو كافر بما يقول وقضى وقيل
لاخر ذالك فقال كلما اردت ان اقولها ولساني يمسك عنها
واخبرني من حضر بعض الشحاذين عند موته فجعل يقول لله
فلس فلس حتى قضى واخبرني عن بعض التجار عن قرابة له
انه احتضر وهو عنده وجعلوا يلقنوه لا اله الا الله وهو يقول

مطلب احوال كثيرين

هذه القطعة رخيصة هذه مشتراها جيد هذه كذا حتى
قضى وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبرا والذي
يخفى عليهم من احوال المحتضرين اعظم واعظم واذا كان
العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال ادراكه قد
تمكن منه الشيطان واستعمله فيما يريده من معاصي الله
وقد اغفل قلبه وعطل لسانه عن ذكره وجوارحه عن طاعته
فكيف الظن به عند سقوط قواه واشتغال قلبه ونفسه
بما هو فيه من الم النزع وجمع الشيطان له كل قوته وهمته
وحشد عليه بكل ما يقدر عليه لينال منه فرصته فان
ذالك اخر العمل فاقوى ما يكون عليه شيطانه ذالك الوقت
واضعف ما يكون هو في تلك الحال فمن ترى يسلم على ذالك
فهنالك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشا فكيف
يوفق لحسن الخاتمة من اغفل الله سبحانه قلبه عن ذكر ربه
واتبع هواه وكان امره فرطا فبعيد من قلب بعيد من الله
غافل عنه متعبد لهواه اسير لشهواته ولسان يابس عن
ذكره وجوارحه معطلة عن طاعته مشتغل بمعصيته ان

يوفق للخاتمة بالحسنى ولقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين وكأن
المسيئين الظالمين قد اخذوا توقيعا بالامان ام لكم ايمان علينا
بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم
يا آمنا مع قبيح الفعل منه اهل اتاك توقيع امن انت تملكه
جمعت شيئين امنا واتباع هوى هذا واحدهما في المرء يهلكه
والمحسنون على درب المخاوف قد ساروا وذلك درب
لست تسلكه ∴ فرطت في البذر وقت الزرع من سفه فكيف
عند حصاد الناس تدركه ∴ هذا واعجب شيء منك زهدك في دار
البقى بعيش سوف تتركه ∴ من السفيه اذا بالله انت ام المغبون
في البيع غبنا سوف تدركه ∴ **فصل** ومن عقوباتها انها
تعمي القلب فان لم تعمه اضعفت بصيرته ولا بد وقد تقدم بيان
انها تضعفه ولا بد فاذا عمي القلب وضعف فاته من معرفة الهدى
وقوته على تنفيذه في نفسه وفي غيره بحسب ضعف بصيرته وقوته
فان الكمال الانساني مداره على اصلين معرفة الحق من الباطل
وايثاره عليه وما تفاوتت منازل الخلق عند الله في الدنيا والاخرة
الا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الامرين وهما اللذان اثنى
الله سبحانه على انبيائه بهما بقوله واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق

ويعقوب

ويعقوب اولي الايدي والابصار فالايدي القوى في تنفيذ الحق
والابصار البصائر في الدين فوصفهم بكمال ادراك الحق وكمال
تنفيذه وانقسم الناس في هذا المقام اربعة اقسام فهؤلاء اشرف
اقسام الخلق واكرمهم على الله القسم الثاني عكس هؤلاء لا بصيرة
في الدين ولا قوة على تنفيذ الحق وهم اكثر هذا الخلق الذين رؤيتهم
قذى العيون وحمى الارواح وسقم القلوب يضيقون الديار
ويغلون الاسعار ولا يستفاد بصحبتهم الا العار والشنار القسم
الثالث من له بصيرة بالحق ومعرفة به ولكنه ضعيف لا قوة له
على تنفيذه ولا الدعوة اليه وهذا حال المؤمن الضعيف والمؤمن
القوي خير واحب الى الله منه القسم الرابع من له قوة وهمة
وعزيمة لكنه ضعيف البصيرة في الدين لا يكاد يميز بين اولياء
الرحمن واولياء الشيطان بل يحسب كل سوداء تمرة وكل بيضاء شحمة
يحسب الورم شحما والدواء النافع سما وليس في هؤلاء من يصلح
للامامة في الدين ولا هو موضعا لها سوى القسم الاول قال الله
تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا
يوقنون فاخبر سبحانه ان بالبصيرة واليقين ينالوا الامامة في
الدين وهؤلاء الذين استثناهم الله سبحانه من جملة الخاسرين

مطلب

واقسم بالعصر الذي هو زمن سعي الخاسرين والرابحين على ان
من عداهم فهو من الخاسرين فقال والعصر ان الانسان لفي خسر
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر
فلم يكتف منهم بمعرفة الحق والصبر عليه وان كان من عدا هولاء
خاسرا فمعلوم ان المعاصي والذنوب تعمي بصيرة القلب فلا
يدرك الحق كما ينبغي وتضعف قوته وعزيمته فلا يصبر عليه بل قد
يتوارد على القلب حتى ينعكس ادراكه كما ينعكس فيدرك الباطل
حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا فينعكس في
سيره ويرجع عن سفره الى الله والدار الاخرة الى سفره الى مستقر
النفوس المبطلة الذي رضيت بالحياة الدنيا واطمانت بها وغفلت
عن الله واياته وتركت الاستعداد للقائه ولو لم تكن في عقوبة
الذنوب الا هذه العقوبة وحدها لكانت داعية الى تركها
والبعد منها والله المستعان وهذا كما ان الطاعة تنور القلب
وتجلوه وتصقله وتقويه وتثبته حتى يصير كالمراة المجلوة في
جلائها وصفائها فيمتلي نورا فاذا دنى الشيطان منه اصابه
من نوره ما يصيب مسترق السمع من الشهب الثواقب فالشيطان
يفرق من هذا القلب اشد من فرق الذيب من الاسد حتى ان صاحبه

ليصرع

مطلب نور قلب

ليصرع الشيطان فيخرج صريعا فتجتمع عليه الشياطين فيقول
بعضهم لبعض ما شانه فيقال اصابه انسي وبه نظرة من الانس
فيا نظرة من قلب حر منور يكاد لها الشيطان بالنور يحترق
افيستوي هذا القلب وقلب مظلم ارجاوه مختلفة اهويته قد
اتخذه الشيطان وطنه واعده مسكنه اذا تصبح بطلعته حياه
وقال فديت من لا يفلح في دنياه ولا في اخراه قرينك في الدنيا
وفي الحشر بعدها فانت قرين لي بكل مكان فان كنت في دار
الشقا فانني وانت جميعا في شقا وهوان قال تعالى ومن يعش
عن ذكر الرحمان نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم
عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جانا قال يا ليت
بيني وبينك بعد المشرقين فبيس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ
ظلمتم انكم في العذاب مشتركون فاخبر سبحانه ان من عشي عن
ذكره وهو كتابه الذي انزله على رسوله فاعرض عنه وعمي
عنه وعشيت بصيرته عن فهمه وتدبره ومعرفة مراد الله
منه قيض الله له شيطانا عقوبة له باعراضه عن كتابه فهو
قرينه الذي لا يفارقه في الاقامة ولا في السفر ومولاه
وعشيرته الذي هو بيس المولى وبيس العشير رضيعي لبان

ثدي ام تقاسما باسحم داج عوض لا نتفرق ثم اخبر سبحانه ان
الشيطان يصد قرينه ووليه عن سبيله الموصل اليه والى جنته
ويحسب هذا الضال المصدود انه على طريق هدى حتى اذا
جاء القرينان يوم القيامة يقول احدهما للاخر يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين فبئس القرين كنت لي في الدنيا اضللتني عن الهدى
بعد اذ جاءني وصددتني عن الحق واغويتني حتى هلكت وبئس
القرين انت لي اليوم ولما كان المصاب اذا شاركه غيره في
مصيبته حصل بالتاسي نوع تخفيف وتسلية اخبر سبحانه ان
هذا غير موجود وغير حاصل في حق المشتركين في العذاب فان
القرينين لا يجد راحة ولا ادنى فرح بعذاب قرينه معه
وان كانت المصايب في الدنيا اذا عمت صارت مسلاة كما
قالت الخنسا في اخيها صخر ولولا كثرة الباكين حولي على
اخوانهم لقتلت نفسي وما يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس
عنه بالتاسي فمنع الله سبحانه هذا القدر من الراحة من اهل
اهل النار فقال ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون
فصل ومن عقوباتها انها مدد من الانسان يمد به
عدوه عليه وجيش يقويه به على حربه وذلك ان الله
سبحانه

سبحانه ابتلى هذا الانسان بعدو لا يفارقه طرفة عين ولا ينام
عنه ولا يغفل عنه يراه هو وقبيله من حيث لا يراه
يبذل جهده في معاداته في كل حال ولا يدع امرا يكيده به
يقدر على ايصاله اليه الا اوصله اليه ويستعين عليه ببني ابيه
من شياطين الجن وغيرهم من شياطين الانس فقد نصب له الحبايل
وبغاه الغوايل ومد حوله الاشراك ونصب له الفخاخ والشباك
وقال لاعوانه دونكم عدوكم وعدو ابيكم لا يفوتكم ولا يكون
حظه الجنة وحظكم النار ونصيبه الرحمة ونصيبكم اللعنة
وقد علمتم ما جرى علي وعليكم من الخزي واللعن والابعاد من
رحمة الله بسببه ومن اجله فابذلوا جهدكم ان يكونوا
شركانا في هذه البلية اذ قد فاتنا شركة صالحيهم في الجنة
وقد اعلمنا سبحانه بذلك كله من عدونا وامرنا ان ناخذ له
اهبته ونعد له عدته ولما علم سبحانه ان ادم وبنيه قد بلوا
بهذا العدو وانه قد سلطه الله عليهم امدهم بعساكر وجند
يلقونه بها وامد عدوهم ايضا بجند وعساكر يلقاهم بها واقام
سوق الجهاد في هذه الدار في مدة العمر التي هي بالاضافة
الى الاخرة كنفس واحد من انفاسها واشترى من المومنين

انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون واخبر ان ذالك وعدا موكدا عليه في اشرف كتبه وهي
التوراة والانجيل والقرآن واخبر انه لا اوفى بعهده منه
سبحانه ثم امرهم ان يستبشروا بهذه الصفقه التي من اراد ان
يعرف قدرها فلينظر الى المشتري من هو والى الثمن المبذول
في هذه السلعة والى من جرى على يديه هذا العقد فاي فوز
اعظم من هذا واي تجارة اربح منه ثم اكد سبحانه معهم في هذا
الامر بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذالكم خير لكم ان كنتم تعلمون
يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن
طيبة في جنات عدن ذالك الفوز العظيم واخرى تحبونها
نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ولم يسلط سبحانه
هذا العدو على عبده المؤمن الذي هو احب انواع المخلوقات
اليه الا ان الجهاد احب شي اليه واهله ارفع الخلق عنده
درجات واقربهم اليه وسيلة فعقد سبحانه لواء هذا الحرب
لخلاصة مخلوقاته وهو القلب الذي هو محل معرفته

ومحبته

ومحبته وعبوديته والاخلاص له والتوكل عليه والانابة
اليه فولاه امر هذا الحرب وايده بجنود من الملائكة لا يفا
رقونه له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعقب بعضهم
بعضا كلما ذهب بدل جا بدل اخر يثبتونه ويامرونه بالخير
ويحضونه عليه ويعدونه بكرامة الله ويصبرونه ويقولون
انما هو صبر ساعة وقد استرحت راحة الابد ثم امده سبحانه
بجند اخر من وحيه وكلامه فارسل اليه رسوله وانزل اليه
كتابه فازداد قوة الى قوته ومددا الى مدده وعدة الى
عدته وايده مع ذالك بالعقل وزيرا ومدبرا وبالمعروف
مشيرا عليه ناصحا له وبالايمان مثبتا له ومثبتا وناصرا
وباليقين كاشفا له عن حقيقة الامر حتى كانه يعاين ما وعد
الله به اوليائه وحزبه على جهاد اعدائه فالعقل يدبر امر
جيشه والمعرفة تصنع له الحرب واسبابها مواضعها اللائقة
بها والايمان يثبته ويقويه ويصبره واليقين يقدم به ويحمل
به الحملات الصادقة ثم امد سبحانه القايم بهذا الحرب بالقوى
الظاهرة والباطنة فجعل العين طليعة والاذن صاحب
خبره واللسان ترجمانه واليدين والرجلين اعوانه واقام

ملائكته وحملة عرشه يستغفرون له ويسألون له ان يقيه
السيئات ويدخله الجنات وتولى سبحانه الدفع والدفاع عنه
بنفسه وقال هؤلاء حزبي وحزب الله هم المفلحون وهؤلاء جندي
وان جندنا لهم الغالبون وعلم سبحانه عباده كيف هذا الحرب
والجهاد فجمعها لهم في اربع كلمات يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ولا يتم امر هذا الجهاد الا
بهذه الاربعة فلا يتم الصبر الا بمصابرة العدو وهي مواقعته
ومنازلته فاذا صابر عدوه احتاج الى امر اخر وهي المرابطة وهي
لزوم ثغر القلب وحراسته لان لا يدخل منه العدو ولزوم ثغر
العين والاذن واللسان والبطن واليد والرجل فهذه الثغور
منها يدخل العدو فيجوس خلال الديار ويفسد ما يقدر عليه
فالمرابطة لزوم هذه الثغور ولا تخلى مكانها فيصادف العدو
الثغر خاليا فيدخل منه وهؤلاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم خير الخلق بعد النبيين والمرسلين واعظمهم حماية وحراسة من
الشيطان وقد اخلوا المكان الذي امروا بلزومه يوم احد
فدخل منه العدو فكان ما كان وجماع هذه الثلاثة وعمودها
الذي يقوم به هو تقوى الله تعالى ولا ينفع الصبر ولا المصابرة

ولا

ولا المرابطة الا بتقوى الله ولا تقوم التقوى الا على ساق الصبر
فانظر الان فيك الى التقاء الجيشين واصطفاف العسكرين وكيف
تدال مرة ويدال عليك مرة اخرى اقبل ملك الكفر بجنوده
وعساكره فوجد القلب في حصنه جالسا على كرسي مملكته امره
نافذا في اعوانه وجنوده قد حفوا به يقاتلون عنه ويدافعون
عن حوزته فلم يمكنه الهجوم عليه الا بمخامرة بعض امرائه وجنده
عليه فسال عن اخص الجند به واقربهم اليه منزلة فقيل له هي النفس
فقال لاعوانه ادخلوا عليها من مرادها وانظروا مواقع محبتها
وما هو محبوبها فعدوها به ومنوها اياه وانقشوا صورة
المحبوب فيها في يقظتها ومنامها فاذا اطمأنت اليه وسكنت عنده
فاطرحوا عليها كلاليب الشهوة وخطاطيفها ثم جروها بها اليكم
فاذا خامرت على القلب وصارت معكم عليه ملكتم ثغر العين
والاذن واللسان والفم واليد والرجل فرابطوا على هذه
الثغور كل المرابطة فمتى دخلتم منها الى القلب فهو قتيل او اسير
او جريح مثخن بالجراحات ولا تخلوا هذه الثغور ولا تمكنوا
سرية تدخل فيها الى القلب فيخرجكم منها وان غلبتم فاجتهدوا
في اضعاف السرية ووهنها حتى لا تصل الى القلب وان وصلت اليه

وصلت ضعيفة لا تغني عنه شيئا فاذا استوليتم على هذه الثغور فا
منعوا ثغر العين ان يكون نظره اعتبارا بل اجعلوا نظره تفرجا
واستحسانا وتلهيا فان استرق نظرة عبرة فافسدوها عليه بنظرة
الغفلة والاستحسان والشهوة فانه اقرب اليه واعلق بنفسه
واخف عليه ودونكم ثغر العين فان منه تنالوا بغيتكم فاني ما
افسدت بني آدم بشيء مثل النظر فاني ابذر به في القلب بذر الشهوة
ثم اسقيه بماء الامنية ثم لا ازال اعده وامنيه حتى اقوى عزيمته
واقوده بزمام الشهوة الى الانخلاع الى العصمة فلا تهملوا امر هذا
الثغر وافسدوه بحسب استطاعتكم وهونوا عليه امره وقولوا له
ما مقدار نظرة يدعوك الى تسبيح الخالق والتامل لبديع صنعته
وحسن هذه الصورة التي انما خلقت ليستدرك بها الناظر عليه
وما خلق الله لك العينين سدى وما خلق هذه الصورة ليحجبها عن
النظر وان ظفرتم به قليل العلم فاسد العقل فقولوا له هذا مظهر
من مظاهر الحق ومجلا من مجاليه فادعوه الى القول بالاتحاد
فان لم يقبل فالقول بالحلول العام والخاص ولا تقنعوا منه بدون
ذلك فانه يصير به من اخوان النصارى فمروه حينئذ بالعفة
والصيانة والعبادة والزهد في الدنيا واصطادوا عليه الجهال

فهذا

فهذا من اكبر خلفائي واكبر جندي بل انا من جنده واعوانه

فصل ثم امنعوا ثغر الاذن ان يدخل منه ما يفسد عليكم
الامر فاجتهدوا ان لا تدخلوا منه الا الباطل فانه خفيف على
النفس تستحليه وتستملحه وتخيروا له اعذب الالفاظ واسحرها
للالباب وامزجوه بما تهوى الانفس مزجا والقوا الكلمة فان
رايتم منه اصغاء اليها فزجوه باخواتها وكلما صادفتم منه استحسان
شيء فالهجوا بذكره واياكم ان يدخل من هذا الثغر شيء من كلام
الله او كلام رسوله او كلام النصحاء فان غلبتم على ذلك ودخل
من ذلك شيء فحولوا بينه وبين فهمه وتدبره والتفكر فيه
والعظة به اما بادخال ضده عليه واما بتهويل ذلك وتعظيمه
وان هذا امر قد حيل بين النفوس وبينه فلا سبيل لها اليه
وهو حمل ثقيل عليها لا تستقل به ونحو ذلك واما بارخاصه
على النفوس وان الاشتغال ينبغي ان يكون اهم بما هو اعلى
عند الناس واعز عليهم واغرب عندهم وزبونه القابلون له
كثير واما الحق فهو مهجور وقائله معرض نفسه للعداوة
والرائج بين الناس اولى بالايثار ونحو ذلك فيدخلون عليه
الباطل في كل قالب يقبله ويخف عليه ويخرجون له الحق في كل

قالب يكرهه ويثقل عليه واذا شئت ان تعرف ذلك فانظر
الى اخوانهم من شياطين الانس كيف يخرجون الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر في قالب كثير الفضول وتتبع عثرات الناس
والتعرض من البلاء لما لا يطيق والقاء الفتن بين الناس ونحو ذلك
ويخرجون اتباع السنة ووصف الرب تعالى بما وصف به نفسه
ووصفه به رسوله في قالب التجسيم والتشبيه والتكييف
ويسمون علو الله على خلقه واستوائه على عرشه ومباينته
لمخلوقاته تحيزا ويسمون نزوله الى سماء الدنيا وقوله من يسألني
فاعطيه تحركا وانتقالا ويسمون ما وصف به نفسه من اليد
والرجل اعضاء وجوارح ويسمون ما يقوم به من افعاله حوادث
وما يقوم به من صفاته اعراضا ثم يتوصلون الى نفي ما وصف
به نفسه بنفي هذه الامور ويوهمون الاغمار وضعفاء البصائر
ان اثبات الصفات التي نطق بها كتاب الله وسنة رسوله
تستلزم هذه ويخرجون التعطيل في قالب التنزيه والتعظيم
واكثر الناس ضعفاء العقول يقبلون الشي بلفظ ويردونه بعينه
بلفظ اخر قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فسماه

زخرفا

زخرفا وهو باطل لان صاحبه يزخرفه ويزينه ما استطاع ويلقيه
الى سمع المغرور فيغتر به والمقصود ان الشيطان قد لزم ثغر
الاذن ان يدخل فيها ما يضر العبد ولا ينفعه ويمنع ان يدخل اليها
ما ينفعه وان دخل بغير اختياره افسده عليه

فصل

ثم يقول قوموا على ثغر اللسان فانه الثغر الاعظم وهو قبالة
الملك فاجروا عليه من الكلام ما يضره ولا ينفعه وامنعوا ان
يجري عليه شي مما ينفعه من ذكر الله تعالى واستغفاره وتلاوة
كتابه ونصيحة عباده او التكلم بالعلم النافع ويكون لكم في
هذا الثغر امران عظيمان لا تبالون بايهما ظفرتم احدهما
التكلم بالباطل فان المتكلم بالباطل اخ من اخوانكم ومن اكبر
جندكم واعوانكم الثاني السكوت عن الحق فان الساكت
عن الحق اخ من اخوانكم اخرس كما ان الاول اخ ناطق وربما
كان الاخ الثاني انفع اخويكم لكم اما سمعتم قول الناصح المتكلم
بالباطل شيطان ناطق والساكت عن الحق شيطان اخرس فالرباط
الرباط على هذا الثغر ان يتكلم بحق او يمسك عن الباطل وزينوا
له التكلم بالباطل بكل طريق وخوفوه من التكلم بالحق بكل
طريق واعلموا يا بني ان ثغر اللسان هو الذي اهلك منه بني ادم

مطلب ثغر اللسان

واكبتهم منه على مناخرهم في النار فكم لي من قتيل واسير وجريح
اخذته من هذا الثغر واوصيكم بوصية فاحفظوها لينطق
احدكم على لسان اخيه من الانس بالكلمة ويكون الاخر على
لسان السامع فينطق باستحسانها وتعظيمها والتعجب منها
ويطلب من اخيه اعادتها وكونوا اعوانا على الانس بكل طريق
وادخلوا عليهم من كل باب واقعدوا لهم كل مرصد اما
سمعتم قسمي الذي اقسمت به لربهم حيث قلت فبما اغويتني
لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن
خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين اما
تروني قد قعدت لابن ادم بطرقه كلها فلا يفوتني من طريق
الا قعدت له بطريق غيره حتى اصيب منه حاجتي او بعضها
وقد حذرهم من ذلك رسولهم فقال ان الشيطان قد قعد
لابن ادم بطرقه كلها فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم
وتذر دينك ودين ابائك فخالفه واسلم فقعد له بطريق
الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماءك فخالفه وهاجر
فقعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد فتقتل فيقسم المال وتنكح
الزوجة فهكذا فاقعدوا لهم بكل طرق الخير فاذا اراد احدهم

ان يتصدق فاقعدوا له على طريق الصدقة وقولوا له في نفسه
اتخرج المال فتبقى مثل هذا السائل وتصير بمنزلته انت وهو
سواء او ما سمعتم ما القيت على لسان رجل سأله اخر ان يتصدق
عليه فقال هي اموالنا ان اعطيناكموها صرنا مثلكم واقعدوا
لهم بطريق الحج فقولوا طريقه مخوفة مشقة يتعرض سالكها
لتلف النفس والمال وهكذا فاقعدوا على سائر طرق الخير
بالتنفير منها واذكروا صعوبتها وافاتها ثم اقعدوا لهم على
طريق المعاصي فحسنوها في اعين بني ادم وزينوها في قلوبهم
واجعلوا اكثر اعوانكم على ذلك النساء فمن ابوابهن فادخلوا
عليهم فنعم العون هن لكم ثم الزموا ثغر اليدين والرجلين
فامنعوها ان تبطش فيما يضركم او تمشي فيه واعلموا ان
اكثر عونكم على لزوم هذه الثغور مصالحة النفس الامارة
فاعينوها واستعينوا بها وامدوها واستمدوها وكونوا معها
على حرب النفس المطمئنة فاجتهدوا في كسرها وابطال قواها
ولا سبيل الى ذلك الا بقطع موادها عنها فاذا انقطعت
موادها عنها وقويت مواد النفس الامارة وانطاعت لكم
اعوانها فاستنزلوا القلب من حصنه واعزلوه عن مملكته وولوا

مكايد النفس فانها لا تأمر الا بما تشتهون وتحبونه ولا يجيبكم بما
تكرهونه البتة مع انها لا تخالفكم في شيء تشيرون به عليها بل
اذا اشرتم عليها بشيء بادرت الى فعله فاذا احسستم من القلب
منازعة الى تملكه واردتم الامن من ذلك فاعقدوا بينه
وبين النفس عقد النكاح فزينوها وجلوها واروها اياه في
احسن صورة عروس توجد وقولوا له ذق طعم هذا الوصال
والتمتع بهذه العروس كما ذقت طعم الحرب وباشرت مرارة
الطعن والضرب ثم وازن بين لذة هذه المسالمة ومرارة تلك
المحاربة فدع الحرب تضع اوزارها فليست بيوم وينقضي
وانما هو حرب متصل بالموت وقواك يضعف عن حرب دائم
واستعينوا يا بني بجندين عظيمين لن تغلبوا معهما احدهما جند
الغفلة فاغفلوا قلوب بني ادم عن الله والدار الاخرة بكل
طريق فليس لكم شيء ابلغ من تحصيل غرضكم من ذلك فان القلب
اذا غفل عن الله تملكتم منه ومن اغوائه الثاني جند الشهوات
فزينوها في قلوبهم وحسنوها في اعينهم وصولوا عليهم بهذين
العسكرين فليس لكم في بني ادم ابلغ منهما واستعينوا على الغفلة
بالشهوات وعلى الشهوات بالغفلة واقرنوا بين الغافلين

ثم استعينوا بها على الذاكر ولا يغلب واحد خمسة فان مع الغافلين
شيطانين صاروا اربعة وشيطان الذاكر معهم واذا رايتم
جماعة مجتمعين على ما يضركم من ذكر الله او مذاكرة امره
ونهيه ودينه ولم تقدروا على تفرقهم فاستعينوا عليهم ببني
جنسهم من الانس البطالين وقربوهم منهم وشوشوا عليهم بهم
وبالجملة فاعدوا للامور اقرانها وادخلوا على كل واحد من بني
ادم من باب ارادته وشهوته فساعدوا عليها وكونوا اعوانا
له على تحصيلها واذا كان الله قد امرهم ان يصبروا لكم ويصابروكم
ويرابطوا عليكم الثغور فاصبروا انتم وصابروا عليهم الثغور
وانتهزوا فرصتكم فيهم عند الشهوة والغضب فلا تصطادوا دون
بني ادم في اعظم من هذين الموضعين واعلموا ان منهم من
يكون سلطان الشهوة عليه اغلب وسلطان غضبه ضعيف
مقهور فخذوا عليه طريق الشهوة ودعوا طريق الغضب
ومنهم من يكون سلطان الغضب عليه اغلب فلا تخلوا طريق
الشهوة قلبه ولا تعطلوا ثغرها فان من لم يملك نفسه عند
الغضب فانه بالحرى ان لا يملك نفسه عند الشهوة فزوجوا
بين غضبه وشهوته وامزجوا احدهما بالاخر وادعوه الى الشهوة

من باب الغضب والى الغضب من طريق الشهوة واعلموا ان ليس
لكم في بني ادم سلاح ابلغ من هذين السلاحين وانما اخرجت
ابويهم من الجنة بالشهوة وانما القيت العداوة بين اولادهم بالغضب
فقطعت ارحامهم وسفكت دماءهم وبه قتل احد ابني ادم اخاه واعلموا
ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم والشهوة نار تثور من قلبه وانما
تطفى النار بالماء والصلاة والذكر والتكبير واياكم ان تمكنوا بني
ادم عند غضبه وشهوته من قربان الوضوء والصلاة فان ذلك
يطفي عنهم نار الغضب والشهوة وقد امرهم نبيهم بذلك فقال ان
الغضب جمرة في قلب ابن ادم اما رايتم احمرار عينيه وانتفاخ
اوداجه فمن احس بذلك فليتوضا وقال لهم انما تطفى النار بالماء
وقد اوصاهم الله ان يستعينوا عليكم بالصبر والصلاة فحولوا
بينهم وبين ذلك وانسوهم اياه واستعينوا عليهم بالشهوة والغضب
وابلغ اسلحتكم فيهم وانكاها الغفلة واتباع الهوى واعظم
اسلحتهم فيكم وامنع حصونهم ذكر الله ومخالفة الهوى فاذا
رايتم الرجل مخالفا لهواه فاهربوا من ظله ولا تدنوا منه
والمقصود ان الذنوب والمعاصي سلاح ومدد يمد بها العبد
اعداؤه ويعينهم بها على نفسه فيقتلونه بسلاحه ويكونون معهم على

نفسه

نفسه وهذا غاية الجهل ما تبلغ الاعدا من جاهل ما يبلغ الجاهل
من نفسه ،، ومن العجايب ان العبد يسعى بجهده في هوان نفسه
وهو يزعم انه لها مكرم ويجتهد في حرمانها اعلا حظوظها واشرفها
وهو يزعم انه يسعى في حظها ويبذل جهده في تصغيرها وتحقيرها
وتدسيتها وهو يزعم انه يعليها ويرفعها ويكبرها وكان بعض السلف
يقول في خطبته الا رب مهين لنفسه وهو يزعم انه لها مكرم
ومذل لنفسه وهو يزعم انه لها معز ومصغر لنفسه وهو يزعم
انه لها مكبر ومضيع لنفسه وهو يزعم انه لها مراع لحقها وكفى
بالمرء جهلا ان يكون مع عدوه على نفسه يبلغ منها بفعله ما لا يبلغه
عدوه والله المستعان فصل ومن عقوباتها انها تنسي العبد
نفسه واذا نسي نفسه اهملها وافسدها واهلكها فان قيل كيف ينسى
العبد نفسه واذا نسي العبد نفسه فاي شي يذكر وما معنى نسيان
نفسه قيل نعم ينسى نفسه اعظم نسيان قال تعالى ولا تكونوا كالذين
نسوا الله فانساهم انفسهم اولائك هم الفاسقون فلما نسوا ربهم سبحانه
نسيهم وانساهم انفسهم كما قال تعالى نسوا الله فنسيهم فعاقب سبحانه
من نسيه عقوبتين احدهما انه سبحانه نسيه والثانية انه انساه
نفسه ونسيانه سبحانه للعبد اهماله وتركه وتخليته عنه واضاعته

فالهلاك ادنى اليه من اليد الى الفم واما انساؤه نفسه فهو انساؤه
لحظوظها العالية واسباب سعادتها وفلاحها وصلاحها وما تكمل
به فينسيه ذلك جميعه فلا يخطر بباله ولا يجعله على ذكره ولا
يصرف اليه همته فيرغب فانه لا يمر بباله حتى يقصده ويؤثره
وايضا فينسيه عيوب نفسه ونقصها وآفاتها فلا يخطر بباله ازالتها
وايضا فينسيه امراض نفسه وقلبه وآلامها فلا يخطر بقلبه مداواتها
ولا السعي في ازالة عللها وامراضها التي تؤول بها الى الفساد والهلاك
فهو مريض مثخن بالمرض ومرضه مترام به الى التلف ولا يشعر بمرضه
ولا يخطر بباله مداواته وهذا من اعظم العقوبة العامة الخاصة
فاي عقوبة اعظم من عقوبة من اهمل نفسه وضيعها ونسي مصالحها
وداءها ودواءها واسباب سعادتها وفلاحها وصلاحها وحياتها
الابدية في النعيم المقيم ومن تأمل هذا الموضع تبين له ان اكثر هذا الخلق
قد نسوا انفسهم حقيقة وضيعوها واضاعوا حظها من الله وباعوها
رخيصة بثمن بخس بيع الغبن وانما يظهر لهم هذا عند الموت ويظهر كل
الظهور يوم التغابن يوم يظهر للعبد انه غبن في العقد الذي عقده
لنفسه في هذه الدار والتجارة التي اتجر فيها لمعاده فان كل احد
يتجر في هذه الدنيا لآخرته فالخاسرون الذين يعتقدون انهم اهل

الربح والكسب اشتروا الحياة الدنيا وحظهم فيها ولذاتهم بالآخرة
وحظهم فيها واذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا واستمتعوا بها ورضوا
واطمأنوا اليها وكان سعيهم لتحصيلها فباعوا واشتروا واتجروا
باعوا آجلا بعاجل ونسيئة بنقد وغائبا بناجز وقالوا هذا هو الحزم
ويقول احدهم خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به وكيف ابيع حاضرا
نقدا مشاهدا في هذه الدار بغائب نسيئة في دار اخرى غير
هذه وينضم الى ذلك ضعف الايمان وقوة داعي الشهوة ومحبة
العاجلة والتشبه ببني الجنس فاكثر الخلق في هذه التجارة الخاسرة
التي قال الله سبحانه وتعالى في اهلها اولئك الذين اشتروا الحياة
الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وقال
فيهم فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فاذا كان يوم التغابن
ظهر لهم الغبن في هذه التجارة فتتقطع عليها النفوس حسرات
واما الرابحون فانهم باعوا فانيا بباق وخسيسا بنفيس وحقيرا
بعظيم وقالوا ما مقدار هذه الدنيا من اولها الى آخرها حتى نبيع
حظنا من الله والدار الآخرة بها فكيف بما يناله العبد منها
في هذا الزمن القصير الذي هو في الحقيقة كغفوة حلم لا نسبة له الى دار
البقاء البتة قال تعالى ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار

يتعارفون بينهم وقال تعالى يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت
انت من ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها كانهم يوم
يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقال تعالى كانهم يوم يرون ما
يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون
وقال تعالى كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
فسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون وقال تعالى يوم
ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان
لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم
الا يوما فهذا حقيقة هذه الدنيا عند موافاة القيامة فلما علموا
قلة لبثهم فيها وان لهم دارا غير هذه الدار هي دار الحيوان ودار
البقا راوا من اعظم الغبن بيع دار البقا بدار الفنا فاتجروا تجارة
الاكياس ولم يغتروا بتجارة السفها من الناس فظهر لهم يوم التغابن
ربح تجارتهم ومقدار ما اشتروه وكل احد في هذه الدنيا بايع مشتر
متجر وكل الناس يغدو فبايع نفسه فموبقها او مبتاعها فمعتقها
ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والا
نجيل والقران ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي

بايعتم

بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم فهذا اول نقدة من ثمن هذه التجارة
فتاجروا ايها المفلسون ويا من لا يقدر على هذا الثمن ها هنا ثمن اخر
فان كنت من اهل هذه التجارة فاعط هذا الثمن التائبون العابدون
الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المومنين
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم
وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم والمقصود
ان الذنوب تنسي العبد حظه من هذه التجارة الرابحة وتشغله
بالتجارة الخاسرة وكفى بذلك عقوبة والله المستعان **فصل**
ومن عقوباتها انها تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة
فتزيل الحاصل وتمنع الواصل فان نعم الله ما حفظت موجودها
بمثل طاعته ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته فان ما عنده لا
ينال الا بطاعته وقد جعل سبحانه لكل شي سببا وافة سببا يجلبه
وافة تبطله فجعل اسباب نعمه الجالبة لها طاعته وافاتها معصيته
فاذا اراد حفظ نعمته على عبده الهمه رعايتها بطاعته فيها واذا
اراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها ومن العجب علم العبد

وكذا قوله تعالى من يعمل

بذلك تشاهده في نفسه وغيره وسماعاً لما غاب عنه من اخبار من
ابتلت نعم الله عنهم لمعاصيه وهو مقيم على معصية الله كانه مستثني
من هذه الجملة ومخصوصاً من هذه العموم وكان هذا امر جار على
الناس لا عليه وواصل الى الخلق لا اليه فاي جهل ابلغ من هذا واي
ظلم للنفس فوق هذا والحكم لله العلي الكبير **فصل** ومن عقوباتها
انها تباعد العبد عن وليه وانفع الخلق له وانصحهم له ومن سعادته
في قربه منه وهو الملك الموكل به وتدني منه عدوه واغش الخلق
واعظمهم ضرراً له وهو الشيطان فان العبد اذا عصى الله تباعد
منه الملك بقدر تلك المعصية حتى انه ليتباعد عنه بالكذبة الواحدة
مسافة بعيدة وفي بعض الاثار اذا كذب العبد تباعد الملك منه
ميلاً من نتن ريحه فاذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة
واحدة فما يكون مقدار بعده منه مما هو اكبر من ذلك وافحش
منه وقال بعض السلف اذا ركب الذكر الذكر عجت الارض الى
الله وهربت الملائكة الى ربها وشكت اليه عظم ما رات وقال
بعض السلف واذا اصبح العبد ابتدره الملك والشيطان فان ذكر
الله وكبره وحمده وهلله طرد الملك الشيطان وتولاه وان
افتتح بغير ذلك ذهب الملك عنه وتولاه الشيطان ولا يزال

وقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به فتدبر

الملك

الملك يتقرب من العبد حتى يصير له الحكم والغلبة والطاعة والعقله
تتولاه الملائكة في حياته وعند موته وعند بعثه كما قال تعالى
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا
تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم
في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم واذا تولاه
الملك تولاه انصح الخلق وانفعهم وابرهم فثبته وعلمه وقوى
جنانه وايده قال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا
الذين امنوا ويقول له الملك عند الموت لا تخف ولا تحزن وابشر
بالذي يسرك ويثبته بالقول الثابت احوج ما يكون اليه في
الحياة الدنيا وعند الموت وفي القبر عند المسائلة فليس احد انفع
للعبد من صحبة الملك له وهو وليه في يقظته ومنامه وحياته
وعند موته وفي قبره ومونسه في وحشته وصاحبه في خلوته
ومحدثه في سره يحارب عنه عدوه ويدافع عنه ويعينه
عليه ويعده بالخير ويبشره به ويحثه على التصديق بالحق كما
جاء في الاثر الذي يروى مرفوعاً وموقوفاً ان للملك بقلب ابن
ادم لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق
بالوعد ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق واذا

اشتد قرب الملك من العبد تكلم على لسانه والقا على لسانه القول
السديد واذا بعد منه وقرب منه الشيطان تكلم على لسانه والقى
عليه الزور والفحش حتى ترا الرجل يتكلم على لسانه الملك والرجل يتكلم
على لسانه الشيطان وفي الحديث ان السكينة تنطق على لسان عمر رضه
وكان احدهم يسمع الكلمة الصالحة من الرجل فيقول ما القاها على
لسانك الا الشيطان فالملك يلقي في القلب الحق ويلقيه على اللسان
والشيطان يلقي الباطل في القلب ويجريه على اللسان فمن عقوبة
المعاصي انها تبعد من العبد وليه الذي سعادته في قربه ومجاورته
ومولاته وتدني منه عدوه الذي شقاوته وفساده في قربه وموالاته
الا انه حتى ان الملك لينافح عن العبد ويرد عنه اذا سفه عليه
السفيه وسبه كما اختصما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم رجلان
فجعل احدهما يسب الاخر وهو ساكت فتكلم بكلمة يرد بها على
صاحبه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لما رددت
عليه بعض قوله قمت فقال كان الملك ينافح عنه فلما رددت
عليه جا الشيطان فلم اكن لاجلس واذا دعى العبد المسلم لاخيه
بظهر الغيب امن الملك على دعائه وقال ولك بمثله واذا فرغ من
قراءة الفاتحة امنت الملائكة على دعائه واذا اذنب العبد المومن
الموحد

الموحد المتبع لسبيله وسنة رسوله استغفر له حملة العرش ومن
حوله واذا نام على وضوء بات في شعاره ملك فملك المومن يرد
عنه ويحاوب عنه ويدافع عنه ويعلمه ويثبته ويشجعه فلا يليق به
ان يسا جواره ويبالغ في اذاه وطرده عنه وابعاده فانه
ضيفه وجاره واذا كان اكرام الضيف من الادميين والاحسان
الى الجار من لوازم الايمان وواجباته فما الظن باكرم اكرم
الاضياف وخير الجيران وابرهم واذا اذى العبد الملك بانواع
المعاصي والظلم والفواحش دعا عليه ربه وقال لا جزاك الله
خيرا كما يدعو له اذا اكرمه بالطاعة والاحسان قال بعض الصحابة
ان معكم من لا يفارقكم فاستحيوا منهم واكرموهم ولا الوم ممن لم
يستحي من العظيم الكريم القدير ولا يجله ولا يوقره وقد نبه
سبحانه على هذا المعنى بقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون اي استحيوا من هولاء الحافظين الكرام
واكرموهم واجلوهم ان يروا منكم ما تستحيون ان يراكم عليه من
هو مثلكم والملايكة تتاذى مما يتاذى منه بنو ادم فاذا كان ابن
ادم يتاذى ممن يفجر ويعصي بين يديه ان كان قد يعمل مثل
عمله فما الظن باذا الملايكة الكرام الكاتبين والله المستعان

فصل ومن عقوباتها انها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه
واخرته فان الذنوب هي امراض متى استحكمت قتلت ولابد وكما
ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذا يحفظه قوته واستفراغ يستفرغ
المواد الفاسدة والاخلاط الرديه التي متى غلبت عليه افسدته
وحمية يمتنع بها عن تناول ما يوذيه ويخشى ضرره فكذلك القلب
لا تتم حياته الا بغذا من الايمان والاعمال الصالحة تحفظ قوته
واستفراغ بالتوبة النصوح يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط
الرديه منه وحمية توجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها
وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد هذه الصحة والتقوى
اسم متناول لهذه الامور الثلاثة فما فات منها فات من التقوى
بقدره واذا تبين هذا فالذنوب مضادة لهذه الامور الثلاثة
فانها تستجلب المواد وتوجب التخليط المضاد للحمية وتمنع الا
ستفراغ بالتوبة النصوحه فانظر الى بدن عليل قد تدارك
عليه الاخلاط ومواد المرض وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف
تكون صحته وبقاؤه ولقد احسن القايل جسمك بالحمية حصنته
مخافة من الم طارئ وكان اولى بك ان تحتمي من المعاصي خشية
النار فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية باجتناب

النواهي

النواهي واستفراغ التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للخير مطلبا
ولا من الشر مهربا والله المستعان فصل فان لم
تردعك هذه العقوبات ولم تجد لها تاثيرا في قلبك فاحضر
العقوبات الشرعية التي شرعها الله ورسوله على الجرايم كما
قطع اليد في سرقة ثلاثة دراهم وقطع اليد والرجل في قطع
الطريق على معصوم المال والنفس وشق الجلد بالسوط على
كلمة قذف لمحصن او قطرة خمر يدخلها جوفه وقتل بالحجارة
اشنع قتلة في ايلاج الحشفة في فرج حرام وخفف على العقوبة
عمن لم تتم عليه نعمة الاحصان بمائة جلدة ونفي سنة عن وطنه
وبلده الى بلاد الغربة وفرق بين راس العبد وبدنه اذا وقع
على ذات رحم محرم منه او ترك الصلاة المفروضة او تكلم
بكلمة كفر وامر بقتل من وطي ذكرا مثله وقتل المفعول به وامر
بقتل من اتى بهيمة وقتل البهيمة معه وعزم على تحريق بيوت
المتخلفين عن الصلاة في الجماعة وغير ذلك من العقوبات التي
رتبها على الجرايم وجعلها بحكمته على حسب الدواعي الى تلك
الجرايم وحسب الوازع عنها فما كان الوازع عنها طبعيا وليس
من الطباع داع اليه اكتفا فيه بالتحريم مع التعزير ولم يرتب

عليه حدّاً كأكل الرجيع وشرب الدم وأكل الميتة وما كان في
الطباع داع إليه رتب عليه من العقوبة بقدر مفسدته وبقدر
داعي الطباع إليه ولهذا لما كان داعي الطبع داعي إلى طباع الزنا
من أقوى الدواعي كانت عقوبته العظمى من أشنع القتلات
وأعظمها وعقوبته السهلة أعلا أنواع الجلد مع زيادة التغريب
ولما كان اللواط فيه الأمران كان حده القتل بكل حال ولما
كان داعي السرقة قوياً ومفسدتها كذلك قطع فيها اليد وتأمل
حكمته في إفساد العضو الذي باشر به الخيانة كما أفسد على قاطع
الطريق يده ورجله التي هما آلة قطعه ولم يفسد على القاذف لسانه
الذي جناية إذ مفسدة قطع يده تزيد على مفسدة الجناية ولا تبلغها
فاكتفى من ذلك بإيلام جميع بدنه بالجلد فإن قيل فهلا أفسد على
الزاني فرجه الذي باشر به المعصية قيل لوجوه أحدها أن مفسدة
ذلك تزيد على مفسدة الجناية إذ فيه قطع النسل وتعريضه للهلاك
الثاني أن عقوبة الفرج مستور لا يحصل بقطعه مقصود الحد من
الردع والزجر لأمثاله من الجناة بخلاف قطع اليد الثالث أنه إذا
قطع يده أبقى له يداً أخرى تعوض عنها بخلاف الفرج الرابع أن لذة
الزنا عمت جميع البدن وذلك أولى في تخصيصها ببعضه منه فعقوبات

التشريع جات على أتم الوجوه وأوفقها للعقل وأقومها بالمصلحة
والمقصود أن الذنوب إما تترتب عليها العقوبات الشرعية
أو القدرية أو يجمعها الله للعبد وقد يرفعها عمن تاب وأحسن

فصل وعقوبات الذنوب نوعان شرعية وقدرية
فإذا أقيمت الشرعية رفعت العقوبات القدرية أو خففها ولا
يكاد الرب تعالى يجمع على العبد بين العقوبتين إذا لم يف أحدهما
برفع موجب الذنب ولم يكف في زوال دائه وإذا عطلت العقوبات
الشرعية استحالت قدرية وربما كانت أشد من القدرية وربما
كانت دونها ولكنها تعم والشرعية تخص فإن الرب تبارك
وتعالى لا يعاقب شرعاً إلا من باشر الجناية أو تسبب إليها وأما
العقوبة القدرية فإنما تقع عامة وخاصة فإن المعصية إذا
أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت ضرت الخاصة والعامة
وإذا رأى الناس المنكر فاشتركوا في ترك إنكاره أوشك الله
أن يعمهم بعقابه وقد تقدم أن العقوبة الشرعية الذي شرعها
الله سبحانه على قدر مفسدة الذنب وتقاضي الطبع لها وجعلها
سبحانه ثلاثة أنواع القتل والقطع والجلد وجعل بإزاء الكفر وما
يليه ويقرب منه وهو الزنا واللواط فإن هذا يفسد الأديان

وهذا يفسد الانسان ونوع الانسان قال الامام احمد لا اعلم بعد القتل
ذنبا اعظم من الزنا واحتج بحديث عبد الله ابن مسعود انه قال يا رسول
الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قال قلت ثم
اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم اي
قال ان تزاني بحليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون
مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون
الاية والنبي ذكر من كل نوع اعلاه ليطابق جوابه سؤال السائل فانه
ساله عن اعظم الذنب فاجابه بما يتضمن ذكر اعظم انواعها وما هو
اعظم من كل نوع فاعظم انواع الشرك ان يجعل العبد لله ندا واعظم
انواع القتل ان يقتل ولده خشية ان يشاركه في طعامه وشرابه
واعظم انواع الزنا ان يزني بحليلة جاره فان مفسدة الزنا تتضاعف
بتضاعف ما انتهكه من الحق فالزنا بالمراة التي لها زوج اعظم اثما
وعقوبة من التي لا زوج لها اذ فيه انتهاك حرمة الزوج وافساد
فراشه وتعليق نسب عليه لم يكن منه وغير ذالك من انواع اذاه
فهو اعظم اثما وجرما من الزنا بغير ذات البعل فان كان زوجها جارا
له انضاف الى ذالك سوء الجوار واذى جاره باعلا انواع الاذى
وذالك من اعظم البوائق وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوائقه ولا بائقة اعظم من الزنا
بامراته فالزنا بمائة امراة لا زوج لها ايسر عند الله من الزنا بامراة
الجار فان كان الجار اخا له او قريبا من اقاربه انظم الى ذالك
فيتضاعف الاثم فان كان الجار غائبا في طاعة الله كالصلاة
وطلب العلم والجهاد تضاعف الاثم حتى ان الزاني بامراة الغازي
في سبيل الله يوقف له يوم القيامة ويقال له خذ من حسناته
ما شئت قال النبي صلى الله عليه وسلم فما ظنكم اي ما ظنكم انه يترك
له من حسنات اذ قد حكم ان ياخذ منها ما يشاء على شدة الحاجة
الى حسنة واحدة حيث لا يترك الاب لابنه ولا الصديق لصديقه
حقا يجب عليه فان اتفق ان تكون المراة رحما انضاف الى ذالك
قطيعة رحمها فان اتفق ان يكون الزاني محصنا كان الاثم اعظم
فان كان شيخا كان اعظم اثما وهو احد الثلاثة الذين لا يكلمهم الله
يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم فان اقترن بذالك ان يكون
في شهر حرام او بلد حرام او وقت معظم عند الله كاوقات الصلوات
واوقات الاجابة تضاعف درجاتها وعلى هذا فاعتبر مفاسد الذنوب
وتضاعف درجاتها في الاثم والعقوبة والله المستعان فصل
وجعل الله سبحانه القطع بازاء الاموال الذي يمكن الاحتراز منه

لانه يدخل الحال في اختفا وينقب البيت والدور ويتسور من غير الابواب
فهو كالسنور او الحية التي تدخل عليك من حيث لا تعلم فلم ترتفع
مفسدة سرقته الى القتل ولا تندفع بالجلد فاحسن ما دفعت به مفسدته
امانة العضو الذي يتسلط به على الجناية وجعل الجلد بازا افساد
العقول وتمزيق الاعراض بالقذف فدارت عقوبانه سبحانه الشرعية
على هذه الانواع الثلاثة كما دارت الكفارات على ثلاثة انواع
العتق وهو اعلاها والاطعام والصيام ثم انه سبحانه جعل الذنوب
ثلاثة اقسام قسما فيه الحد فهذا لم يشرع فيه الكفارة اكتفا بالحد وقسما
لم يترتب عليه حدا فشرع فيه الكفارة كالوطي في نهار رمضان
والوطي في الاحرام والظهار وقتل الخطا والحنث في اليمين وغير ذلك
وقسما لم يترتب عليه حدا ولا كفارة وهو نوعان احدهما ما كان الوازع
عنه طبعيا كاكل العذرة وشرب البول والدم والثاني ما كانت مفسدته
ادنى من مفسدة ما رتب عليه الحد كالنظر والقبلة واللمس والمحادثه
وسرقة فلس ونحو ذلك وشرع الكفارة في ثلاثة انواع احدها
ما كان مباح الاصل ثم عرض تحريمه فباشره في الحال التي عرض
فيها التحريم كالوطي في الاحرام والصيام وطرده الوطي في الحيض دا
لنفاس بخلاف الوطي في الدبر ولهذا كان الحاق بعض الفقها له بالوطي في

الحيض لا يصح فانه لا يباح في وقت دون وقت فهو بمنزلة التلوط وشرب
المسكر النوع الثاني ما عقده الله من نذر او بالله من يمين او حرمه
الله ثم اراد حله فشرع الله سبحانه حله بالكفارة وسماها تحلة و
ليست هذه الكفارة ماحية لهتك حرمة الاسم بالحنث كما ظنه بعض
الفقها فان الحنث قد يكون واجبا وقد يكون مستحبا وقد يكون
مباحا وانما الكفارة حل لما عقده النوع الثالث ما يكون فيه جابرة
لما فات ككفارة قتل الخطا وان لم يكن هناك اثم وكفارة قتل
الصيد خطا فان ذلك من باب الجوابر والنوع الاول من باب
الزواجر والنوع الاوسط من باب التحلة لما منعه العقد ولا يجتمع
العقد والتعزير في معصية بل ان كان فيها حدا اكتفى بالتعزير به
ولا يجتمع الحد والكفارة في معصية بل كل معصية فيها حد فلا
كفارة فيها وما فيه كفارة فلا حد فيه وهل يجتمع التعزير والكفارة
في المعصية التي لا حد فيها فيه وجهان وهذا كالوطي في الاحرام
والصيام ووطي الحايض اذا وجبنا فيه الكفارة فقيل يجب التعزير
لما انتهك من الحرمة بركوب الجناية وقيل لا تعزير في ذلك اكتفا
بالكفارة لانها جابرة وماحيه **فصل** واما العقوبات
القدرية فهي نوعان احدهما نوع على القلوب والنفوس ونوع

على الابدان والاموال والتي على القلوب نوعان احدهما الام وجو
دية يضرب بها القلب والثاني قطع المواد التي بها حياته وصلاحه
عنه واذا قطعت عنه حصلت له اضدادها وعقوبة القلوب
اشد العقوبتين وهي اصل عقوبة الابدان وهذه العقوبة تقوى
وتتزايد حتى تسري من القلب الى الابدان كما يسري الم البدن
الى القلب فاذا فارقت النفس البدن صار الحكم متعلقا بها فظهرت
عقوبة القلب حينئذ وصارت علانية ظاهرة وهي المسما بعذاب
القبر ونسبته الى البرزخ كنسبة عذاب الابدان الى هذه الدار **فصل**
والتي على الابدان ايضا نوعان نوع في الدنيا ونوع في الاخرة وشدتها
ودوامها بحسب مفاسد ما رتبت عليه في الشدة والخفة وليس في
الدنيا والاخرة شر اصلا الا الذنوب وعقوباتها فالشر اسم لذالك
كله واصله من شر النفس وسيئات الاعمال وهما الاصلان اللذان
يستعيذ كان النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته بقول ونعوذ بالله من شرور
انفسنا ومن سيئات اعمالنا وسيئات الاعمال من شرور النفس فعاد
الشر كله الى شر النفس فان سيئات الاعمال من فروعه وثمراته وقد
اختلف في معنى قوله ومن سيئات اعمالنا هل معناه المسيء من اعمالنا
فيكون من باب اضافة النوع الى جنسه ويكون المعنى من قبيل

معناه من عقوباتها التي تسوء فيكون التقدير من عقوبات
اعمالنا التي تسوءنا ويرجح هذا القول ان الاستعاذة تكون قد
تضمنت جميع الشر فان جميع شرور الانفس تستلزم الاعمال السيئة
وهي تستلزم العقوبات السيئة فنبه بشرور الانفس على ما
يقتضيه من قبح الاعمال واكتفى بذكرها اذ هو اصل ثم ذكر
غاية الشر ومنتهاه وهو السيئات التي يسوء العبد منه من عمله
من العقوبات والالام فتضمنت هذه الاستعاذة الشر وفروع
وغايته ومقتضاه ومن دعاء الملائكة والمومنين قولهم وقهم
السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فهذا متضمن طلب
وقايتهم من سيئات الاعمال وعقوباتها التي تسوء صاحبها فانه
سبحانه متى وقاهم العمل السيء وقاهم جزاء السيء وان كان قوله
ومن تقي السيئات يومئذ فقد رحمته اظهر في عقوبات الاعمال
المطلوب وقايتها يومئذ فان قيل فقد سالوه سبحانه ان
يقيهم عذاب الجحيم وهذا هو وقاية العقوبات السيئة فدل على ان
المراد بالسيئات التي سألوا وقايتها الاعمال ويكون الذي سأله
الملائكة نظير ما استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم فلا يرد
على هذا قوله يومئذ لان المطلوب وقاية شرور سيئات الاعمال

ذالك اليوم وهي سيات في انفسها وقيل وقاية السيات نوعان
احدهما وقاية فعلها بالتوفيق فلا تصدر منه الثاني وقاية جزاؤها
بالمغفرة فلا يعاقبه عليها تضمنت الاية سؤال الامرين والطرف
فقيل الجملة الشرطية لا الجملة الطلبية وتأمل ما تضمنه هذا الخبر
عن الملائكة من مدحهم بالايمان والعمل الصالح والاحسان الي
المومنين بالاستغفار لهم وقدموا بين يدي استغفارهم توسلهم
الى الله سبحانه بسعة علمه وسعة رحمته فسعة علمه تتضمن علمه
بذنوبهم واسبابها وضعفهم عن العصمة واستيلا عدوهم وانفسهم
وهواهم وطباعهم وما زين لهم من الدنيا وزينتها وعلمه بهم اذ
انشاهم من الارض واذ هم اجنة في بطون امهاتهم وعلمه السابق
بانهم لا بد ان يعصوا وانه يحب العفو والمغفرة وغير ذالك
من سعة علمه الذي لا يحيط به احد سواه وسعة رحمته تتضمن
انه لا يهلك عليه احد من المومنين من اهل توحيده ومحبته فانه
واسع الرحمة لا يخرج عن دايرة رحمته الا الاشقيا ولا اشقا ممن
لم تسعه رحمته التي وسعت كل شي ثم سالوه ان يغفر للتايبين
الذين اتبعوا سبيله وهو صراطه الموصل اليه الذي هو معرفته
ومحبته وطاعته فتابوا مما يكرهه واتبعوا السبيل التي يحبها ثم

سالوه

سالوه ان يقيهم عذاب الجحيم وان يدخل المومنين من اصولهم
وفروعهم وازواجهم جنات عدن التي وعدهم بها وهو
سبحانه وان كان لا يخلف الميعاد فانه وعدهم بها باسباب
من جملتها دعا ملايكته لهم بان يدخلهم اياها فادخلوها برحمته
التي منها ان وفقهم لاعمالها واقام ملايكته يدعون لهم بدخولها
ثم اخبر سبحانه عن ملايكته انهم قالوا عقيب هذه الدعوة
انك انت العزيز الحكيم اي مصدر ذالك وسببه وغايته
صادر عن كمال قدرتك وكمال علمك فالمغفرة كمال القدرة
والحكمة كمال العلم بهاتين الصفتين يقضي سبحانه ما شا ويامر وينهى
ويثيب ويعاقب فهاتان الصفتان مصدر الخلق والامر والمقصود
ان عقوبات السيات تتنوع الى عقوبات شرعية وقدرية وهي
اما في القلب واما في البدن واما فيهما وعقوبات في دار البرزخ
بعد الموت وعقوبات يوم حشر الاجساد فالذنب لا يخلوا من
عقوبة البتة ولكن لجهل العبد لا يشعر بما هو فيه من العقوبة
لانه بمنزلة السكران والمخدر والنايم الذي لا يشعر بالالم
فاذا استيقظ وصحى احس بالالم فترتبت العقوبات على الذنوب
كترتب الاحراق على النار والكسر على الانكسار والاغراق على

الماء وفساد البدن على السموم والامراض على الاسباب الجالبة
لها وقد تقارن المضرة للذنب وقد يتاخر عنه اما يسيرا واما
مدة كما يتاخر المرض عن سببه او يقارنه وكثيرا ما يقع الغلط
للعبد في هذا المقام ويذنب الذنب فلا يرى عقبته ولا
يدري انه يعمل عمله على التدريج شيئا فشيئا كما تعمل السموم والا
شياء الضارة حذو القذة فان تدارك العبد بالادوية والاستفراغ
والحمية والا فهو صائر الى الهلاك هذا اذا كان ذنبا واحدا لم يتدا
ركه بما يزيل اثره فكيف بالذنب على الذنب كل يوم وكل ساعة
فالله المستعان **فصل** فاستحضر بعض العقوبات التي رتبها
سبحانه على الذنوب وجوز وصول بعضها اليك واجعل ذلك
داعيا للنفس الى هجرانها وانا اسوق لك منها طرفا يكفي العاقل
مع التصديق فمنها الختم على القلوب والاسماع والغشاوة على
الابصار والاقفال على القلوب وجعل الاكنة عليها والرين عليها
والطبع وتقليب الافئدة والابصار والحيلولة بين المرء وقلبه
واغفال القلب عن ذكر الرب وانساء الانسان نفسه وترك ارادة
الله تطهير القلب وجعل الصدر ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء
وصرف القلوب عن الحق وزيادتها مرضا على مرضها واركاسها ونكسها

بحيث

بحيث تبقى منكوسة كما ذكر الامام احمد من حديث ابن اليمان انه
قال القلوب اربعة فقلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن
وقلب اغلف فذلك قلب الكافر وقلب منكوس فذلك قلب
المنافق وقلب تمده مادتان مادة ايمان ومادة نفاق وهو
لما غلب عليه منهما ومنها التثبيط عن الطاعة والاقعاد عنها ومنها
جعل القلب اصم لا يسمع الحق ابكم لا ينطق به اعمى لا يراه فيصير
بالنسبة بين القلب وبين الحق الذي لا ينفعه غيره كالنسبة
بين اذن الاصم والاصوات وعين الاعمى والالوان ولسان الاخرس
والكلام وبهذا يعلم ان الصم والبكم والعمى للقلب بالذات والحقيقة
والجوارح بالعرض والتبعية فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور وليس المراد نفي العمى الحسي عن البصر كيف وقد
قال تعالى ليس على الاعمى حرج وقال عبس وتولى ان جاءه الاعمى
وانما المراد ان العمى التام في الحقيقة عمى القلب حتى ان عمى البصر
بالنسبة الى كماله وقوته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد
بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقوله
ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ولكن المسكين
الذي لا يسال الناس شيئا ولا يفطن له فيتصدق عليه ونظائره كثيرة

والمقصود ان من عقوبات المعاصي جعل القلب اعمى اصم ابكم ومنها
الخسف بالقلب كما يخسف بالمكان وما فيه فيخسف به الى اسفل
سافلين وصاحبه لا يشعر وعلامة الخسف به ان لا يزال جوالا حول
السفليات والقاذورات والرذائل كما ان القلب الذي رفعه
الله وقربه اليه لا يزال جوالا حول البر والخير ومعالي الاعمال وا
لاقوال والاخلاق قال بعض السلف ان هذه القلوب جوالة فمنها
ما يجول حول العرش ومنها ما يجول حول الحش ومنها مسخ القلب
فيمسخ كما تمسخ الصورة فيصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه
في اخلاقه واعماله وطبيعته فمن القلوب ما يمسخ على قلب خنزير
لشدة شبه صاحبه به ومنها ما تمسخ على خلق كلب او حمار او حية
او عقرب وغير ذلك وهذا تاويل سفيان ابن عيينة في قوله
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم
وقال منهم من يكون على اخلاق السباع العادية ومنهم من يكون
على اخلاق الكلاب واخلاق الخنازير واخلاق الحمير ومنهم من يتطوس
في ثيابه كما يتطوس الطاووس في ريشه ومنهم من يكون بليدا كالحمار
ومنهم من يؤثر على نفسه كالديك ومنهم من يالف ويؤلف كالحمام
ومنهم الحقود كالجمل ومنهم الذي هو خير كله كالغنم ومنهم اشباه

مطلب

الذباب

الذباب ومنهم اشباه الثعالب التي تروغ كروغانها وقد شبه الله
تعالى الجهل والغي بالحمر تارة وبالكلب تارة وبالانعام تارة وتقوى
هذه المشابهة باطنا حتى تظهر في الصورة الظاهرة ظهورا خفيا
يراه المتفرسون وتظهر في الاعمال ظهورا يراه كل احد ولا يزال
يقوى حتى يستتبع الصورة فتنقلب الصورة باذن الله تعالى وهو
المسخ التام فيقلب الله سبحانه الصورة الظاهرة على صورة ذلك
الحيوان كما فعل باليهود واشباههم ويفعل بقوم من هذه الامة
تمسخهم قردة وخنازير فسبحان الله كم من قلب منكوس وصاحبه
لا يشعر وقلب ممسوخ وقلب مخسوف به وكم من مفتون بثناء الناس عليه
ومغرور بستر الله عليه ومستدرج بنعم الله عليه وكل هذه عقوبات
واهانة ويظن الجاهل انها كرامة ومنها مكر الله بالماكر ومخادعته
للمخادع واستهزاؤه بالمستهزئ وازاغته لقلب الزائغ عن الحق
ومنها نكس القلب حتى يرى الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا
والمنكر معروفا ويفسد ويرى انه يصلح ويصد عن سبيل الله وهو
يرى انه يدعو اليها ويشتري الضلالة بالهدى وهو يرى انه على
الهدى ويتبع هواه وهو يزعم انه مطيع لمولاه وكل هذا من عقوبات
الذنوب الجارية على القلوب ومنها حجاب القلب عن الرب في الدنيا

مطلب مسخ القلب

والحجاب الاكبر يوم القيامة كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فمنعتهم الذنوب ان
يقطعوا المسافة بينهم وبين قلوبهم فيصلوا اليها فيروا ما يصلحها
ويزكيها وما يفسدها ويشقيها وان يقطعوا المسافة بين قلوبهم وبين
ربهم فتصل القلوب اليه فتفوز بقربه وتقر به عينا وتطيب به
نفسا بل كانت الذنوب حجابا بينهم وبين قلوبهم وحجابا بينهم وبين
ربهم وخالقهم ومنها المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ والعذاب
في الاخرة وقال تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا
ونحشره يوم القيامة اعمى وفسرت المعيشة الضنك عن الاعراض
عن ذكره فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب اعراضه فان
تنعم في الدنيا باصناف النعيم ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات
التي تقطع القلوب والاماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه دائما
يواريه عنه سكر الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة ان
لم ينضم الى ذلك سكر الخمر فسكر هذه الامور اعظم من سكر الخمر
فانه يفيق صاحبه ويصحوا وسكر الهوى وحب الدنيا لا يصحوا
صاحبه الا اذا صار صاحبه في عسكر الاموات فالمعيشة الضنك
لازمة لمن اعرض عن ذكر الله الذي انزله على رسوله في دنياه وفي

البرزخ ويوم معاده ولا تقر العين ولا يهدى القلب ولا تطمئن
النفس الا بالهها ومعبودها الذي هو حق وكل معبود سواه
باطل فمن قرت عينه بالله لم تنقطع نفسه على الدنيا حسرات
والله تعالى انما جعل الحياة الطيبة لمن آمن به وعمل صالحا كما قال
تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة
طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فضمن لاهل الايمان
والعمل الصالح الجزا في الدنيا بالحياة الطيبة والحسنى يوم القيامة
فلهم اطيب الحياتين وهم احيا في الدارين ونظير هذا قوله تعالى
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين ونظيرها
قوله وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى
اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله ففاز المتقون المحسنون
بنعيم الدنيا والاخرة وحصلوا على الحياة الطيبة في الدارين فان
طيب النفس ونور القلب وفرحه ولذته وابتهاجه وطمانينته
وانشراحه وفوزه وسعته وعافيته من الشهوات المحرمة والشبهات
الباطلة وهو النعيم على الحقيقة ولا يشبه لنعيم البدن اليه فقد كان
يقول بعض من ذاق هذه اللذة لو علم الملوك وابنا الملوك ما نحن فيه
لجالدونا عليه بالسيوف وقال اخر انه ليمر بالقلب اوقات اقول

ان كان اهل الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب وقال اخر ان في الدنيا
جنة هي في الدنيا كالجنة في الاخرة فمن دخلها دخل تلك الجنة ومن لم
يدخلها لم يدخل جنة الاخرة وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذه
الجنة بقوله اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة
قال حلق الذكر وقال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ولا
يظن قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم مختص بيوم
المعاد فقط بل هولاء في نعيم في دورهم الثلاثة وهولاء في جحيم في دورهم
الثلاثة واي لذة ونعيم في الدنيا اطيب من بر القلب وسلامة الصدر
ومعرفة الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته وهل العيش في الحقيقة
الا عيش القلب السليم وقد اثنى الله على خليله ابراهيم بسلامة قلبه فقال
وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وقال حاكيا عنه انه
قال يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم والقلب
السليم هو الذي يسلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر
وحب الدنيا والرياسة فسلم من كل افة تبعده من الله وسلم من كل
شبهة تعارض خبره ومن شهوة تعارض امره ومن ارادة تزاحم
مراده ومن كل قاطع يقطع عن الله فهذا القلب السليم في جنة معجلة
في الدنيا وفي جنة في البرزخ وفي جنة يوم المعاد ولا تتم له سلامة

مطلقة

مطلقة حتى يسلم من خمسة اشياء من شرك يناقض التوحيد وبدعة
تخالف السنة وشهوة تخالف الامر وغفلة تناقض الذكر وهوى
يناقض التجريد والاخلاص وهذه الخمسة تحجب عن الله وتحت كل
واحدة منها انواع كثيرة تتضمن افرادا لا تنحصر وكذلك اشتدت
حاجة العبد بل ضرورته الى ان يسال الله ان يهديه الصراط المستقيم
فليس العبد احوج منه الى هذه الدعوة وليس شي انفع له منها فان الصراط
المستقيم يتضمن علوما وارادات واعمالا وتروكا ظاهرة وباطنة
تجري عليه كل وقت فتفاصيل الصراط المستقيم قد يعلمها العبد وقد
لا يعلمها وقد يكون ما لا يعلمه اكثر مما يعلمه وما يعلمه قد يقدر عليه
وقد لا يقدر عليه وهو من الصراط المستقيم وان عجز عنه وما يقدر عليه
قد تريده نفسه وقد لا تريده كسلا وتهاونا او لقيام مانع وغير ذلك
وما تريده قد يفعله وقد لا يفعله وما يفعله قد تقوم بشروط الاخلاص
فقد لا تقوم فيه بكمال المتابعة وقد لا تقوم وما تقوم فيه بالمتابعة
قد يثبت عليه وقد يصرف قلبه عنه وهذا كله واقع سار في الخلق
فمستقل ومستكثر وليس في طباع العبد الهداية الى ذلك بل متى
وكل الى طباعه حيل بينه وبين ذلك كله وهذا هو الاركاس
الذي اركس الله به المنافقين بذنوبهم فاعادهم الى طباعهم وما

خلقت عليه نفوسهم من الجهل والظلم والرب تبارك وتعالى على صراطٍ
مستقيم في قضايه وقدره ونهيه وامره فيهدي من يشا الى صراطٍ
مستقيم بفضله ورحمته وجعل الهداية حيث تصلح ويصرف من
يشا عن صراطه المستقيم بعدله وحكمته لعدم صلاحية المحل وذلك
موجب صراطه المستقيم الذي هو عليه فهو على صراطٍ مستقيمٍ
ونصب لعباده من امره صراطًا مستقيمًا دعاهم جميعًا اليه حجةً
منه وعدلًا وهدا من شا منهم الى سلوكه نعمةً منه وفضلًا ولم يخرج
بهذا العدل وهذا الفضل عن صراطه المستقيم الذي هو عليه فاذا
كان يوم القيامة نصب لخلقه صراطًا مستقيمًا يوصلهم الى جنته
ثم صرف عنه من صرف في الدنيا واقام عليه من اقام عليه في الدنيا وجعل
نور المؤمنين به وبرسوله وما جابه الذي كان في قلوبهم في الدنيا
نورًا ظاهرًا يسعى بين ايديهم وبايمانهم في ظلمة الحشر وحفظ عليهم نورهم
حتى قطعوه كما حفظ عليهم الايمان به حتى لقوه واطفا نور المنافقين
احوج ما كانوا اليه كما اطفاه من قلوبهم في الدنيا واقام اعمال العصاة
بجنبتي الصراط كلاليب وحسكًا تخطفهم كما خطفتهم في الدنيا عن
الاستقامة عليه وجعل قوة سيرهم وسرعتهم اليه في الدنيا ونصب
للمؤمنين حوضًا يشربون منه بازاء شربهم من شرعه في الدنيا

وحرم منه هناك حرمةً من حرم الشرب من شرعه ودينه
ها هنا فانظر الى الاخرة كانها رأي عين وتامل حكمة الله سبحانه
في الدارين تعلم حينيذٍ يقينًا لا اشكال فيه ان الدنيا مزرعة الاخرة
وعنوانها وانموذجها وان منازل الناس فيها في السعادة
والشقاوة على حسب منازلهم في هذه الدار في الايمان والعمل
الصالح وضدهما وبالله التوفيق فمن اعظم عقوبات الذنوب
الخروج عن الصراط المستقيم في الدنيا والاخرة **فصل**
ولما كانت الذنوب متفاوتة في درجاتها ومفاسدها تفاوتت
عقوباتها في الدنيا والاخرة بحسب تفاوتها ونحن نذكر فيها
بعون الله وتوفيقه فصلًا وجيزًا جامعًا فنقول اصلها نوعان
ترك مامورٍ وفعل محظورٍ وهما الذنبان اللذان ابتلا الله
سبحانه بهما ابوي الجن والانس وكلاهما ينقسم باعتبار محله الى
ظاهر على الجوارح وباطن في القلب وباعتبار متعلقه الى حق الله
وحق خلقه وان كان كل حق لخلقه فهو متضمن لحقه لكن سمي حقًا
للخلق لانه يجب بمطالبتهم ويسقط باسقاطهم ثم هذه الذنوب
تنقسم الى اربعة اقسام ملكية وشيطانية وسبعية وبهيمية
فلا تخرج عن ذلك فالذنوب الملكية ان يتعاطى ما لا يصلح له

من صفات الربوبية كالعظمة والكبريا والجبروت والقهر والعلو
واستعباد الخلق ونحو ذالك ويدخل في هذا الشرك بالرب تعالي
وهو نوعان شرك به في اسمايه وصفاته وجعل الهة اخرى معه
وشرك به في معاملته وهذا الثاني قد لا يوجب دخول النار وان
احبط العمل الذي اشرك فيه مع الله غيره وهذا القسم اعظم انواع
الذنوب ويدخل فيه القول على الله بلا علم في خلقه وامره فمن كان
من اهل هذه الذنوب فقد نازع الله سبحانه في ربوبيته وملكه
وجعل له ندا وهذا اعظم الذنوب عند الله ولا ينفع معه عمل
فصل واما الشيطانية فالنسبة بالشيطان في الحسد والبغي وا
لغش والغل والخداع والمكر والامر بمعاصي الله وتحسينها والنهي
عن طاعته وتهجينها والابتداع في دينه والدعوه الي البدع والضلال
وهذا النوع يلي النوع الاول في المفسدة وان كان مفسدته **فصل**
واما السبعية فذنوب العدوان والغضب وسفك الدما والتوثب
على الضعفا والعاجزين ويتولد منها انواع اذى النوع الانساني
والجراة على الظلم والعدوان واما الذنوب البهيمية فمثل
الشره والحرص على قضا شهوة البطن والفرج ومنها يتولد الزنا
والسرقة واكل اموال اليتامي والبخل والشح والجبن والهلع

مطلب في انواع الذنوب

والجزع

والجزع وغير ذالك وهذا القسم اكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب
السبعية والملكية ومنه يدخلون الى ساير الاقسام فهو
يجرهم اليها باكرام فيدخلون منها الي الذنوب السبعية ثم الى الشيطانية
ثم الى منازعة الربوبية والشرك في الوحدانية ومن تامل هذا حق
التامل تبين له ان الذنوب دهليز الشرك والكفر ومنازعة الله
ربوبيته **فصل** وقد دل القران والسنة واجماع
الصحابة والتابعين بعدهم والايمة على ان من الذنوب كباير
وصغاير قال تعالي ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم
سياتكم وقال تعالي الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا
اللمم وفي الصحيح عنه صلي الله عليه وسلم انه قال الصلوات الخمس
والجمعة الي الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن
اذا اجتنبت الكباير وهذه الاعمال المكفرة لها ثلاث درجات
احداها ان تقصر عن تكفير الصغاير لضعفها وضعف الاخلاص
فيها والقيام بحقوقها بمنزلة الدواء الذي ينقص عن مقاومة
الداء كمية وكيفية والثانية ان تقوى على تكفير الصغاير
ويبقى فيها قوة تكفر بعض الكباير فتامل هذا فانه يزيل عنك
اشكالات كثيرة وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الا انبيكم

باكبر الكباير قالوا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق
الوالدين وشهادة الزور وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم
قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال الاشراك
بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل
الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات
وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه سأل اي الذنب اكبر
عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قيل ثم اي قال ان تقتل
ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني بحليلة جارك
فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا
يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الاية واختلف
الناس في الكباير هل لها عدد يحصرها على قولين ثم الذين قالوا
بحصرها اختلفوا في عددها فقال عبد الله ابن مسعود رضي هي اربع
وقال عبد الله ابن عمر رضي هي سبع وقال عبد الله ابن عمرو ابن العاص رضي
هي تسعة وقال غيره احدى عشرة وقال آخر غيره هي سبعون
وقال ابو طالب المكي جمعتها من اقوال الصحابة فوجدتها اربعة
في القلب وهي الشرك والاصرار على المعصية والقنوط من رحمة
الله والامن من مكر الله واربعة في اللسان وهي شهادة الزور

وقذف المحصنات واليمين الغموس والسحر وثلاثة في البطن شرب
الخمر واكل مال اليتيم واكل الربا واثنان في الفرج وهما الزنا وا
للواط واثنان في اليدين وهما القتل والسرقة وواحد في الرجلين
وهي الفرار من الزحف وواحد متعلق بجميع الجسد وهو عقوق الوالدين
والذين لم يحصروها بعدد منهم من قال كلما نهى الله عنه في القران
فهو كبيرة وما نهى الرسول عنه فهو صغيرة وقالت طايفة
ما اقترن بالنهي عنه وعيد من لعن او غضب او عقوبة فهو كبيرة
وما لم يقترن به شي من ذلك فهو صغيرة وقيل كلما رتب الله
عليه حدا في الدنيا او وعيدا في الاخرة فهو كبيرة وما لم يرتب
عليه لا هذا ولا هذا فهو صغيرة وقيل كلما اتفقت الشرايع
على تحريمه فهو كبيرة من الكباير وما كان تحريمه في شريعة دون
شريعة فهو صغيرة وقيل كلما لعن الله ورسوله فاعله فهو كبيرة
وقيل كلما ذكر من اول سورة النسا الى قوله ان تجتنبوا كباير ما
تنهون نكفر عنكم سياتكم والذين لم يقسموها الى كباير وصغاير
قالوا الذنوب كلها بالنسبة الى الجراة على الله سبحانه وتعالى
ومعصيته ومخالفة امره كباير والنظر الى من عصى امره وانتهك
محارمه توجب ان تكون الذنوب كلها كباير وهي مستوية في

هذه المغفرة قالوا ويوضح ان الله سبحانه لا تضره الذنوب
ولا يتاثر بها فلا يكون بعضها بالنسبة اليه اكبر من بعض فلم
يبق الا مجرد معصيته ومخالفته ولا فرق في ذلك بين ذنب وذنب
قالوا ويدل على ان مفسدة الذنوب انما هي تابعة للجراة والتوثب
على حق الرب تعالى ولهذا لو شرب رجل خمرا او وطي بهيمة حراما
وهو لا يعتقد تحريمه لكان قد جمع بين الجهل وبين مفسدة ارتكاب
الحرام ولو فعل ذلك من يعتقد تحريمه لكان اتيا باحدى المفسدتين
وهو الذي يستحق العقوبة دون الاول فدل على ان مفسدة
الذنب تابعة للجراة والتوثب قالوا ويدل على هذا ان المعصية
تتضمن الاستهانة بامر المطاع ونهيه وانتهاك حرمته وهذا لا
فرق فيه بين ذنب وذنب قالوا فلا ينظر العبد الى كبر الذنب
وصغره في نفسه ولكن ينظر الى قدر من عصاه وعظمته وانتهاك
حرمته بالمعصية وهذا لا يفترق فيه الحال بين معصية ومعصية
فان ملكا مطاعا عظيما لو امر احد مملوكيه ان يذهب الى مهم له
او الى بلد بعيد وامر اخر ان يذهب في شغل له الى جانب
الدار فعصياه وخالفا امره لكانا في مقته والسقوط من عينه
سوا قالوا ولهذا كانت معصية من ترك الحج من مكة او ترك الجمعة

وهو جار المسجد اقبح عند الله من معصية من تركه من المكان
البعيد والواجب على هذا اكثر من الواجب على هذا ولو كان
مع رجل مايتا درهم فمنع زكاتها ومع اخر مايتا الف فمنع
زكاتها لاستويا في منع ما وجب على كل واحد منهما فلا يبعد
استواهما في العقوبة اذا كان كل منهما مصرا على منع زكاة ماله
قليلا كان المال او كثيرا **فصل** وكشف الغطا عن
هذه المسالة ان يقال ان الله عز وجل ارسل رسله وانزل
كتبه وخلق السماوات والارض ليعرف ويوحد ويعبد
ويكون الدين كله لله والطاعة كلها له والدعوة له كما قال
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال تعالى وما خلقنا
السماوات والارض وما بينهما الا بالحق وقال الله الذي خلق سبع
سماوات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله
على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي علما وقال جعل
الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي
والقلايد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السماوات وما في الارض
وان الله بكل شي عليم فاخبر سبحانه ان القصد بالخلق والامر
ان يعرف باسمايه وصفاته ويعبد وحده ولا يشرك به وان

بقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السماوات والارض
كما قال تعالى ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط وهو العدل بالقسط وهو العدل
ومن اعظم القسط التوحيد بل هو راس العدل وقوامه وان الشرك
لظلم عظيم فالشرك اظلم الظلم والتوحيد اعدل العدل فما كان
اشد منافاة لهذا المقصود فهو اكبر الكبائر وتفاوتها في درجاتها
بحسب منافاتها له وما كان اشد موافقة لهذا المقصود فهو
اوجب الواجبات وافرض الطاعات فتامل هذا الاصل حق التامل
واعتبر بجملة تفاصيله تعرف به احكم الحاكمين واعلم العالمين فيما
فرضه على عباده وحرمه عليهم وتفاوت مراتب الطاعات
والمعاصي فلما كان الشرك بالله منافيا بالذات لهذا المقصود
كان اكبر الكبائر على الاطلاق وحرم الله الجنة على كل مشرك
واباح دمه وماله واهله لاهل التوحيد وان يتخذوهم عبيدا لما
تركوا القيام بعبوديته وابى الله سبحانه ان يقبل من مشرك عملا
او يقبل فيه شفاعة او يستجيب له في الدنيا والاخرة دعوة او
يقبل له عثرة فان المشرك اجهل الجاهلين بالله حيث جعل
له من خلقه ندا وذلك غاية الجهل وكما انه غاية الظلم منه وان

تعظيم المشرك

كان المشرك لم يظلم ربه وانما ظلم نفسه وقد وقعت مسالة
وهي ان المشرك انما قصده تعظيم الرب تبارك وتعالى وانه
لعظمته لا ينبغي الدخول عليه الا بالوسائط والشفعا كحال
الملوك فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية وانما
قصد تعظيمه وقال انما اعبد هذه الوسائط لتقربني اليه وتدل
ني عليه فهو المقصود وهذه وسائل وشفعا فلم كان هذا
القدر موجبا لسخطه وغضبه تبارك وتعالى مخلدا في النار
وموجبا لسفك دما اصحابه واستباحة حريمهم واموالهم وترتب
على هذا سؤال اخر وهو انه هل يجوز ان يشرع الله لعباده
التقرب اليه بالشفعا والوسائط ام لا فيكون تحريم هذا
انما استفيد من الشرع وذلك قبيح في الفطرة والعقول يمتنع
ان ياتي به شريعة بل جات الشرائع بتقرير ما في الفطر والعقول
من قبحه الذي هو اقبح من كل قبيح وما السر في كونه لا
يغفره من بين سائر الذنوب كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فتامل هذا السؤال
واجمع قلبك وذهنك على جوابه ولا تستهونه فان به يحصل
الفرق بين المشركين والموحدين والعالمين بالله والجاهلين

واهل الجنة واهل النار منقول وبالله التوفيق والتأييد ومنه
نستمد المعونة والتسديد فانه من يهد الله فلا مضل له ومن
يضلل فلا هادي له ولا مانع لما اعطا ولا معطي لما منع الشرك
شركان شرك يتعلق بذات المعبود واسمائه وصفاته وافعاله
وشرك في عبادته ومعاملته وان كان صاحبه [تحقيق] انه سبحانه لا
شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله والشرك الاول نوعان
احدهما شرك التعطيل وهو افتح انواع الشرك كشرك فرعون
اذ قال وما رب العالمين وقال لهامان ابن لي صرحا لعلي اطلع الى
اله موسى واني لاظنه من الكاذبين والشرك والتعطيل متلازمان
فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك لاكن الشرك لا يستلزم
اصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق سبحانه وصفاته
ولكنه عطل حق التوحيد واصل الشرك وقاعدته التي يرجع اليها
هو التعطيل وهو ثلاثة اقسام تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه
وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل اسمائه وصفاته
وافعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد في حقيقة التوحيد
ومن هذا شرك طايفة اهل وحدة الوجود الذين يقولون ما
ثم خالق وغير الله ومخلوق ولا هاهنا شيئان بل الخالق [الحق] المنزه هو عين

الخلق

الخلق المشبه ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وابديته
وانه لم يكن معدوما اصلا بل لم يزل ولا يزال والحوادث باسرها
مستندة عندهم الى اسباب ووسايط اقتضت ايجادها يسمونها
العقول والنفوس ومن هذا شرك من عطل اسما الرب تعالى وا
وصافه وافعاله من غلاة الجهمية والقرامطة فلم يثبتوا له اسما
ولا صفة بل جعلوا المخلوق اكمل منه اذ كمال الذات باسمائها
وصفاتها **فصل** النوع الثاني شرك من جعل معه الها اخر
ولم يعطل اسماؤه وصفاته وربوبيته كشرك النصارى الذين
جعلوه ثالث ثلاثة فجعلوا المسيح الها وامه الها ومن هذا شرك
المجوس القايلين باسناد حوادث الخير الى النور وحوادث
الشر الى الظلمة ومن هذا شرك القدرية القايلين بان الحيوان
هو الذي يخلق افعال نفسه وانها تحدث بدون مشية الله
وقدرته وارادته ولهذا كانوا اشباه المجوس ومن هذا شرك
الذي حاج ابراهيم في ربه اذ قال له ابراهيم ربي الذي يحيي
قال انا احيي واميت فهذا جعل نفسه ندا لله يحيي ويميت
بزعمه فالزمه ابراهيم ان طرد قولك ان تقدر على الاتيان
بالشمس من غير الجهة التي ياتي الله بها منها وليس هذا اتفاقا لاكما

زعم بعض اهل الجدل بل لزاما على طرد الدليل ان كان حقا ومن
هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها اربابا
مدبرة لامر هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم
ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم ومن هولاء من
يزعم ان معبوده هو الاله على الحقيقة ومنهم من يزعم انه اكبر
الالهة ومنهم من يزعم انه اله من جملة الالهة وانه اذا خصه
بعبادته والتبتل اليه والانقطاع اليه اقبل عليه واعتنى به ومنهم
من يزعم ان معبوده الادنى يقربه الى المعبود والذي هو فوقه
الفوقاني هو يقربه الى من هو فوقه حتى تقربه تلك الالهة
الى الله سبحانه فتارة تكثر الواسطة وتارة تقل **فصل**
واما الشرك في العبادة فهو اسهل من هذا الشرك واخف امرا
فانه يصدر ممن يعتقد ان لا اله الا الله وانه لا يضر ولا ينفع
ويعطي ويمنع الا الله وانه لا اله غيره ولا رب سواه ولكن لا
يخلص لله في معاملته وعبوديته بل يعمل لحظ نفسه تارة ولطلب
الدنيا تارة ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة فلله
من عمله نصيب ولنفسه وحظه وهواه نصيب وللشيطان نصيب
وللخلق نصيب وهذا حال اكثر الناس وهو الشرك الذي قال

فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان في صحيحه الشرك
في هذه الامة كدبيب النمل قالوا وكيف ننجو منه يا رسول
الله قال قل اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك وانا اعلم وا
ستغفرك لما لا اعلم فالريا كله شرك قال الله تعالى قل انما
انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقا
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي كما
انه اله واحد لا اله سواه فكذلك ينبغي ان تكون العبادة
لله وحده فكما تفرد بالالهية يجب ان يفرد بالعبودية
فالعمل الصالح هو الخالي من الريا المقيد بالسنة وكان من دعا
عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله
لوجهك خالصا ولا تجعل لاحد فيه شيا وهذا الشرك في
العبادة يبطل ثواب العمل وقد يعاقب عليه اذا كان العمل
واجبا فانه ينزله منزلة من لم يعمله فيعاقب على ترك الامر
فان الله سبحانه وتعالى انما امر بعبادته خالصة قال تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفا فمن لم يخلص
لله في عبادته لم يفعل ما امر به بل الذي اتى به شي غير
المامور به فلا يصح ولا يقبل منه ويقول الله تعالى انا اغنى

مطلب الشرك في العمل

الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً اشرك فيه معي غيري فهو للذي
اشرك به وانا منه بريء وهذا الشرك ينقسم الي مغفور وغير
مغفور واكبر واصغر والنوع الاول ينقسم الي كبير واكبر وليس
شيء منه مغفوراً فمنه الشرك بالله في المحبة والتعظيم ان يحب
مخلوقاً كما يحب الله فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله وهو
الشرك الذي قال سبحانه فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله
انداداً يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حباً لله وقال اصحاب
هذا الشرك لالهتهم وقد جمعهم الجحيم تالله ان كنا لفي ضلال مبين
اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم انهم ما سووهم به سبحانه في
الخلق والرزق والاماتة والاحيا والملك والقدرة وانما سووهم
به في الحب والتالة والخضوع لهم والتذلل وهذا غاية الظلم والجهل
فكيف يسوي التراب برب الارباب وكيف يسوي العبيد بمالك
الرقاب وكيف يسوي الفقير بالذات العاجز بالذات المحتاج
بالذات الذي ليس من ذاته الا العدم بالغنا بالذات والقادر بالذات
الذي غناه وقدرته وملكه وجوده واحسانه وعلمه ورحمته
وكماله المطلق التام من لوازم ذاته فاي ظلم اقبح من هذا واي
حكم اشد جوراً منه حيث عدل من لا عدل له من خلقه كما قال

تعالى

تعالى الحمد لله الذي خلق السماوات والارض وجعل الظلمات
والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فعدل المشرك من خلق
السماوات والارض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك لنفسه
ولا لغيره مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض فيا لك من عدل
عدل تضمن اكبر الظلم واقبحه **فصل** ويتبع هذا الشرك
الشرك به سبحانه في الافعال والاقوال والارادات والنيات فالشرك
في الافعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته وحلق الرأس
عبودية وخضوعاً لغيره وتقبيل الاحجار غير الحجر الاسود الذي
هو يمينه في الارض وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها
وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخذ قبور الانبياء وا
لصالحين مساجد يصلي لله فيها فكيف بمن اتخذ القبور اوثاناً
يعبدها من دون الله ففي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لعن الله اليهود لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور
انبيائهم مساجد وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان من شرار
الناس من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور
مساجد وفي الصحيح عنه ايضاً ان من كان قبلكم كانوا يتخذون
القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم

عن ذالك وفي مسند الامام احمد وصحيح ابن حبان عنه صلى الله
عليه وسلم قال لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها
المساجد والسرج وقال اشتد غضب الرب على قوم اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد وقال ان من كان قبلكم كانوا اذا مات
فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة
واولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة فهذا حال من سجد لله
في مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه وقد قال صلى
الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقد حمى النبي صلى الله
عليه وسلم جانب التوحيد اعظم حماية حتى نهى عن صلاة التطوع
لله سبحانه وتعالى عند طلوع الشمس وعند غروبها لئلا يكون
ذريعة الى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين
الحالتين وسد الذريعة بان منع من الصلاة بعد العصر والصبح
لاتصال هذين الوقتين بالوقتين الذين يسجد المشركون فيها للشمس
واما السجود لغير الله فقال لا ينبغي لاحد ان يسجد الا لله ولا ينبغي
في كلام الله ورسوله الذي هو في غاية الامتناع لقوله وما ينبغي
للرحمن ان يتخذ ولدا وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقوله
وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وقوله عن الملائكة ما كان ينبغي

مطلب علة النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس

لنا

مطلب شرك لفظي

لنا ان نتخذ من دونك من اولياء **فصل** ومن الشرك به سبحانه
الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره كما رواه الامام احمد وابو داود
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف بغير الله فقد اشرك صححه
الحاكم وابن حبان ومن ذالك قول القائل للمخلوق ما شاء الله
وشئت كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل ما شاء
الله وشئت فقال اجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده هذا مع
ان الله قد اثبت للعبد مشية كقوله لمن شاء منكم ان يستقيم فكيف
لمن يقول انا متوكل على الله وعليك وانا في حسب الله وحسبك
ومالي الا الله وانت وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله
وبركاتك والله لي في السما وانت لي في الارض او يقول والله وحيات
فلان او يقول نذرا لله ولفلان وانا تايب لله ولفلان وارجوا
الله وفلان ونحو ذالك فوازن بين هذه الالفاظ وبين قول
القايل ما شا الله وشئت ثم انظر ايهما افحش يتبين لك ان قايلها
اولى بجواب النبي صلى الله عليه وسلم للقايل تلك الكلمة وانه اذا
كان قد جعله لله ندا بها فهذا قد جعل من لا يداني رسول الله
صلى الله عليه وسلم في شي من الاشيا بل لعله ان يكون من اعدايه ندا
لرب العالمين والسجود والعبادة والتوكل والانابة والتقوى

والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير وا
لتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الراس خضوعا وتعبدا والطواف
بالبيت والدعا كل ذلك محض حق الله الذي لا يصلح ولا ينبغي لسواه
من ملك مقرب ولا نبي مرسل وفي مسند الامام احمد ان رجلا اتي
به الى النبي صلى الله عليه وسلم قد اذنب ذنبا فاوقف بين يديه فقال اللهم
اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال عرف الحق لاهله **فصل**
واما الشرك في الارادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل
له وقل من ينجو منه فمن اراد بعمله غير وجه الله ونوي شيا
غير التقرب اليه وطلب الجزا منه فقد اشرك في نيته وارادته
والاخلاص ان تخلص لله في اقواله وافعاله وارادته ونيته وهذه
الحنيفية ملة ابراهيم التي امر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من احد
غيرها وهي حقيقة الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه وهو في الاخرة من الخاسرين وهي ملة ابراهيم التي من رغب
عنها فهو من اسفه السفها **فصل** اذا عرفت هذه المقدمة
انفتح لك الجواب عن السوال المذكور فنقول ومن الله وحده
نستمد الصواب حقيقة الشرك هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق
به هذا هو التشبه في الحقيقة لا اثبات صفات الكمال التي وصف الله

بها نفسه ووصف بها رسوله سبحانه فعكس من نكس الله قلبه
واعمى عين بصيرته واركسه بلبسه الامر وجعل التوحيد تشبيها
والتشبيه تعظيما وطاعة فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصايص
الالهية فان من خصايص الالهية التفرد بملك الضر والنفع
والعطا والمنع وذلك يوجب تعليق الدعا والخوف والرجا وا
لتوكل به وحده فمن علق ذلك لمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل
من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فضلا
عن غيره شبيها لمن له الامر كله فازمة الامور كلها بيده ومرجعها
اليه فما شا كان وما لم يشا لم يكن لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع
بل اذا فتح لعبده باب رحمة لم يمسكها احد وان امسكها عنه لم
يرسلها اليه احد فمن اقبح التشبيه تشبيه العاجز الفقير بالذات
بالقادر الغني بالذات ومن خصايص الالهية الكمال المطلق
من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك
يوجب ان تكون العبادة كلها له وحده والتعظيم والاجلال
والخشية والدعا والرجا والانابة والتوبة والتوكل والاستعانة
وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة
ان يكون له وحده ويمتنع عقلا وشرعا وفطرة ان يكون لغيره

فمن جعل شيا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له
ولا مثل له ولا ند له وذلك اقبح التشبيه وابطله ولشدة قبحه
وتضمنه غاية الظلم اخبر عباده انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه
الرحمة ومن خصايص الالهية العبودية التي قامت على ساقين
لا قوام لها بدونهما غاية الحب مع غاية الذل هذا تمام العبودية
وتفاوتت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الاصلين
فمن اعطا حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه به في خالص
حقه وهذا من المحال ان تجي به شريعة من الشرايع وقبحه مستقر
في كل فطرة وعقل ولكن غيرت الشياطين فطر اكثر الخلق وعقولهم
وافسدتها عليهم واجتالتهم عنها ومضى على الفطرة الاولى من سبقت
له من الله الحسنى فارسل اليهم رسله وانزل عليهم كتبه بما يوافق
فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورا على نور يهدي الله لنوره
من يشا فاذا عرف هذا فمن خصايص الالهية السجود فمن سجد لغيره
فقد شبه المخلوق بالخالق ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد
شبهه به ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به ومنها الحلف
باسمه تعظيما واجلالا له فمن حلف بغيره فقد شبهه به هذا في
جانب التشبيه واما في جانب التعظيم فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس

الى

الى اطرايه في المدح والتعظيم والخضوع والرجا وتعلق القلب
به خوفا ورجا والتجا واستعانة فقد شبه الله ونازعه ربو
بيته والاهيته وهو حقيق ان يهينه الله غاية الهوان
ويذله غاية الذل ويجعله تحت اقدام خلقه وفي الصحيح
عنه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل العظمة ازاري
والكبريا ردايي فمن نازعني واحدا منهما عذبته واذا كان
المقصود الذي يصنع الصورة بيده من اشد الناس عذابا
يوم القيامة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة فما الظن بالمشبه
بالله في الربوبية والالهية كما قال صلى الله عليه وسلم ان اشد
الناس عذابا يوم القيامة المصورون يقال لهم احيوا ما
خلقتم وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز
وجل من اظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي فليخلقوا ذرة او
شعيرة فنبه بالذرة والشعيرة على ما اعظم منها والمر
لمقصود ان هذا حال من تشبه به في خواص ربوبيته
والاهيته وكذلك في الاسم الذي لا ينبغي الا لله وحده كملك
الاملاك وحاكم الحكام ونحوه وقد ثبت في الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اخنع الاسما عند الله رجل تسما بشاهان

شاه اي ملك الملوك لا ملك الملوك الا الله وفي لفظ اغيظ رجل
على الله تسمى بملك الاملاك فهذا غضب الله ومقته على من تشبه
به في الاسم الذي لا ينبغي الا له فهو سبحانه ملك الملوك وحده وحاكم
الحكام وحده فهو الذي يحكم على الحكام كلهم ويقضي عليهم كلهم لا
غيره **فصل** واذا تبين هذا فها هنا اصل عظيم يكشف سر
المسالة وهو اعظم الذنوب عند الله اساءة الظن به فان اساءة
الظن به قد ظن به خلاف كماله المقدسة وظن به ما يناقض
اسماءه وصفاته ولهذا توعد سبحانه الظانين به ظن السوء بما
لم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى عليهم دائرة السوء وغضب الله
عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا وقال تعالى لمن انكر
صفة من صفاته وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم
من الخاسرين وقال تعالى عن خليله ابراهيم انه قال لقومه ماذا
تعبدون افكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين
اي فما ظنكم ان يجازيكم به اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وما ظننتم
به حتى عبدتم معه غيره وما ذا ظننتم باسمائه وصفاته وربوبيته
من النقص حتى احوجكم ذلك الى عبودية غيره فلو ظننتم به ما هو
اهله من انه بكل شيء عليم وهو على كل شيء قدير وانه غني عن

كل

كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه وانه قائم بالقسط على
خلقه وانه المتفرد بتدبير خلقه لا يشركه فيه غيره والعالم بتفاصيل
الامور فلا يخفى عليه خافية من خلقه والكافي لهم وحده فلا يحتاج
الى معين والرحمن بذاته ولا يحتاج في رحمته الى من يستعطفه
وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤسا فانهم يحتاجون الى من
يعرفهم احوال الرعية وحوائجهم الى من يعينهم على قضاء حوائجهم
والى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا الى الوسائط
ضرورة الى حاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم فاما القا
در على كل شيء الغني بذاته عن كل شيء العالم بكل شيء الرحمن الرحيم
الذي وسعت رحمته كل شيء فادخال الوسائط بينه وبين
خلقه نقص بحق ربوبيته والاهيته وظن به ظن السوء وهذا
يستحيل ان يشرعه لعباده ويمتنع في العقول والفطر وقبحه
مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح يوضح هذا ان
العابد معظم لمعبوده متاله له خاضع ذليل والرب سبحانه
وتعالى وحده وهو الذي يستحق كمال التعظيم والاجلال والتاله
والخضوع والذل وهذا خالص حقه فمن اقبح الظلم ان يعطى
حقه لغيره ويشرك بينه وبينه فيه ولا سيما اذا كان الذي

جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه كما قال تعالى ضرب لكم مثلا من
انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركا فيما رزقناكم فانتم فيه
سوا تخافونهم كخيفتكم انفسكم اي اذا كان احدكم يانف ان
يكون مملوكه شريكه في رزقه فكيف تجعلون لي من عبيدي
شركا فيما انا منفرد به وهو الالهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصلح
لسواي فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ولا عظمني حق عظمتي
ولا افردني بما انا منفرد به وحدي دون خلقي فما قدر الله حق
قدره من عبد معه غيره كما قال تعالى يا ايها الذين الناس ضرب
مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه
ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي
عزيز فما قدر الله حق قدره من عبد معه من لا يقدر على خلق
اضعف حيوانه واضعف وان يسلبه الذباب شيا مما عليه لا
يقدر على استنقاذه منه وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات
بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فما قدر من هذا شانه وعظمته
حق قدره من اشرك معه في عبادته من ليس له شي من ذلك البتة

بل

بل هو اعجز شي واضعفه فما قدر القوي العزيز حق قدره
من اشرك الضعيف الذليل وكذلك ما قدره حق قدره
من قال انه لم يرسل الى خلقه رسولا ولا انزل كتابا بل
نسبه الى ما لا يليق به ولا يحسن منه من اهمال خلقه وتضييعهم
وتركهم سدى وخلقهم باطلا عبثا ولا قدره حق قدره من نفا
عنه حقايق اسمايه الحسنى وصفاته العليا فنفا سمعه وبصره
وارادته واختياره وعلوه فوق خلقه وكلامه وتكليمه لمن شاء
من خلقه بما يريد او نفا عموم قدرته وتعلقها بافعال عباده
من طاعتهم ومعاصيهم فاخرجها عن قدرته ومشيته وخلقه
وجعلهم يخلقون لانفسهم ما يشاون بدون مشية الرب
فيكون في ملكه ما لا يشا ويشا ما لا يكون تعالى الله عن قول
اشباه المجوس علوا كبيرا وكذلك ما قدره حق قدره من قال
انه يعاقب عبده على ما لا يفعله العبد ولا له عليه قدرة ولا تاثير
له فيه البتة بل هو نفس فعل الرب جل جلاله فيعاقب عبده على
ما فعله هو سبحانه الذي جبر العبد عليه وجبره على الفعل اعظم
من اكراه المخلوق للمخلوق واذا كان من المستقر في الفطر والعقول
ان السيد لو اكره عبده على فعل او الجاه اليه ثم عاقبه عليه

لكان قبيحا فما عدل العادلين واحكم الحاكمين وارحم الراحمين كيف
يجبر العبد على فعل لا يكون للعبد فيه صنع ولا تاثير ولا هو واقع
بارادته بل ولا هو فعله البتة ثم يعاقبه عليه عقوبة الابد تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا وقول هولاء شر من قول المجوس والطا
يفتان ما قدروا الله حق قدره وكذلك ما قدره حق قدره من
لم يصنه عن نتن ولا حش ولا مكان يرغب عن ذكره بل جعله في كل
مكان وصانه عن عرشه ان يكون مستويا عليه يصعد اليه
الكلم الطيب والعمل الصالح وتعرج الملايكة والروح اليه وتنزل
من عنده ويدبر الامر من السما الى الارض ثم يعرج اليه فصانه عن
استوايه على سرير الملك ثم جعله في كل مكان يانف الانسان بل
غيره من الحيوان ان يكون فيه ما قدر الله حق قدره من نفى حقيقة
محبته ورافته ورحمته ورضاه وغضبه ومقته ولا من نفى حقيقة حكمته
التي هي الغايات المحموده المقصوده بفعله ولا من نفى حقيقة فعله
ولم يجعل له فعلا اختياريا يقوم به بل افعاله مفعولات منفصلة
عنه فنفا حقيقة مجيه واتيانه واستوايه على عرشه وتكليمه موسى
من جانب الطور ومجيه يوم القيامة لفصل القضا بين عباده بنفسه
الى غير ذلك من افعاله واوصاف كماله التي نفوها وزعموا انهم

بنفيها

بنفيها قد قدروه حق قدره وكذلك لم يقدره حق قدره من جعل
له صاحبة وولدا وجعله يحل في مخلوقاته وجعله عين هذا
الوجود وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه رفع اعدا رسوله
واهل بيته واعلا ذكرهم وجعل فيهم الملك والخلافة والعز ووضع
اوليا رسوله واهل بيته واهانهم واذلهم وضرب عليهم الذلة اينما
ثقفوا وهذا يتضمن غاية القدح في الرب تعالى عن قول الرافضة
علوا كبيرا وهذا القول مشتق من قول اليهود والنصارى في رب
العالمين انه ارسل ملكا ظالما فادعى النبوة لنفسه وكذب على الله
ومكث زمانا طويلا يكذب عليه كل وقت ويقول قال كذا وامر
بكذا ونهى عن كذا وينسخ شرايع انبيايه ورسله ويستبيح دماء
اتباعهم واموالهم وحريمهم ويقول الله اباح لي ذلك والرب تعالى
يظهره ويويده ويعليه ويقويه ويجيب دعواته ويمكنه ممن خالفه
ويقيم الادلة على صدقه ولا يعاديه احد الا ظفره به ويصدقه
بقوله وفعله وتقديره ويحدث ادلة تصديقه شيا بعد شي ومعلوم
ان هذا يتضمن اعظم القدح والطعن في الرب سبحانه وتعالى
وعلمه وحكمته ورحمته وربوبيته تعالى عن قول الجاحدين علوا كبيرا
فوازن بين قول هولاء وقول اخوانهم من الرافضة تجد القولين

وصعي لباب تدني آمر تعاسها باسمح داح عرض لا يتفرق وكذالك
لم يقدره حق قدره من قال انه يجوز ان يعذب اولياءه ومن لم
يعصه طرفة عين ويدخلهم دار الجحيم وينعم اعداءه ومن لم يؤمن به
طرفة عين ويدخلهم دار النعيم وان كلا الامرين بالنسبة الى سواء
وانما الخبر المحض جاءه بخلاف ذالك ومعناه للخير لا مخالفة حكمته
وعدله وقد انكر سبحانه في كتابه على من جوز عليه ذالك غاية
الانكار وجعل الحكم به من اسوإ الاحكام وكذالك لم يقدره حق
قدره من زعم انه لا يحيي الموتى ولا يبعث من في القبور ولا يجمع خلقه
ليوم يجازي المحسن باحسانه والمسيء باسائته ويأخذ للمظلوم فيه حقه
من ظالمه ويكرم المتحملين المشاق في هذه الدار من اجله وفي مرضاته
بالكرم بافضل كرامة ويبين لخلقه الذين يختلفون فيه ويعلم الذين كفروا
انهم كانوا كاذبين وكذالك لم يقدره حق قدره من هان عليه
امره فعصاه ونسيه فارق قلبه وحقه فضيعه وذكره فاهمله وغفل
قلبه عنه وكان هواه ابر عنده من طلب رضاه وطاعة المخلوق
اهم عنده من طاعته فلله الفضلة من قلبه وقوله وعمله وسواه
المقدم في ذالك لانه المهم عنده ويستخف بنظر الله اليه واطلاعه
عليه وهو في قبضته وناصيته بيده ويعظم نظر المخلوق اليه واطلاعه

عليه

عليه بكل قلبه وجوارحه يستحيي من الناس ولا يستحيي من الله ويخشى
الناس ولا يخشى الله ويعامل الخلق بافضل ما يقدر عليه وان عامل
الله عامله باهون ما هو عنده واحقره وان قام في خدمة الهه من
البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل النصيحة وقد فرغ له قلبه وجوارحه
وقدمه على كثير من مصالحه حتى اذا قام في حق ربه ان ساعد القدر
قام قياما لا يرضاه مثله مخلوق من مخلوق وبذل له من ماله ما
يستحي ان يواجه به مخلوق لمثله فهل قدر الله حق قدره من هذا
وصفه وهل قدره حق قدره من شارك بينه وبين عدوه في محض حقه
من الاجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء
فلو جعل له من اقرب الخلق اليه شريكا في ذالك لكان ذالك جراءة
وتوثبا في محض حقه واستهانة وتشريكا بينه وبين غيره فيما لا ينبغي
ولا يصلح الا له سبحانه فكيف وانما شرك بينه وبين ابغض الخلق
اليه واهونهم عليه وامقتهم عنده وهو عدوه على الحقيقة فانه ما
عبد من دون الله الا الشيطان كما قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم
ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا
صراط مستقيم ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم
في بعض الامر للشياطين وهم يظنون انهم يعبدون الملائكة كما قال تعالى

ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا
سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون
فالشيطان يدعو المشرك الي عبادته ويوهمه انه ملك وكذالك عباد
الشمس والقمر والكواكب يزعمون انهم يعبدون روحانيات هذه
الكواكب وهي التي تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج ولهذا اذا طلعت الشمس
قارنها الشيطان فيسجد لها الكافر فيقع سجودهم له وكذالك عند
غروبها وكذالك من عبد المسيح وامه لم يعبدوهما وانما عبد الشيطان
فانه يزعم انه يعبد من امره بعبادته وعبادة امه ورضيها لهم وامرهم
بها وهذا هو الشيطان الرجيم لا عبد الله ورسوله فنزل هذا كله
على قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم
عدو مبين فما عبد احد من بني ادم غير الله كاينا من كان الا وقعت
عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه ويستمتع
المعبود بالعابد في تعظيمه له واشراكه مع الله الذي هو غاية رضى
الشيطان ولهذا قال الله تعالى ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد
استكثرتم من الانس وقال اولياهم من الانس ربنا استمتع بعضنا
ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها
الا ما شا ربك ان ربك حكيم عليم فهذه اشارة لطيفة الي السر الذي

كان الشرك لاجله اكبر الكباير عند الله وانه لا يغفر بغير التوبة
منه وانه يوجب الخلود في العذاب وانه ليس تحريمه وقبحه بمجرد
النهي عنه بل يستحيل على الله سبحانه ان يشرع لعباده الها غيره
كما يستحيل عليه ما يناقض اوصاف كماله ونعوت جلاله وكيف يظن
بالمتفرد بالربوبية والالهية والعظمة والجلال ان ياذن في
مشاركته في ذالك او يرضى به تعالى الله عن ذالك علوا كبيرا
فصل فلما كان الشرك اكبر شي يكون منافاة الامر الذي
خلق الله له الخلق وامر لاجله بالامر كان اكبر الكباير عند الله
وكذالك الكبر وتوابعه كما تقدم فان الله سبحانه خلق الخلق وانزل الكتب
لتكون الطاعة له وحده والشرك والكبر ينافيان ذالك ولذالك
حرم الله الجنة على اهل الشرك والكبر ولا يدخلها من في قلبه
مثقال ذرة من كبر فصل ويلي ذالك في كبر المفسدة
القول على الله بلا علم في اسمائه وصفاته وافعاله ووصفه بضد
ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فهذا اشد شي منافاة ومنا
فاة لكمال من له الخلق والامر وقدح في نفس الربوبية وخصا
يص الرب فان صدر ذالك عن علم فهو عناد اقبح من الشرك واعظم
اثما عند الله فان المشرك المقر بصفات الرب خير من المعطل

الجاحد لصفات كماله كما ان من اقر للملك بالملك ولم يجحد ملكه ولا
الصفات التي استحق بها الملك لكن جعل له شريكا في بعض الامور
تقربه اليه خير ممن جحد صفات الملك وما يكون به ملكا هذا
امر مستقر في سائر الفطر والعقول فاين القدح في صفة الكمال وا
لجحد لها من عباده واسطة بين المعبود الحق وبين العابد يتقرب
اليه بعبادة تلك الواسطة اعظاما له واجلالا فدا التعطيل هذا
الداء العضال الذي لا دواء له ولهذا حكى الله عن امام المعطلة
فرعون انه انكر على موسى ما اخبر به من ان ربه رب السماوات
فقال يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السماوات
فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا واحتج الشيخ ابو الحسن
الاشعري في كتبه على المعطلة بهذه الاية وقد ذكرنا لفظه في
غير هذا الكتاب والقول على الله بلا علم والشرك متلازمان
ولما كانت البدع المضلة جهلا بصفات الله تعالى وتكذيبا بما
اخبر به عن نفسه واخبر به عنه رسوله عنادا او جهلا كانت من
اكبر الكبائر وان قصرت عن الكفر وكانت احب الى ابليس من كبائر
الذنوب كما قال بعض السلف البدعة احب الى ابليس من المعصية
لان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها وقال ابليس اهلكت

بني ادم بالذنوب واهلكوني بالاستغفار وبلا اله الا الله
فلما رايت ذلك بثثت فيهم الاهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لانهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا ومعلوم ان المذنب ضرره على نفسه
واما المبتدع فضرره على النوع وفتنة المبتدع في اصل الدين وفتنة
المذنب في الشهوة والمبتدع قد قعد للناس على صراط الله المستقيم
يصدهم عنه والمذنب ليس كذلك والمبتدع مناقض لما جاء به
الرسول والعاصي ليس كذلك والمبتدع يقطع على الناس طريق
الاخرة والعاصي بطيء السير بسبب ذنوبه **فصل** ثم لما كان
الظلم والعدوان منافيان للعدل الذي قامت به السماوات
والارض وارسل الله سبحانه رسله وانزل كتبه ليقوم الناس
به كان من اكبر الكبائر عند الله وكانت درجته في العظم بحسب
مفسدته في نفسه وكان قتل الانسان ولده الطفل الصغير
الذي لا ذنب له وقد جبل الله القلوب على رحمته وعطفها عليه
وخص الوالدين من ذلك بمزية ظاهرة فقتله خشية ان
يشاركه في مطعمه ومشربه وماله من اقبح الظلم واشده وكذلك
قتله ابويه اللذين كانا سبب وجوده وكذلك قتله ذا رحمه
وتتفاوت درجات القتل بحسب قبحه واستحقاق من قتله للسعي

مطلب القاتل وعقوبته

في ابقايه ونصيحته ولهذا كان اشد الناس عذابا يوم القيامة من
قتل نبيا او قتله نبي ويليه من قتل اماما او عالما يامر الناس
بالقسط ويدعوهم الي الله وينصحهم في دينهم وقد جعل الله سبحانه
جزا قتل النفس المومنة عمدا الخلود في النار وغضب الجبار ولعنته
واعداد العذاب العظيم له هذا يوجب قتل المومن عمدا لم يمنع
منه مانع ولا خلاف ان الاسلام الواقع بعد القتل طوعا واختيارا
مانعا من نفوذ ذالك الجزا وهل تمنع توبة المسلم منه بعد وقوعه
فيه قولان للسلف والخلف وهما روايتان عن الامام احمد والذين
قالوا لا تمنع التوبة من نفوذه راوا انه حق لادمي لم يستوفيه
في دار الدنيا وخرج منها بظلامته فلابد ان يستوفا له في دار
العذاب قالوا وما استوفاه الوارث فانما استوفا محض حقه الذي
خيره الله بين استيفايه والعفو عنه وما ينفع المقتول من استيفاء
وارثه واي استدراك لظلامته حصل له باستيفاء وارثه وهذا
اصح القولين في المسلة ان حق المقتول لا يسقط باستيفا الوارث
وهما وجهان لاصحاب احمد والشافعي وغيرهم ورات طايفة انه
يسقط بالتوبة واستيفا الوارث فان التوبة تهدم ما قبلها والذنب
الذي جناه قد اقيم عليه حده قالوا واذا كانت التوبة تمحوا

اثر الكفر والسحر وما هو اعظم اثما من القتل فكيف تقصر عن
محو اثر القتل وقد قبل الله توبة الكفار الذين قتلوا اوليايه
وجعلهم من خيار عباده ودعا الذين حرقوا اولياه وفتنوهم
عن دينهم الي التوبة وقال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فهذه
في حق التايب وهي تتناول الكفر وما دونه قالوا فكيف يتوب
العبد من الذنب ويعاقب عليه بعد التوبة هذا معلوم انتفاوه
في شرع الله وجزايه قالوا وتوبة هذا الذنب تسليم نفسه ولا
تمكن تسليمها الي المقتول فاقام الشارع وليه مقامه وجعل
تسليم النفس اليه كتسليمها الي المقتول بمنزله تسليم المال الذي عليه
لوارثه فانه يقوم مقام تسليمه وللموروث والتحقيق في المسلة
ان القتل يتعلق به ثلاث حقوق حق الله وحق المقتول وحق
للولي فاذا اسلم القاتل نفسه طوعا واختيارا الي الولي ندما
على ما فعل وخوفا من الله وتوبة نصوحا سقط حق الله
بالتوبة وحق الولي بالاستيفا او الصلح او العفو وبقي حق المقتول
يعوضه الله عنه يوم القيامة عن عبده التايب المحسن ويصلح
بينه وبينه فلا يذهب حق هذا ولا تبطل توبة هذا واما مسالة

مطلب [illegible]

المال فقد اختلف فيها فقالت طايفة اذا ادي ما عليه من المال الي
الوارث فقد بري من عهدته في الاخرة كما بري منها في الدنيا
وقالت طايفة بل المطالبة لمن ظلمه باخذه باقية عليه يوم القيامة
وهو لم يسقط حق ظلامته باخذ وارثه له فانه منعه من انتفاعه
به طول حياته ومات ولم ينتفع به وهذا الحكم يسقط كما هو
وانما انتفع غيره باستدراكه وبنوا على هذا انه لو انتقل من واحد
الي واحد وتعدد الورثة كانت المطالبة به للجميع لانه حق كان
يجب عليه دفعه الي واحد منهم عند كونه هو الوارث وهذا قول
طايفة من اصحاب مالك واحمد وفصل شيخنا بين الطايفتين فقال
ان تمكن الموروث من اخذ ماله والمطالبة به فلم ياخذه حتى مات
صارت المطالبة به للوارث في الاخرة كما هي كذلك في الدنيا وان
لم يتمكن من طلبه واخذه بل حال بينه وبينه ظلما وعدوانا فالطلب
له في الاخرة وهذا التفصيل من احسن ما يقال فان المال اذا استهلكه
الظالم على الموروث وتعذر عليه اخذه منه صار بمنزلة عبده
الذي قتله قاتل وداره التي احرقها غيره وطعامه وشرابه
الذي اكله وشربه غيره ومثل هذا انما تلف على الموروث لا على
الوارث فحق المطالبة لمن تلف على ملكه يبقى ان يقال فاذا كان المال

عقارا او ارضا او عينا قايمة باقية بعد الموت فهي ملك للوارث
يجب على الغاصب دفعها اليه كل وقت فاذا لم يدفع اليه اعيان
ماله استحق المطالبة بها عند الله كما يستحق المطالبة بها في الدنيا
وهذا سوال قوي لا مخلص منه الا بان يقال المطالبة لهما جميعا
كما لو غصب مالا مشتركا بين جماعة استحق كل واحد منهم المطالبة بحقه
منه وكما لو استولى على وقف مرتب على بطون فابطل حق البطون
كلهم منه كانت المطالبة يوم القيامة لجميعهم ولم يكن بعضهم اولى بها
من بعض والله اعلم **فصل** ولما كانت مفسدة القتل هذه
المفسدة قال تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرايل انه من قتل نفسا
بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما
احيا الناس جميعا وقد اشكل هذا على كثير من الناس وقالوا معلوم
ان اثم قاتل مائة اعظم عند الله من اثم قاتل نفس واحدة وانما اتوا من
ظنهم ان التشبيه في مقدار الاثم والعقوبة واللفظ لم يدل على هذا
ولا يلزم من تشبيه الشي بالشي اخذه بجميع احكامه وقد قال تعالى كانهم
يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقال تعالى كانهم يوم يرون
ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وذلك لا يوجب ان لبثهم في
الدنيا انما كان هذا المقدار وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشا

في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلي الفجر في جماعة فكانما قام الليل
كله اي مع العشا كما جا في لفظ اخر واوضح من هذا قوله من صام رمضان
واتبعه بست من شوال فكانما صام الدهر وقوله من قرأ قل هو الله
احد فكانما قرا ثلث القران ومعلوم ان ثواب فاعل هذه الاشيا لا
تبلغ ثواب المشبه به فيكون قدرهما سوا ولو كان قدرهما الثواب
سوا لم يكن لمصلي العشا والفجر جماعة منفعة في قيام الليل غير التعب
والنصب وما اوتي عبد بعد الايمان افضل من فهم عن الله ورسوله
وذلك فضل الله يؤتيه من يشا فان قيل في اي شي وقع التشبيه بين
قاتل نفس واحدة وقاتل الناس جميعا قيل من وجوه متعددة احدها
ان كلا منهما عاص لله ورسوله مخالف لامره متعرض لعقوبته وكل
منهما قد با بغضب من الله ولعنته واستحقاق الخلود في نار جهنم واعد
له عذابا عظيما وان تفاوتت في دركات العذاب فليس اثم من قتل
نبيا او اماما عادلا او عالما يامر الناس بالقسط كاثم من قتل من لا مزية
له من احاد الناس الثاني انهما سوا في استحقاق ازهاق النفس الثالث
انهما سوا في الجراة اي في سفك الدم الحرام فان من قتل نفسا بغير
استحقاق بل لمجرد الفساد في الارض او لاخذ ماله فانه يتجري على
قتل كل من ظفر وامكنه قتله فهو معاد للنوع الانساني ومنها ان يسمى

قاتلا

قاتلا او فاسقا او ظالما او عاصيا بقتله واحدا كما يسمى ذلك بقتله الناس
جميعا ومنها ان الله سبحانه جعل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم
كالجسد الواحد اذا اشتكا منه عضوا تداعي له ساير الجسد بالحمى
والسهر فاذا اتلف القاتل من هذا الجسد عضوا فكانما اتلف ساير
الجسد والم جميع اعضايه فمن اذى مؤمنا واحدا فكانما اذى جميع
المؤمنين وفي اذى جميع المؤمنين اذى جميع الناس فان الله انما يدفع
عن الناس بالمؤمنين الذين بينهم فما بال الحقير ابدا المحقر وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما بغير حق الا كان على ابن ادم الاول
كفل من دمه لانه اول من سن القتل ولم يجي هذا الوعيد في اول زاني
ولا اول سارق ولا اول شارب مسكر وان كان اول المشركين قد
يكون اولى بذلك من اول قاتل لانه اول من سن الشرك ولهذا لما
راي النبي صلى الله عليه وسلم عمرو ابن لحي يعذب باعظم العذاب في
النار لانه اول من غير دين ابراهيم وقال تعالى ولا تكونوا اول كافر
به فيقتدي بكم من بعدكم فيكون اثم كفره عليكم وكذلك حكم من سن
سنة سيئة فاتبع عليها وفي جامع الترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يجي المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته وراسه بيده
واوداجه تشخب دما يقول يا رب سال هذا فيما قتلني فذكروا الاية

فيم

عباس التوبة فتلا هذه الاية ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثم قال ما نسخت
هذه الاية ولا بدلت واني له التوبة قال هذا حديث حسن وفيه ايضا
عن نافع قال نظر عبد الله ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم
حرمتك والمؤمن عند الله اعظم حرمة منك قال هذا حديث حسن وفي
صحيح البخاري عن جندب رض قال اول ما ينتن من الانسان بطنه فمن استطاع
منكم ان لا ياكل الا طيبا فليفعل ومن استطاع ان لا يحول بينه وبين الجنة
بل كيف دم اهراقه فليفعل وفي صحيحه ايضا عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم
يصب دما حراما وذكر البخاري ايضا عن ابن عمر قال من ورطات
الامور التي لا مخرج لمن اوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله
وفي الصحيحين عن ابي هريرة يرفعه سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر
وفيهما ايضا عنه صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم
رقاب بعض وفي صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم من قتل معاهدا
لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما هذا
عقوبة قاتل عدو الله اذا كان في عهده وامانه فكيف عقوبة قاتل
عبده المؤمن واذا كانت امراة دخلت النار في هرة حبستها حتى
ماتت جوعا وعطشا فراها النبي صلى الله عليه وسلم في النار والهرة تخدشها

في

في وجهها وفي صدرها فكيف عقوبة من حبس مؤمنا حتى مات
بغير جرم وفي بعض السنن عنه صلى الله عليه وسلم لزوال الدنيا عند
الله اهون على الله من قتل مؤمن بغير حق **فصل** ولما
كانت مفسدة الزنا من اعظم المفاسد وهي منافية لمصلحة نظام
العالم في حفظ الانساب وحماية الفروج وصيانة الحرمات وتوقي ما
يوقع اعظم العداوة والبغضا بين الناس من افساد كل منهم امراة
صاحبه وابنته واخته وامه في خراب العالم كانت تلي مفسدة القتل
في الكبر ولهذا قرنها الله في كتابه ورسوله بها في سننه كما تقدم
قال الامام احمد لا اعلم بعد قتل النفس شيا اعظم من الزنا وقد اكد الله تعالى
سبحانه حرمته بقوله والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما
يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب
فقرن الزنا بالشرك وقتل النفس وجعل جزا ذلك الخلود في العذاب
المضاعف ما لم يرفع العبد موجب ذلك بالتوبة والايمان والعمل
الصالح وقال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسا سبيلا
فاخبر عن فحشه في نفسه وهو القبيح الذي قد تناهى قبحه حتى استقر
فحشه في العقول حتى عند كثير من الحيوان كما ذكر البخاري في صحيحه

عن ابن ميمون الاودي قال رايت في الجاهلية قردا زنا بقردة فاجتمع
القرود عليهما فرجموهما حتى ماتا ثم اخبر عن غايته بانه ساء سبيلا فانه
سبيل هلكة وبوار وافتقار في الدنيا وسبيل عذاب وخزي ونكال
في الاخرة ولما كان نكاح ازواج الآباء من اقبحه خصه بمزيد ذم فقال
انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا وعلق سبحانه فلاح العبد على حفظ
فرجه منه فلا سبيل له الى الفلاح بدونه فقال قد افلح المؤمنون الذين
هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة
فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
وهذا متضمن ثلاثة امور ان من لم يحفظ فرجه فلم يكن من المفلحين وانه
من الملومين ومن العادين ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان
ووقع في اللوم فمقاسات الم الشهوة ومعاناتها ايسر من بعض
ذلك ونظيرها انه سبحانه ذم الانسان وانه خلق هلوعا
لا يصبر على سراء ولا على ضراء اذا مسه الخير منع وبخل واذا مسه
الشر جزع الا من استثناه بعد ذلك من الناجين من خلقه فذكر
منهم الذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون

وامر

وامر تعالى نبيه ان يامر المؤمنين بغض ابصارهم وحفظ فروجهم وان
يعلمهم بانه مشاهد لاعمالهم مطلع عليهم يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
ولما كان ذالك مبدا ذالك من قبل البصر جعل الامر بغضه مقدما على
حفظ الفرج فان الحوادث مبداها من النظر كما ان النار من مستصغر
الشرر تكون نظرة ثم خطرة ثم خطوة ثم خطيئة ولهذا قيل من حفظ
هذه الاربعة احرز دينه اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات
فينبغي للعبد ان يكون بواب نفسه على هذه الابواب الاربعة
ويلازم الرباط على ثغورها فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال
الديار ويتبر ما علا تتبيرا **فصل** واكثر ما تدخل المعاصي على العبد
من هذه الابواب الاربعة فنذكر في كل منها فصلا يليق به فاما
اللحظات فهي رائد الشهوة ورسولها وحفظها اصل حفظ الفرج
فمن اطلق بصره اورده موارد الهلكات وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الاخرة وفي المسند
عنه صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره
عن محاسن امراة لله تعالى اورث الله قلبه حلاوة الى يوم يلقاه هذا
معنى الحديث وقال غضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وقال اياكم
والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله مجالسنا ما لنا منها بد قال

قال فان كنتم لا بد فاعلين فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه قال غض البصر
وكف الاذى ورد السلام والنظر اصل عامة الحوادث التي تصيب الانسان
فان النظرة تولد خطرة ثم تولد الخطرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة ثم
تولد الشهوة ارادة ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل ولا بد ما لم
يمنع منه مانع وفي هذا قيل الصبر على غض الطرف ايسر من الصبر على ما بعده
قال الشاعر كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر
الشرر كم نظرة بلغت من قلب صاحبها كمبلغ السهم بين القوس والوتر
يسر مقلته ما والعبد ما دام ذا طرف يقلبه في اعين الغير موقوف على
الخطر يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحبا بسرور عاد بالضرر ومن
افات النظر انه يورث الحسرات والزفرات والحرقات فيرى العبد
ما ليس قادرا عليه ولا صابرا عنه وهذا من اعظم العذاب ان ترى ما لا
صبر لك عن بعضه ولا قدرة لك عليه **قال الشاعر** وكنت متى ارسلت
طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر رايت الذي لا كله انت
قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر وهذا البيت يحتاج شرح ومراده
انك ترى ما لا تصبر على شيء منه ولا تقدر على شيء منه فان قوله لا كله
انت قادر عليه نفي لقدرته على الكل التي لا تنتفي الا بنفي القدرة عن
كل واحد واحد وكم من ارسل لحظاته فما اقلعت الا وهو يتشحط بينهن

قتيلا

قتيلا **كما قيل** يا ناظرا ما اقلعت لحظاته حتى تشحط بينهن قتيلا **ولي من**
ابيات مل السلامة فاغتدت لحظاته وقفا على طلل يظن جميلا ما
زالت تتبع اثره لحظاته حتى تشحط بينهن قتيلا ومن العجب ان لحظة
الناظر سهم لا يصل الى المنظور اليه حتى يتبوا مكانا من قلب الناظر
ولي من قصيدة يا راميا بسهام اللحظ مجتهدا انت القتيل بما ترمي فلا
تصب وباعث الطرف يرتاد الشفا له احبس رسولك لا ياتيك بالعطب
واعجب من ذلك ان النظرة تجرح القلب فيتبعها جرحا على جرح
ثم لا تمنعه الم الجراحة من تكرارها **ولي ايضا في هذا المعنى** ما
زلت تتبع نظرة في نظرة في اثر كل مليحة ومليح وتظن ذاك دواء
جرحك وهو في التحقيق تجريح على تجريح فذبحت طرفك باللحاظ وبالبكا
فالقلب منك ذبيح اي ذبيح وقد قيل حبس اللحاظ ايسر من دوام الحسرات
فصل واما الخطرات فشانها اصعب فانها مبدا الخير والشر ومنها
تتولد الارادات والهمم والعزائم فمن راعى خطراته ملك زمام نفسه
وقهر هواه ومن غلبته خطراته فهواه ونفسه له اغلب ومن استهان
بالخطرات قادته قسرا الى الهلكات ولا تزال الخطرات تتردد على
القلب حتى تصير منى باطلة كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا
جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب

واخس الناس همة واوضعهم نفسا من رضي من الحقايق بالاماني الكاذبة واستحلاها
لنفسه وتحلى بها وهي لعمر الله رؤوس اموال المفلسين ومتاجر البطالين وهي
قوت النفس الفارغة التي قد قنعت من الوصل بزورة الخيال ومن الحقايق
بكواذب الامال كما قال الشاعر منى ان تكن حقا تكن احسن المنا والا
فقد عشنا بها زمنا رغدا . وهي اضر شي على الانسان وتتولد من العجز والكسل
وتولد التفريط والحسرة والندم والتمني لما فاته مباشرة الحقيقة بجسم
تحت صورتها في قلبه وعانقها وضمها اليه فقنع بوصال صورة وهمية
خيالية صورها فكره وذلك لا يجدي عليه شيا وانما مثله مثل الجايع
والظمان يصور في وهمه صورة الطعام والشراب وهو ياكل ويشرب
والسكون الى ذلك واستحلابه يدل على خساسة النفس ووضاعتها
وانما شرف النفس وزكاها وطهارتها وعلوها بان ينفي عنها كل خطره
لا حقيقة لها ولا يرضا ان يخطرها بباله ويانف لنفسه منها ثم الخطرات
بعد اقسام تدور على اربعة اصول خطرات يستجلب بها منافع
دنياه وخطرات يستدفع بها مضار دنياه وخطرات يستجلب بها
مصالح اخرته وخطرات يستدفع بها مضار اخرته فليحصر خطراته
وافكاره في هذه الاقسام الاربعة فاذا انحصرت له فيها فما امكن
اجتماعه منها لم يتركه لغيره واذا تزاحمت عليه الخطرات لتزاحم

متعلقاتها قدم الاهم الذي يخشى فوته واخر الذي ليس باهم ولا يخاف
فوته بقي قسمان اخران احدهما مهم لا يفوت والثاني غير مهم
ولكنه يفوت ففي كل منهما ما يدعوا الى تقديمه فهنا يقع التردد
والحيرة فان قدم المهم خشي فوات ما دونه وان قدم ما دونه
فاته الاشتغال به عن المهم وكذلك يعرض له امران لا يمكن الجمع
بينهما ولا يحصل احدهما الا بتفويت الاخر فهذا موضع استعمال
العقل والفقه والمعرفة ومن ها هنا ارتفع من ارتفع وانجح من انجح
وخاب من خاب فاكثر من ترى ممن يعظم عقله ومعرفته يوثر غير
المهم الذي لا يفوت على المهم الذي يفوت ولا تجد احدا يسلم من ذلك
ولكن مستقل ومستكثر والتحكيم في هذا الباب للقاعدة الكبرى التي
عليها مدار الشرع والقدر واليها يرجع الخلق والامر وهي ايثار
اكبر المصلحتين واعلاهما وان فاتت المصلحة التي هي دونها والدخول
في ادنى المفسدتين لدفع ما هو اكبر منها فتفوت مصلحة لتحصيل
ما هو اكبر منها ويرتكب مفسدة لدفع ما هو اعظم منها فخطرات
العاقل وفكره لا تتجاوز ذلك وبذلك جاءت الشرايع ومصالح
الدنيا والاخرة لا تقوم الا على ذلك واعلا الفكر واجلها وانفعها
ما كان لله والدار الاخرة فما كان لله انواع احدها الفكرة في

اياته المنزلة وتعقلها وفهم مراده منها ولذلك انزلها الله تعالى لا لمجرد
تلاوتها بل التلاوة وسيلة قال بعض السلف انزل القران ليعمل به
فاتخذوا تلاوته عملا الثاني الفكرة في اياته المشهودة والاعتبار
بها والاستدلال بها على اسمائه وصفاته وحكمته واحسانه وبره وجوده
وقد حض سبحانه عباده على التفكر في اياته وتدبرها وتعقلها وذم الغافل
عن ذالك **الثالث** الفكر في الائه واحسانه وانعامه على خلقه باصناف
النعم وسعة رحمته ومغفرته وحلمه وهذه الانواع الثلاثة تستخرج
من القلب معرفة الله ومحبته وخوفه ورجاه ودوام الفكرة في
ذالك مع الذكر تصبغ القلب في المعرفة والمحبة صبغة **الرابع** الفكرة
في عيوب النفس وافاتها وفي عيوب العمل وهذه الفكرة عظيمة
النفع وهي باب لكل خير وتاثيرها في كسر النفس الامارة ومتى كسرت
عاشت النفس المطمئنة وانتعشت وصار الحكم لها فحيي القلب ودارت
كلمته في مملكته وبث امراءه وجنوده في مصالحه **الخامس** الفكرة
في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم كله عليه فالعارف ابن وقته
فان اضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها فجميع المصالح انما تنشا من
الوقت وان ضيعه لم يستدركه ابدا قال الشافعي رحمه الله صحبت
الصوفية فلم استفد منهم سوى حرفين احدهما قولهم الوقت سيف

فان

فان قطعته والا قطعك وذكر الكلمة الاخرى فوقت الانسان هو
عمره في الحقيقة وهو مادة حياته الابدية في النعيم المقيم ومادة
معيشته الضنك في العذاب الاليم وهو يمر اسرع من مر السحاب
فما كان من وقته لله وبالله فهو في حياته وعمره وغير ذلك ليس
محسوبا من حياته وان عاش فيه عيش البهائم فاذا قطع وقته في
الغفلة والسهو والاماني الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم
والبطالة فموت هذا خير من حياته واذا كان العبد وهو في الصلاة
ليس له الا ما عقل منها فليس له من عمره الا ما كان فيه بالله وله
ما عدا هذه الاقسام من الخطرات والفكر فاما وساوس شيطانية
واما اماني باطلة وخدع كاذبة بمنزلة خواطر المصابين في عقولهم
من السكارى والمحشوشين والموسوسين ولسان حال هؤلاء
يقول عند انكشاف الحقائق **شعر** ان كان منزلتي في الحشر
عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت ايامي امنية ظفرت نفسي بها زمنا
واليوم احسبها اضغاث احلامي واعلم ان ورود الخاطر لا يضر
وانما يضر استدعاؤه ومحادثته فالخاطر كالمار على الطريق
فان لم تستدعه وتركته مر وانصرف عنك وان استدعيته
سحرك بحديثه وخدعه وغروره وهو اخف شيء على النفس الفارغة

الباطلة وأثقل شي على القلب والنفس الشريفة السماوية المطمئنة وقد ركب
الله سبحانه في الانسان نفسا أمارة ونفسا مطمئنة وهما متعاديتان
فكلما خف على هذه ثقل على هذه وكلما التذت به هذه تألمت به
الأخرى فليس على النفس الأمارة أشق من العمل لله وإيثار رضاه
على هواها وليس لها أنفع منه وليس على النفس المطمئنة أشق من
العمل لغير الله وما جاء به داعي الهوى وليس عليها شي أضر منه والملك
مع هذه عن يمنة القلب والشيطان مع تلك عن يسرة القلب
والحرب مستمرة لا تضع أوزارها إلى أن تستوفي أجلها من الدنيا
والباطل كله يتحيز مع الشيطان والأمارة والحق كله يتحيز مع الملك
والمطمئنة والحرب دول وسجال والنصر مع الصبر ومن صبر وصابر
ورابط واتقى الله فله العاقبة في الدنيا والآخرة وقد حكم الله حكما
لا يتبدل أبدا أن العاقبة للتقوى والعاقبة للمتقين فالقلب لوح
فارغ والخواطر نقوش تنقش فيه فكيف يليق بالعاقل أن تكون
نقوش لوحه ما بين كذب وغرور وخداع وأماني باطلة وسراب
لا حقيقة له فأي حكمة وعلم وهدى ينتقش مع هذه النقوش وإذا أراد
أن ينتقش ذلك في لوح قلبه كان بمنزلة كتابة العلم النافع في محل
مشغول بكتابة ما لا منفعة فيه فإن لم يفرغ القلب من الخواطر

الردية

الردية لم تستقر فيه الخواطر النافعة فإنها لا تستقر إلا في محل
فارغ كما قيل أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف
قلبا خاليا فتمكنا ۞ ولهذا كثير من أرباب السلوك بنوا سلوكهم
على حفظ الخواطر ولا يمكنوا خاطرا يدخل قلوبهم حتى تصير القلوب
فارغة قابلة للكشف وظهور حقائق المعلومات فيها وهؤلاء حفظوا
أشيا وغابت عنهم أشيا فإنهم أخلوا القلوب من أن يطرقها خاطر
فبقيت فارغة لا شي فيها فصادفها الشيطان خالية فبذر فيها
الباطل في قوالب أوهمهم أنها أعلى الأشيا وأشرفها وعوضهم بها عن
الخواطر التي هي مادة العلم والهدى وإذا خلا القلب عن هذه الخواطر جاء
الشيطان فوجد المحل خاليا فشغله بما يناسب حال صاحبه حيث
لم يستطع أن يشغله بالخواطر السفلية فشغله بإرادة التجريد والفراغ
من الإرادة التي لا صلاح للعبد ولا فلاح إلا بأن تكون هي المستولية
على قلبه وهي إرادة مراد الله الديني الأمري الذي يحبه ويرضاه
وشغل القلب واهتمامه بمعرفته على التفصيل به والقيام به وتنفيذه
في الخلق والطرق إلى ذلك والتوصل إليه بالدخول في الخلق لتنفيذه
فبرطلهم الشيطان عن ذلك بأن دعاهم إلى تركه وتعطيله من
باب الزهد في خواطر الدنيا وأسبابها وأوهمهم أن كمالهم في ذلك

التجريد والفراغ وهيهات انما الكمال في امتلاء القلب والسر من الخواطر
والارادات والفكر في تحصيل مراضي الرب تعالى من العبد ومن
الناس والفكر في طرق ذلك والتوصل اليه فاكمل الناس اكثرهم خواطر
وفكرا وارادات لذلك كما ان انقص الناس اكثرهم خواطر وفكرا وارادات
لحظوظه وهواه اين كانت والله المستعان وهذا عمر ابن الخطاب رضي
الله عنه كانت تتزاحم عليه الخواطر في مراضي الرب فربما استعملها في
صلاته فكان يجهز جيشه وهو في الصلاة فيكون قد جمع بين الجهاد
والصلاة وهذا من باب تداخل العبادات في العبادة الواحدة وهو
باب عزيز شريف لا يعرفه الا حاذق الطلب متضلع من العلم عالي الهمة
بحيث يدخل في عبادة يظفر فيها بعبادات شتى وذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء فصل واما اللفظات فحفظها بان لا يخرج لفظة
ضائعة بل لا يتكلم الا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه فاذا
اراد ان يتكلم بالكلمة نظر هل فيها ربح او فائدة ام لا فان لم يكن فيها
ربح امسك عنها وان كان فيها ربح نظر هل يفوته بها كلمة هي اربح منها
فلا يضيعها بهذه واذا اردت ان تستدل على ما في القلب فاستدل
عليه بحركة اللسان فانه يطلعك على ما في القلب شاء صاحبه ام ابى قال
يحيى ابن معاذ القلوب كالقدور تغلي بما فيها والسنتها مغارفها

فانظر

فانظر الرجل حين يتكلم فان لسانه يغترف لك مما في قلبه حلو وحامض
وعذب واجاج وغير ذلك ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه
اي كما تطعم بلسانك طعم ما في القدر من الطعام فتدرك العلم بحقيقته
كذلك تطعم ما في قلب الرجل من لسانه فتذوق ما في قلبه من لسانه
كما تذوق ما في القدر بلسانك وفي حديث انس المرفوع لا يستقيم
ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وسئل
عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج قال الترمذي حديث
صحيح وقد سال معاذ النبي صلى الله عليه وسلم عن العمل الذي يدخله الجنة
ويباعده من النار فاخبره براسه وعموده وذروة سنامه ثم قال الا
اخبرك بملاك ذلك قال بلى يا رسول الله فاخذ بلسان نفسه ثم قال
كف عليك هذا فقال وانا لمواخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك يا
معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم او على مناخرهم الا حصائد
السنتهم قال الترمذي حديث صحيح ومن العجب ان الانسان يهون
عليه التحفظ والاحتراز من اكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب
الخمر ومن النظر الى المحرم وغير ذلك ويصعب عليه التحفظ من حركة
لسانه حتى يرى الرجل يشار اليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم
بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالا ينزل بالكلمة الواحدة منها ابعد

من ما بين المشرق والمغرب وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم
ولسانه يفري في اعراض الاحيا والاموات ولا يبالي ما يقول واذا اردت
ان تعرف ذلك فانظر الى ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جندب
ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل والله لا يغفر
الله لفلان فقال الله عز وجل من الذي يتالى علي اني لا اغفر لفلان قد
غفرت له واحبطت عملك فهذا العابد الذي قد عبد الله ما شا ان
يعبده احبطت هذه الكلمة الواحدة عمله كله وفي حديث ابي هريرة رض
نحو ذلك ثم قال ابو هريرة تكلم بكلمة اوبقت دنياه واخرته وفي
الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد
ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات
وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم
وعند مسلم ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار ابعد
ما بين المشرق والمغرب وعند الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث
بلال ابن الحرث المزني ان احدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن
ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان احدكم
ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه
الى يوم يلقاه فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال

ابن الحرث وفي جامع الترمذي ايضا من حديث انس قال توفي رجل
من الصحابة فقال رجل ابشر بالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا
تدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه او بخل بما لا ينقصه قال حديث حسن وفي
لفظ ان غلاما استشهد يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة
من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك يا بني لك الجنة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه
ويمنع ما لا يضره وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وفي لفظ لمسلم من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر فاذا شهد امرا فليتكلم بخير او ليسكت وذكر
الترمذي باسناد صحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام
المرء تركه ما لا يعنيه وعن سفين ابن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول
الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت
بالله ثم استقم قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان
نفسه ثم قال هذا والحديث صحيح وعن ام حبيبة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل كلام ابن ادم
عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله عز وجل
قال الترمذي حديث حسن وفي حديث اخر اذا اصبح العبد فان

الاعضا كلها تكفر اللسان تقول اتق الله فانما نحن بك فان استقمت
استقمنا وان اعوججت اعوججنا وقد كان السلف يحاسب احدهم نفسه
في قوله يوم حار يوم بارد ولقد رؤي بعض الاكابر من اهل العلم
في النوم فسئل عن حاله فقال انا موقوف على كلمة قلتها قلت ما احوج
الناس الى غيث فقيل لي وما يدريك انا اعلم بمصلحة عبادي وقال
بعض الصحابة لخادمه يوما هاتي السفرة نعبث بها ثم قال استغفر
الله ما اتكلم بكلمة الا وانا اخطمها وازمها الا هذه الكلمة خرجت مني
بغير خطام ولا زمام او كما قال وايسر حركات الجوارح حركة اللسان
وهي اضرها على العبد واختلف السلف والخلف هل يكتب جميع ما
يلفظ به او الخير والشر فقط على قولين اظهرهما الاول وقال بعض السلف
كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ما كان من ذكر الله وما والاه وكان
الصديق رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول هذا اوردني الموارد
والكلام اسيرك فاذا خرج من فيك صرت اسيره والله عند لسان كل
قايل وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وفي اللسان آفتان عظيمتان
ان خلص من احداهما لم يخلص من الاخرى آفة الكلام وآفة السكوت
وقد يكون كل منهما اعظم اثما من الاخرى في وقتها فالساكت عن الحق
شيطان اخرس عاص لله مراء مداهن اذا لم يخف على نفسه والمتكلم بالباطل

شيطان

شيطان ناطق عاص لله واكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته فهم بين
هذين النوعين واهل الوسط وهم اهل الصراط المستقيم كفوا السنتهم
عن الباطل واطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الاخرة فلا ترى احدهم
انه يتكلم بكلمة تذهب عليه ضايعة بلا منفعة فضلا ان تضره في
اخرته وان العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات امثال الجبال فيجد لسانه
قد هدمها عليه كلها ويأتي بسيئات امثال الجبال فيجد لسانه قد
هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به **فصل** واما الخطوات
فحفظها بان لا ينقل قدمه الا فيما يرجوا ثوابه فان لم يكن في خطاه
مزيد ثواب فالقعود عنها خير له ويمكنه ان يستخرج من كل مباح
يخطو اليه قربة ينويها لله فتقع خطاه قربة ولما كانت العثرة
عثرتين عثرة الرجل وعثرة اللسان جاءت احداهما قرينة الاخرى
في قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فوصفهم بالاستقامة في لفظاتهم
وخطواتهم كما جمع بين اللحظات والخطرات في قوله تعالى يعلم
خاينة الاعين وما تخفي الصدور **فصل** وهذا كله ذكرناه
مقدمة بين يدي تحريم الفواحش ووجوب حفظ الفرج وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج وفي الصحيح

عنه صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني
والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وهذا الحديث في اقتران
الزنا بالكفر وقتل النفس نظير الآية التي في الفرقان ونظير حديث
ابن مسعود وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأكثر وقوعا فالذي
يليه فالزنا أكثر وقوعا من قتل النفس وقتل النفس أكثر وقوعا من الردة
وأيضا فإنه انتقال من الأكبر إلى ما هو أكبر منه ومفسدة الزنا مناقضة
لصلاح العالم فإن المرأة إذا زنت أدخلت العار على أهلها وزوجها
وأقاربها ونكست رؤوسهم بين الناس وإن حملت من الزنا فإن قتلت
ولدها جمعت بين الزنا والقتل وإن حملته الزوج أدخلت على أهله
وأهلها أجنبيا ليس منهم فورثهم وليس منهم ورآهم وخلا بهم وانتسب إليهم
وليس منهم إلى غير ذلك من مفاسد زناها وأما زنا الرجل فإنه
يوجب اختلاط الأنساب أيضا وإفساد المرأة المصونة وتعريضها
للتلف والفساد ففي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين وإن عمرت
التنور في البرزخ والنار في الآخرة فكم في الزنا من استحلال الحرمات
الله وفوات حقوق ووقوع مظالم ومن خاصيته أنه يوجب الفقر
ويقصر العمر ويكسو صاحبه سواد الوجه وثوب المقت بين الناس
ومن خاصيته أيضا أنه يشتت القلب ويمرضه إن لم يمته ويجلب الهم

والحزن

والحزن والخوف ويباعد صاحبه من الملك ويقربه من الشيطان
فليس بعد مفسدة القتل أعظم من مفسدته ولهذا شرع فيه القتل
على أشنع الوجوه وأفحشها وأصعبها ولو بلغ العبد أن امرأته أو
حرمته قتلت كان أسهل عليه أن يبلغه أنها زنت وقال سعد بن
عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعجبون من غيرة سعد والله
لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما
ظهر منها وما بطن متفق عليه وفي الصحيحين أيضا عنه صلى الله عليه وسلم
إن الله يغار وإن المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم
عليه وفيهما أيضا عنه صلى الله عليه وسلم لا أحد أغير من الله من أجل
ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من
الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا أحد أحب إليه
المدح من الله من أجل ذلك أثنى على نفسه وفيهما في خطبته صلى الله
عليه وسلم في صلاة الكسوف أنه قال يا أمة محمد والله إنه لا أحد أغير
من الله أن يزني عبده أو تزني أمته يا أمة محمد والله لو تعلمون ما
أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم رفع يديه وقال اللهم قد بلغت وفي ذكر
هذه الكبيرة بخصوصها عقيب صلاة الكسوف سر بديع لمن تأمله

امارات
وظهور الزنا من خراب العالم وهو من اشراط الساعة كما في الصحيحين عن انس
ابن مالك انه قال لاحدثنكم حديثا لا يحدثكموه احد بعدي سمعته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من اشراط الساعة
ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر
النساء حتى يكون لخمسين امراة القيم الواحد وقد جرت سنة الله في خلقه
انه عند ظهور الزنا يغضب سبحانه ويشتد غضبه فلا بد ان يؤثر غضبه
في الارض عقوبة قال عبد الله ابن مسعود ما ظهر الربا والزنا في قرية الا اذن
الله باهلاكها ورأى بعض احبار بني اسرائيل ابنا له يغامز امراة فقال مهلا
يا بني فصرع عن سريره فانقطع نخاعه واسقطت امراته وقيل له هكذا
غضبك لي لا يكون في جنسك خير ابدا وخص الله سبحانه حد الزنا من
بين الحدود بثلاث خصايص احدها القتل اشنع القتلات وحيث خففه
فجمع فيه بين العقوبة على البدن بالجلد وعلى القلب بتغريبه عن وطنه
سنة الثاني انه نهى عباده ان تاخذهم بالزناة رافة في دينه بحيث
تمنعهم من اقامة الحد عليهم وانه سبحانه من رافته ورحمته بهم شرع هذه
العقوبة فهو ارحم منكم ولم تمنعه رحمته من امره بهذه العقوبة فلا
تمنعكم انتم ما يقوم بقلوبكم من الرافة من اقامة امره وهذا وان كان
عاما في ساير الحدود ولكن ذكر في حد الزنا خاصة لشدة الحاجة الى

ذكره فان الناس لا يجدون في قلوبهم من الغلظة والقسوة على الزاني
ما يجدونه على السارق والقاذف وشارب الخمر فقلوبهم ترحم الزاني اكثر
مما ترحم غيره من ارباب الجرايم والواقع شاهد بذلك فنهوا ان
تاخذهم هذه الرافة وتحملهم على تعطيل حد الله وسبب هذه الرحمة
ان هذا ذنب يقع من الاشراف والاوساط والاراذل وفي النفوس اقوى
الدواعي اليه والمشارك فيه كثير واكثر اسبابه العشق والقلوب مجبولة
على رحمة العاشق وكثير من الناس يعد مساعدته طاعة وقربة وان
كانت الصورة المعشوقة محرمة عليه ولا تستنكر هذا الامر فانه مستقر
عند ما شاء الله من اشباه الانعام ولقد حكي لنا عن ذلك شيء كثير اكثره
عن ناقصي العقول كالخدام والنساء وايضا فان هذا ذنب غالب ما
يقع مع التراضي من الجانبين فلا يقع فيه من العدوان والظلم والاغتصاب
ما تنفر النفوس منه وفيها شهوة غالبة فتصور ذلك لنفسها فتقوم
بها رحمة تمنع اقامة الحد وهذا كله من ضعف الايمان وكمال الايمان ان
تقوم به قوة يقيم بها امر الله ورحمة يرحم بها المحدود فيكون موافقا
لربه تعالى في امره ورحمته الثالث انه سبحانه امر ان يكون
حدهما بمشهد من المؤمنين فلا يكون خلوة حيث لا يراهما احد وذلك
ابلغ في مصلحة الحد وحكمة الزجر وحد الزاني المحصن مشتق من عقوبة

الله سبحانه لقوم لوط بالقذف بالحجارة وذلك لاشتراك الزنا واللواط
في الفحش وفي كل منهما فساد يناقض حكم الله في خلقه وامره فان في
اللواط من المفاسد ما يفوق الحصر والتعداد ولان يقتل المفعول به
خير له من ان يؤتى فانه يفسد فسادا لا يرجى له بعده صلاح ابدا
ويذهب خيره كله وتمص الارض ماء الحياء من وجهه فلا يستحيي
بعد ذلك من الله ولا من خلقه ويعمل في قلبه وروحه نطفة الفاعل
ما يعمل السم في البدن وقد اختلف الناس هل يدخل الجنة مفعول به على
قولين سمعت شيخ الاسلام يحكيهما والذين قالوا لا يدخل الجنة احتجوا
بامور منها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنية
فاذا كان هذا حال ولد الزنا مع انه لا ذنب له في ذلك ولكنه مظنة
كل شر وخبث وهو جدير ان لا يجيء منه خير ابدا لانه مخلوق من
نطفة خبيثة واذا كان الجسد الذي تربى على الحرام النار اولى به
فكيف بالجسد المخلوق من النطفة الحرام قالوا والمفعول به شر من
ولد الزنا واخزى واخبث واوسخ وهو جدير ان لا يوفق لخير وان
يحال بينه وبينه وكلما عمل خيرا قيض الله له ما يفسده عقوبة له وقل
ان يرى من كان كذلك في صغره الا وهو في كبره شر مما كان ولا
يوفق لعلم نافع ولا عمل صالح ولا توبة نصوح والتحقيق في المسئلة ان يقال

ان

مطلب عقوبة المفعول به

ان تاب المبتلى بهذا البلاء واناب ورزق توبة نصوحا وعملا صالحا
وكان في كبره خيرا منه في صغره وبدل سيئاته بحسنات وغسل عار
ذلك عنه بانواع الطاعات والقربات وغض بصره وحفظ فرجه
عن المحرمات وصدق الله في معاملته فهذا مغفور له وهو من اهل
الجنة فان الله يغفر الذنوب جميعا واذا كانت التوبة تمحوا كل ذنب
حتى عن الشرك بالله وقتل انبيائه واوليائه والسحر والكفر وغير
ذلك فلا تقصر عن محو هذا الذنب وقد استقرت حكمة الله عدلا
وفضلا ان التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقد ضمن الله سبحانه لمن
تاب من الشرك وقتل النفس والزنا انه يبدل سيئاته حسنات وهذا
حكم عام لكل تائب من كل ذنب وقد قال تعالى قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم ولا يخرج من هذا العموم ذنب واحد
ولكن هذا في حق التائبين خاصة واما مفعول به كان في كبره
شرا مما كان في صغره لم يوفق لتوبة نصوح ولا لعمل صالح ولا
استدرك ما فات ولا احيا ما امات ولا بدل السيئات بالحسنات فهذا
بعيد ان يوفق عند الممات لخاتمة يدخل بها الجنة عقوبة له على
عمله فان الله سبحانه يعاقب على السيئة بسيئة اخرى وتضاعف عقوبة

السيئات بعضها ببعض كما تثيب على الحسنة بحسنة اخرى واذا نظرت الى الى كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين حسن الخاتمة عقوبة لهم على اعمالهم السيئة قال الحافظ ابو محمد عبد الحق ابن عبد الرحمن الاشبيلي رحمه الله واعلم ان لسوء الخاتمة اعاذنا الله منها اسباب ولها طرق وابواب اعظمها الاكباب على الدنيا والاعراض عن الاخرة والاقدام والجراة على معاصي الله عز وجل وربما غلب على الانسان ضرب من الخطيئة ونوع من المعصية وجانب من الاعراض ونصيب من الجراة والاقدام فملك قلبه وسبى عقله واطفا نوره وارسل عليه حجبه فلم ينفع فيه تذكرة ولا نجعت فيه موعظة فربما جاءه الموت على ذلك فسمع النداء من مكان بعيد فلم يتبين المراد ولا علم ما اراد وان كرر عليه الداعي واعاد قال ويروى ان بعض رجال الناصر نزل به الموت فجعل ابنه يقول قل لا اله الا الله فقال الناصر مولاي فاعاد عليه القول فاعاد مثل ذلك ثم اصابته غشية فلما افاق قال الناصر مولاي ثم قال لابنه يا فلان الناصر انما يعرفك بسيفك والقتل القتل ثم مات قال عبد الحق وقيل لاخر ممن اعرفه قل لا اله الا الله فجعل يقول الدار الفلانية اصلحوا فيها كذا والبستان الفلاني فعلوا فيه كذا قال وفيما اذن لي ابو طاهر السلفي ان احدث به عنه ان رجلا

نزل به الموت فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول بالفارسية ده يازده تفسيره عشرة باحدى عشرة وقيل لاخر قل لا اله الا الله فجعل يقول اين الطريق الى حمام منجاب قال وهذا الكلام له قصة وذلك ان رجلا كان واقفا بازاء داره وكان بابها يشبه باب الحمام فمرت به جارية لها منظر فقالت اين الطريق الى حمام منجاب فقال هذا حمام منجاب فدخلت الدار ودخل وراءها فلما رات نفسها في داره وعلمت انه قد خدعها اظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه وقالت له يصلح ان يكون معنا ما نطيب به عيشنا وتقر به عيوننا فقال لها الساعة اتيك بكل ما تريدين وتشتهين وخرج وتركها في الدار ولم يغلقها فاخذ ما يصلح ورجع فوجدها قد ذهبت وخرجت ولم تخنه في شيء فهام الرجل واكثر الذكر لها وجعل يمشي في الطرق والازقة ويقول يا رب قائلة يوما وقد تعبت اين الطريق الى حمام منجاب فبينما هو يوما يقول واذا الجارية اجابته من طاق تقول قرنان هلا جعلت اذ ظفرت بها حرزا على الدار او قفلا على الباب فازداد هيامه واشتد هيجانه ولم يزل كذلك حتى كان هذا البيت اخر كلامه من الدنيا قال ويروى ان رجلا علق شخصا وكلف به وتمكن حبه من قلبه حتى وقع لما به ولزم الفراش بسببه ومنع

ذالك الشيخ عليه واشتد نفاره عنه فلم تزل الوسايط تمشون بينهما حتى
وعده بان يعوده فاخبر بذلك البايس ففرح واشتد سروره وانجلا
غمه وجعل ينتظر للميعاد الذي ضرب له فبينما هو كذالك اذ جاءه
الساعي بينهما فقال انه وصل معي الى بعض الطريق ورجع فرغبت اليه
وكلمته فقال انه ذكرني وبرح بي ولا ادخل محل الريب ولا اعرض نفسي
لمواضع التهم نزك فعاودته فابى وانصرف فلما سمع البايس سقط
في يده وعاد الى اشد مما كان به وبدت عليه علايم الموت فجعل
يقول في تلك الحال اسلم يا راحة العليل ويا شفا المدنف النحيل
رضاك اشهى الى فوادي من رحمة الخالق الجليل فقلت له اتق
الله يا فلان قال قد كان فقمت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت
صيحة الموت فعياذا بالله من سوء العاقبة وشوم الخاتمة ولقد بكا
سفيان الثوري ليلة الى الصباح فلما اصبح قيل له كل هذا خوفا من
الذنوب فاخذ تبنة من الارض وقال الذنوب اهون من هذا
وانما ابكي من خوف الخاتمة وهذا من اعظم الفقه ان يخاف الرجل
ان تخل له ذنوبه عند الموت فتحول بينه وبين الخاتمة بالحسنى وقد
ذكر الامام احمد عن ابي الدردا انه لما احتضر جعل يغمى عليه ثم يفيق
ويقرا ونقلب افيدتهم وابصارهم كما لم يومنوا به اول مرة ونذرهم

في

في طغيانهم يعمهون فمن هنا خاف السلف من الذنوب ان تكون
حجابا بينهم وبين الخاتمة بالحسنى قال اعلم ان سوء الخاتمة اعاذنا
الله منها لا يكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا
ولا علم به ولله الحمد انما يكون لمن له فساد في العقل او اصرار
على الكباير واقدام على العظايم فربما غلب ذالك عليه حتى ينزل به
الموت قبل التوبة فياخذه قبل اصلاح الطوية ويصطلم قبل
الانابة فيظفر به الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند
تلك الدهشة والعياذ بالله قال ويروي انه كان بمصر
رجل يلزم مسجدا للاذان والصلاة وعليه بها الطاعة وانوار
العبادة فرقا يوما المنارة على عادته للاذان وكانت تحت
المنارة دار لنصراني فاطلع فيها فراى ابنة صاحب الدار فافتتن
بها فترك الاذان ونزل اليها ودخل الدار عليها فقالت له ما
شانك وما تريد قال اريدك قالت لماذا قال قد سلبت لبي
واخذت بمجامع قلبي قالت لا اجيبك الى ريبة قال اتزوجك
قالت انت مسلم وانا نصرانية وابي لا يزوجني منك قال لها اتنصر
قالت ان فعلت افعل فتنصر الرجل ليتزوجها واقام معهم في
الدار فلما كان في اثناء ذلك اليوم رقا الى سطح كان في الدار

فسقط منه فمات فلم يظفر بها وفاته دينه **فصل** ولما كانت
مفسدة اللواط من اعظم المفاسد كانت عقوبته في الدنيا والاخرة
من اعظم العقوبات وقد اختلف الناس هل هو اغلظ عقوبة من
الزنا او الزنا اغلظ عقوبة منه او عقوبتهما سوا على ثلاثة اقوال
فذهب ابو بكر الصديق وعلي ابن ابي طالب وخالد ابن الوليد
وعبد الله ابن الزبير وعبد الله ابن عباس وجابر ابن زيد وعبد الله
ابن معمر والزهري وربيعة ابن ابي عبد الرحمن ومالك واسحاق
ابن راهويه والامام احمد في اصح الروايتين عنه والشافعي في احد
قوليه الى ان عقوبته اغلظ من عقوبة الزنا وعقوبته القتل على
كل حال محصنا كان او غير محصن **وذهب** عطا ابن ابي رباح
والحسن البصري وسعيد ابن المسيب وابراهيم النخعي وقتادة والاوزاعي
والشافعي في ظاهر مذهبه والامام احمد في الرواية الثانية عنه
وابو يوسف ومحمد الى ان عقوبته وعقوبة الزاني سوا **وذهب**
الحكم وابو حنيفة الى ان عقوبته دون عقوبة الزاني وهي التعزير
قالوا لانه معصية من المعاصي لم يقدر الله ولا رسوله فيه حدا
مقدرا فكان فيه التعزير كاكل الميتة والدم ولحم الخنزير قالوا
ولانه وطي في محل لا تشتهيه الطباع بل ركبها الله تعالى على النفرة

منه

منه حتى الحيوان البهيم فلم يكن فيه حد كوطي الحمار وغيره قالوا
ولانه لا يسمى زانيا لغة ولا شرعا ولا عرفا فلا يدخل في النصوص
الدالة على حد الزانيين قالوا ولا بأ رأينا قواعد الشريعة ان
المعصية اذا كان الوازع عنها طبعيا اكتفا بذلك الوازع من
الحد واذا كان في الطباع تقاضيها جعل فيها الحد بحسب اقتضا
الطباع لها ونقلوا عن ابي حنيفة انه يرمى من شاهق ويتبع بالحجارة
ولهذا جعل الحد في الزنا والسرقة وشرب الخمر او المسكر دون
اكل الميتة والدم ولحم الخنزير قالوا وطرد هذا انه لا حد في وطي
البهيمة ولا الميتة وقد جبل الله سبحانه على النفرة من وطي الرجل مثله
اشد نفرة كما جبلها على النفرة من استدعا الرجل من يطاه بخلاف الزنا
فان الداعي فيه من الجانبين قالوا ولان احد النوعين اذا استمتع
بشكله لم يجب عليه الحد كما لو تساحقت المرأتان واستمتعت كل
واحدة منهما بالاخرى قال اصحاب القول الاول وهو جمهور الامة
وحكاه غير واحد اجماعا للصحابة ليس في المعاصي مفسدة اعظم من
هذه المفسدة وهي تلي مفسدة الكفر وربما كانت اعظم من مفسدة
القتل كما سنبينه ان شا الله تعالى قالوا ولم يبتل الله سبحانه بهذه
الكبيرة قبل قوم لوط احدا من العالمين وعاقبهم عقوبة لم يعاقب

بها امة غيرهم وجمع عليهم من انواع العقوبات من الاهلاك وقلب ديارهم
عليهم والخسف بهم ورجمهم بالحجارة من السما فنكل بهم نكالا لم ينكل بامة
سواهم وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد الارض تميد من
جوانبها اذا عملت وتهرب الملائكة الى اقطار السماوات والارض اذا
شاهدوها خشية نزول العذاب على اهلها فيصيبهم معهم وتعج الارض
الى ربها تبارك وتعالى وتكاد الجبال تزول عن اماكنها وقتل المفعول
به خير له من وطيه فاذا وطيه قتله قتلا لا ترجى الحياة معه بخلاف قتله
فانه مظلوم شهيد وربما ينتفع به في اخرته قالوا والدليل على هذا ان
الله سبحانه جعل حد القاتل الى خيرة الولي ان شا قتل وان شا عفا
وحتم قتل اللوطي حدا كما اجمع عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودلت عليه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة الصريحة التي
لا معارض لها بل عليها عمل الصحابة وخلفايه الراشدين وقد ثبت عن
خالد ابن الوليد انه وجد في بعض ضواحي العرب رجلا ينكح كما تنكح المراة
فكتب الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فاستشار ابو بكر الصحابة رضي
الله عنهم فكان علي ابن ابي طالب اشدهم قولا فيه فقال ما فعل هذا الا
امة من الامم واحدة وقد علمتم ما فعل الله بها اري ان يحرق بالنار
فكتب ابو بكر الى خالد فحرقه وقال عبد الله ابن عباس ينظر اعلا بنا

في

في القرية فيرما اللوطي منه منكبا ثم يتبع بالحجارة واخذ عبد الله ابن
عباس هذا الحد من عقوبة الله اللوطية قوم لوط وابن عباس هو
الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط
فاقتلوا الفاعل والمفعول به رواه اهل السنن وصححه ابن حبان وغيره
واحتج الامام احمد بهذا الحديث واسناده على شرط البخاري قالوا
وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله من عمل عمل قوم لوط
لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط ولم يجي منه
لعنة الزاني في حديث واحد وقد لعن جماعة من اهل الكباير فلم يتجاوز
بهم في اللعنة مرة واحدة وكرر لعن اللوطية فاكده ثلاث مرات
واطبق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتله لم يختلف فيه منهم
رجلان وانما اختلفت اقوالهم في صفة قتله فظن بعض الناس ان
ذلك اختلاف منهم في قتله فحكاها مسيلة نزاع بين الصحابة وهي
بينهم مسيلة اجماع لا مسيلة نزاع قالوا ومن تامل قوله تعالى ولا
تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا وقوله في اللوطية
اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين تبين له تفاوت
ما بينهما فانه سبحانه نكر الفاحشة في الزنا اي هو فاحشة من
الفواحش وعرفها في اللواط وذلك يفيد انه جامع لمعاني اسم الفاحشة

زيد الرجل ونعم الرجل زيد اي اتاتون الخصلة التي استقر فحشها عند
كل احد فهي لظهور فحشها وكماله غنية عن ذكرها بحيث لا ينصرف الاسم
الي غيرها وهل انظر قول فرعون لموسي وفعلت فعلتك التي فعلت
اي الفعلة الشنعا الظاهرة المعلومة لكل احد ثم اكد سبحانه شان
فحشها بانها لم يفعلها احد من العالمين قبلهم فقال ما سبقكم بها من احد من
العالمين ثم زاد في التاكيد بان صرح بما تشمئز منه القلوب وتنبو
عنه الاسماع وتنفر منه اشد النفرة الطباع وهو اتيان الرجل رجلا
مثله ينكحه كما ينكح الانثى فقال اينكم لتاتون الرجال ثم نبه على
استغنايهم عن ذلك وان الحامل لهم عليه ليس الا مجرد الشهوة لا
الحاجة التي لاجلها مال الذكر الي الانثى من قضا الوطر ولذة الاستمتاع
وحصول المودة والرحمة التي تنسى المراة لها ابوها وتذكر بعلها وحصول
النسل الذي هو حفظ هذا النوع الذي هو اشرف المخلوق وتحصين
المراة وقضا وطرها وحصول علاقة المصاهرة التي هي اخت النسب وقيام
الرجال على النسا وخروج احب الخلق الي الله من جماعهن كالانبيا والاوليا
والمومنين ومكاثرة النبي صلى الله عليه وسلم الانبيا بامته الي غير ذلك
من مصالح النكاح والمفسدة التي في اللواط تقاوم ذلك كله وتربي
عليه مما لا يمكن حصر فساده ولا يعلم تفصيله الا الله ثم اكد قبح ذلك بان

اللوطيه عكسوا فطرة الله التي فطر عليها الرجال وقلبوا الطبيعة
التي ركبها الله في الذكور وهي الشهوة للنسا دون الذكور فقلبوا
الامر وعكسوا الفطرة الطبيعية فاتوا الرجال شهوة من دون
النسا ولهذا اقلب الله سبحانه عليهم ديارهم فجعل عاليها سافلها
وكذلك قلبوا هم ونكسوا في العذاب على روسهم ثم اكد سبحانه
قبح ذلك بان حكم عليهم بالاسراف وهو مجاوزة الحد فقال بل
انتم قوم مسرفون فتامل هل جا مثل ذلك او قريبا منه في الزنا
واكد سبحانه ذلك عليهم بقوله ونجيناه من القرية التي كانت
تعمل الخبايث ثم اكد عليهم الذم بوصفين في غاية القبح فقال انهم
كانوا قوم سوء فاسقين وسماهم مفسدين في قول نبيهم رب انصرني
على القوم المفسدين وسماهم ظالمين في قول الملايكة لابراهيم
انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين فتامل من
عوقب بمثل هذه العقوبات ومن ذمه الله بمثل هذه المذمومات
ولما جادل فيهم خليله ابراهيم الملايكة وقد اخبروه باهلاكهم
قيل له يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جا امر ربك وانهم اتيهم عذاب
غير مردود وتامل خبث اللوطيه وفرط تمردهم على الله حيث
جاوا نبيهم لوطا لما سمعوا بانه قد طرقه اضياف هم احسن البشر صورا

فاقبل اللوطية اليه يهرعون فلما رآهم قال لهم يا قوم هؤلاء بناتي هن
اطهر لكم فعل الضيافة ببناته يزوجهم بهن خوفا على نفسه واضيافه من
العار الشديد فقال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزوني
في ضيفي اليس منكم رجل رشيد فردوا عليه ولكن رد جبار عنيد لقد
علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فنفث نبي الله نفثة
مصدور وخرجت من قلب مكروب عميد فقال لو ان لي بكم قوة
او آوي الى ركن شديد فنفس له رسل الله وكشفوا له عن حقيقة
الحال واعلموا انهم ليسوا ممن يوصل اليهم ولا اليه بسببهم فلا تخف
منهم ولا تعبأ بهم وهون عليك فقالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا
اليك وبشروه بما جاؤا به من الوعد له ولقومه من الوعيد المصيب
فقالوا فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه
مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فاستبطأ
الله موعد هلاكهم وقال اريد اعجل من هذا فقالت الملائكة اليس
الصبح بقريب فوالله ما كان بين هلاك اعداء الله ونجاة نبيه واوليائه
الا ما بين السحر الى طلوع الفجر واذا بديارهم قد اقتلعت من اصولها
ورفعت نحو السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب ونهيق الحمير
فبرز المرسوم الذي لا يرد من عند الرب الجليل الى عبده ورسوله

جبريل

جبريل بان يقلبها عليهم كما اخبر به في محكم التنزيل فقال عز من
قائل فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من
سجيل فجعلهم آية للعالمين وموعظة للمتقين ونكالا وسلفا لمن
شاركهم في اعمالهم من المجرمين وجعل ديارهم بطريق السالكين
ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك
لآية للمؤمنين اخذهم على غرة وهم نائمون وجاءهم باسه وهم في
سكرتهم يعمهون فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فانقلبت تلك
اللذات آلاما فاصبحوا بها يعذبون شعر مآرب كانت في
الحياة لاهلها عذابا فصارت في الممات عذابا ذهبت اللذات
واعقبت الحسرات وانقضت الشهوة واورثت الشقوة تمتعوا
قليلا وعذبوا طويلا رتعوا مرتعا وخيما فاعقبهم عذابا
اليما اسكرتهم خمرة تلك الشهوة فما استفاقوا منها الا في ديار
المعذبين وارقدتهم تلك الغفلة فما استيقظوا الا وهم في منازل
الهالكين فندموا والله اشد الندامة حين لا ينفع الندم وبكوا
على ما اسلفوه بدل الدموع بالدم فلو رايت الاعلا والاسفل
من هذه الطائفة والنار تخرج من منافذ وجوههم وابدانهم وهم
بين اطباق الجحيم وهم يشربون بدل لذيذ الشراب كؤوس

الجحيم ويقال لهم وهم على وجوههم يسحبون ذوقوا ما كنتم
تكسبون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما
تجزون ما كنتم تعملون ولقد قرب الله مسافة العذاب بين
هذه الامة وبين اخوانهم في العمل فقال مخوفا لهم ان يقع الوعيد
وما هي من الظالمين ببعيد شعر فيا ناكحي الذكران يهنيكم
البشرى فيوم معاد الناس ان لكم اجرا كلوا واشربوا
وازنوا ولوطوا وابشروا فانكم زفا الى لجة الحمرا
فاخوانكم قد مهدوا الدار قبلكم وقالوا الينا عجلوا لكم البشرا
وها نحن اسلاف لكم في انتظاركم سيجمعنا الجبار في ناره الكبرا
ولا تحسبوا ان الذين نكحتموا يغيبون عنكم بل ترونهم جهرا
ويلعن كل منهما لخليله ويشقى به المحزون في الكرة الاخرا
يعذب كل منهما بشريكه كما اشتركا في لذة توجب الوزرا

فصل في الاجوبة عما احتج به من جعل عقوبة هذه الفاحشة
دون عقوبة الزنا اما قولهم انها معصية لم يجعل الله فيها
حدا معينا فجوابه من وجوه احدها ان المبلغ عن الله جعل
حد صاحبها القتل حتما وما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانما شرعه عن الله فان اردتم ان حدها غير معلوم بالشرع

فهو

فهو باطل وان اردتم انه غير ثابت بنص الكتاب لم يلزم من
ذلك انتفا حكمه لثبوته بالسنة **الثاني** ان هذا ينتقض عليكم
بالرجم فانه انما ثبت بالسنة فان قلتم بل ثبت بقرآن نسخ لفظه
وبقي حكمه قلنا فينتقض عليكم بحد شارب الخمر **الثالث** ان نفي
دليل معين لا يستلزم نفي مطلق الدليل ولا نفي المدلول فكيف
وقد قدمنا ان الدليل الذي نفيتموه غير منتف واما قولكم انه
وطي في محل لا يشتهيه الطباع بل ركب الله الطباع النفرة منه
فهو كوطي الميتة والبهيمة فجوابه من وجوه **احدها** انه قياس
الاعتبار مردود بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع
اصحابه كما تقدم بيانه **الثاني** ان قياس وطي الامرد الجميل الذي
فتنته تربى على كل فتنة على وطي اتان او امراة ميتة من افسد
القياس وهل يقول احد قط باتان او بقرة او ميتة اوسبى ذلك
عقل عاشق او اسر قلبه او استولى على فكره ونفسه وليس في
القياس افسد من هذا **الثالث** ان هذا منتقض بوطي الام والبنت
والاخت فان النفرة الطبيعية عنه حاصله مع ان الحد فيه من
اغلظ الحدود في احد القولين وهو القتل بكل حال محصنا كان
او غير محصن وهذا احدى الروايتين عن الامام احمد وهو قول اسحق

ابن راهويه وجماعة من اهل الحديث وقد روى ابو داود من حديث
البرا ابن عازب قال لقيت عمي ومعه الراية فقلت الى اين تريد قال
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل نكح امراة ابيه من بعده
ان اضرب عنقه واخذ ماله قال الترمذي هذا حديث حسن قال
الجوزجاني عم البرا اسمه الحرث ابن عمرو وفي سنن ابن ماجه من حديث
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقع على ذات
محرم فاقتلوه ورفع الى الحجاج رجل اغتصب اخته على نفسها فقال
احبسوه واسالوا من ها هنا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسالوا عبد الله ابن مطرف فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من تخطا حرم المومنين فخطوا وسطه بالسيف وفيه دليل على
القتل بالتوسيط وهذا دليل مستقل في المسلة وهو ان من لا يباح وطيه
بحال فحده وطيه القتل دليله من وقع على امه وابنته وكذالك يقال في
وطي ذوات المحارم ووطي من لا يباح له وطيه بحال وكان حده القتل
كاللوطي والتحقيق ان يستدل على المسالتين بالنص والقياس ويشهد
لصحة كل منهما وقد اتفق المسلمون على ان من زنا بذات محرمه فعليه
الحد وانما اختلفوا في صفة الحد هل هو القتل بكل حال او حده حد
الزاني وذهب احمد واسحاق وجماعة من اهل الحديث الى ان حده
على قولين فذهب الشافعي ومالك واحمد في احدى روايتيه ان حده حد الزاني

القتل بكل حال وكذالك اتفقوا كلهم على انه لو اصابها باسم النكاح
عالما انه يحل الا ابا حنيفة وحده فانه راى ذالك شبهة مسقطة
للحد ومنازعوه يقولون اذا اصابها باسم النكاح فقد زاد الجريمة
غلظا وشدة فانه قد ارتكب محذورين عظيمين محذور الوطي
ومحذور العقد فكيف يخفف عنه العقوبة بضم محذور العقد
الى محذور الزنا واما وطي الميتة ففيه قولان للفقها وهما في مذهب
احمد وغيره احدهما يجب به الحد وهو قول الاوزاعي فان فعله
اعظم جرما واكثر ذنبا لانه انضم الى فاحشة هتك حرمة الميتة **فصل**
واما وطي البهيمة فللفقها فيه ثلاثة اقوال احدها انه يودب ولا
حد عليه وهذا قول مالك وابي حنيفة والشافعي في احد قوليه
وقول اسحاق والقول الثاني حكمه حكم الزاني يجلد ان كان بكرا
ويرجم ان كان محصنا وهذا قول الحسن والقول الثالث ان حكمه
حكم اللوطي نص عليه احمد فيخرج على الروايتين في حده هل هو
القتل حتما او هو كالزاني والذين قالوا حده القتل احتجوا بما رواه
ابو داود من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من اتى
بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه قالوا ولانه وطي لا يباح بحال فكان
فيه القتل كحد اللوطي ومن لم ير عليه حدا قالوا لم يصح فيه الحديث

ولو صح لقلنا به ولم يحل لنا مخالفته قال اسماعيل ابن سعيد الشالنجي
سالت احمد عن الذي ياتي البهيمة فوقف عندها ولم يثبت حديث عمرو
ابن ابي عمرو في ذلك وقال الطحاوي الحديث ضعيف وايضا فراويه
ابن عباس وقد افتى بانه لا حد عليه قال ابو داود وهذا يضعف
الحديث ولا ريب ان الزاجر الطبعي عن اتيان البهيمة اقوى من الزاجر
الطبعي عن التلوط وليس الامران في طباع الناس سوا فالحاق احدهما بالاخر
من افسد القياس كما تقدم **فصل** واما قياس وطي الرجل لمثله على
تدالك المراتين فمن افسد القياس اذ لا ايلاج هناك وانما نظيره مباشرة
الرجل الرجل من غير ايلاج على انه قد جا في بعض الاثار المرفوعة اذا
اتت المراة المراة فهما زانيتان ولا يجب الحد بذلك لعدم الايلاج
وان اطلق عليها اسم الزنا العام كزنا العين واليد والرجل والفم
اذا ثبت هذا فاجمع المسلمون على ان حكم التلوط مع المملوك كحكمه مع
غيره ومن ظن ان تلوط الانسان بمملوكه جايز واحتج على ذلك بقوله
تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين وقاس
ذلك على امته المملوكة فهو كافر يستتاب كما يستتاب المرتد فان تاب
والا ضرب عنقه وتلوط الانسان بمملوكه كتلوطه بمملوك غيره في
الاثم والحكم **فصل** فان قيل فهل مع ذلك كله من دوا لهذا الدا

العضال

العضال ورقية لهذا السحر القتال وما الاحتيال لدفع هذا الخبال
وهل من طريق قاصد الى التوفيق وهل على السكران بخمرة
الهوى ان يفيق وهل يملك العاشق قلبه والعشق قد وصل الى
سويدايه وهل للطبيب بعد ذلك حيلة في برؤه من سوء دايه
ان لامه لايم التذ بملامه ذكرا لمحبوبه وان عذله عاذل اغراه
عذله وسار به في طريق مطلوبه ينادي عليه شاهد حاله بل
لسان قاله **شعر** وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متاخر عنه ولا
متقدم واهنتني فاهنت نفسي جاهدا ما من يهون عليك ممن
يكرم اشبهت اعداي فصرت احبهم اذ كان حظي منك حظي
منهم اجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللوم
ولعل هذا هو المقصود بالسوال الاول الذي وقع عليه الاستفتا
والدا الذي طلب له الدوا قيل نعم الجواب من راس القلم وما انزل
الله سبحانه دا الا انزل له دوا علمه من علمه وجهله من جهله والكلام
في دوا هذا الدا من طريقين **احدهما** حسم مادته قبل حصولها **والثا**
ني قلعها بعد نزولها وكلاهما يسير على من يسره الله عليه ومتعذر
على من لم يعنه فان ازمة الامور بيديه فاما الطريق المانع من
حصول هذا الدا فامران **احدهما** غض البصر كما تقدم فان النظرة

سهم مسموم من سهام ابليس ومن اطلق لحظاته دامت حسراته وفي
غض البصر عدة منافع احدها انه امتثال لاوامر الله الذي هو غاية
سعادة العبد في معاشه ومعاده فليس للعبد في دنياه واخرته انفع
من امتثال اوامر ربه تبارك وتعالى وما سعد من سعد في الدنيا
والاخرة الا بامتثال اوامره وما شقي من شقي في الدنيا والاخرة
الا بتضييع اوامره الثانية انها تمنع من اثر انسا بالله وجمعيته على الله
فان اطلاق البصر يفرق القلب ويشتته ويبعده من الله وليس على
القلب شي اضر من اطلاق البصر فانه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه
الرابعه انه يقوي القلب ويفرحه كما ان اطلاق البصر يضعفه ويحزنه
الخامسه انه يكسب القلب نورا كما ان اطلاقه يلبسه ظلمة ولهذا
ذكر سبحانه النور عقيب الامر بغض البصر فقال قل للمؤمنين يغضوا
من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ثم قال اثر ذلك الله نور السماوات
والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة اي مثل
نوره في قلب عبده المؤمن الذي امتثل اوامره واجتنب نواهيه
واذا استنار القلب اقبلت وفود الخيرات اليه من كل ناحية كما انه اذا
اظلم اقبلت سحايب البلا والشر عليه من كل مكان فما شئت من بدع وضلاله
واتباع هوى واجتناب هدى واعراض عن اسباب السعادة واشتغال

باسباب

باسباب الشقاوة فان ذلك انما يكشفه له النور الذي في القلب فاذا
فقد ذلك النور بقي صاحبه كالاعمى الذي يجوس في حنادس الظلمات
السادسه انه يورثه فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل والصادق
والكاذب وكان شجاع الكرماني يقول من عمر ظاهره باتباع السنة
وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات
واغتذى بالحلال لم تخطئ فراسته وكان شجاع لا تخطئ له فراسة والله
سبحانه يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله ومن ترك شيئا عوضه
الله خيرا منه فاذا غض بصره عن محارم الله عوضه الله بان يطلق
نور بصيرته عوضا عن حبسه بصره لله ويفتح عليه باب العلم والايمان
والمعرفة والفراسة الصادقة المصيبة التي انما تنال ببصيرة القلب
وضد هذا ما وصف الله به اللوطية من العمه الذي هو ضد البصيرة
فقال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فوصفهم بالسكرة التي هي
فساد العقل والعمه الذي هو فساد البصيرة فالتعلق بالصور يوجب
فساد العقل وعمه البصيرة وسكر القلب كما قال القايل سكران سكر
هوى وسكر مدامة ومتى افاقة من به سكراني وقال الاخر قالوا
جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق اعظم مما بالمجانين العشق لا يستفيق
الدهر صاحبه وانما يصرع المجنون في الحين السابعه انه يورث

القلب ثباتا وشجاعة وقوة فيجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة
وسلطان القدرة والقوة كما في الاثر الذي يخالف هواه يفرق الشيطان
من ظله وضد هذا تجده في المتبع لهواه من ذل النفس وضاعتها ومهانتها
وخستها وحقارتها وما جعله الله سبحانه فيمن عصاه كما قال الحسن انهم
وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين ان ذل المعصية في رقابهم
ابى الله الا ان يذل من عصاه وقد جعل الله سبحانه العز قرين طاعته
والذل قرين معصيته فقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا
تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين والايمان قول وعمل
ظاهر وباطن وقال تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اي من كان يريد العزة
فليطلبها بطاعة الله وذكره من الكلم الطيب والعمل الصالح وفي دعاء
القنوت انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت ومن اطاع الله فقد
والاه فيما اطاعه فيه وله من العز بحسب طاعته ومن عصاه فقد عاداه
فيما عصاه فيه وله من الذل بحسب معصيته الثامنة انه يسد على الشيطان
مدخله الى القلب فانه يدخل مع النظرة وينفذ معها الى القلب اسرع من
نفوذ الهوى في المكان الخالي فيمثل له صورة المنظور اليه ويزينها
ويجعلها صنما يعكف عليه القلب ثم يعده ويمنيه ويوقد على القلب نار

الشهوات

الشهوات ويلقي عليه حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل اليها بدون تلك
الصورة فيصير القلب في اللهيب فمن ذلك اللهيب تلك الانفاس التي
تجد فيها وهيج النار وتلك الزفرات والحرقات فان القلب قد احاطت
به النيران من كل جانب فهو في وسطها كالشاة في وسط التنور ولهذا
كانت عقوبة اصحاب الشهوات للصور المحرمة ان جعل لهم في البرزخ
تنور من نار واودعت ارواحهم فيه الى يوم حشر اجسادهم كما اراه
الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في المنام في الحديث المتفق على صحته التا
سعة انه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها واطلاق
البصر يشتته عن ذلك ويحول بينه وبينه فتنفرط عليه اموره ويقع
في اتباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربه فقال تعالى ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا واطلاق النظر يوجب
هذه الامور الثلاثة بحسبه العاشرة ان بين العين والقلب منفذا
وطريقا يوجب انفعال احدهما عن الاخر وان يصلح بصلاحه ويفسد
بفساده فاذا فسد القلب فسد النظر واذا فسد النظر فسد القلب وكذلك
في جانب الصلاح فاذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد وصار
كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والاوساخ فلا يصلح
لسكنى معرفة الله ومحبته والانابة اليه والانس به والسرور بقربه فيه

ت ايضا

وانما نبهنا فيه اصل ذلك فهذه اشارة الى بعض فوايد غض البصر
يطلعك على ما ورايها **فصل الثاني** اشتغال القلب بما يصده عن ذلك
ويحول بينه وبين الوقوع فيه وهو اما خوف مقلق او حب مزعج فمتى خلا
القلب من خوف ما فواته اضر عليه من حصول هذا المحبوب او خوف ما
حصوله اضر عليه من فوات المحبوب او محبة ما هو انفع له وخير له من هذا
المحبوب وفواته اضر عليه من فوات هذا المحبوب لم يجد بدا من عشق
الصور وشرح هذا ان النفس لا تترك محبوبا الا لمحبوب اعلا منه او خشية
مكروه حصوله اضر عليها من فوات هذا المحبوب وهذا يحتاج صاحبه
الى امرين ان فقد واحدا هما لم ينتفع بنفسه احدهما بصيرة صحيحة
يفرق بها بين درجات المحبوب والمكروه فيوثر اعلى المحبوبين على ادناهما
ويحتمل ادنى المكروهين ليتخلص من اعلاهما وهذا خاصة العقل ولا يعد عاقلا
من كان بضد ذلك بل قد يكون البهايم احسن حالا منه **الثاني** قوة عزم
وصبر يتمكن بها من هذا الفعل والترك فكثيرا ما يعرف الرجل قدر التفاوت
ولكن تابى له ضعف نفسه وهمته وعزيمته على ايثار الانفع من خسعه وحرصه
ووضاعة نفسه وخسة همته ومثل هذا لا ينتفع بنفسه ولا ينتفع به غيره
وقد منع الله سبحانه امامة الدين الا من اهل الصبر واليقين فقال تعالى
وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون

وهذا هو الذي ينتفع بعلمه وينتفع به الناس وضده لا ينتفع بعلمه
ولا ينتفع به غيره ومن الناس من ينتفع بعلمه في نفسه ولا ينفع به غيره
فالاول يمشي في نوره ويمشي الناس في نوره **والثاني** قد طفي نوره
فهو يمشي في الظلمات ومن تبعه في ظلمته **والثالث** يمشي في نوره وحده
فصل اذا عرفت هذه المقدمة فلا يمكن ان يجتمع في القلب حب
المحبوب الاعلى وعشق الصور ابدا بل هما ضدان لا يتلاقيان بل لا
بد ان يخرج احدهما صاحبه فمن كانت قوة حبه كلها للمحبوب الاعلى
الذي محبة ما سواه باطلة وعذاب على صاحبها صرفه ذلك عن محبة
ما سواه وان احبه لم يحبه الا لاجله ولكونه وسيلة له الى محبته او
قاطعا له عما يضاد محبته وينقصها والمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب
وان لا يشرك بينه وبين غيره في محبته واذا كان المحبوب من الخلق
يانف ويغار ان يشرك محبه غيره في محبته ويمقته لذلك ويبعده
ولا يحظيه بقربه ويعده كاذبا في دعوى محبته مع انه ليس اهلا لصرف
قوة المحبة اليه فكيف بالحبيب الاعلى الذي لا تنبغي المحبة الا له وحده
وكل محبة لغيره فهي عذاب على صاحبها ووبال ولهذا لا يغفر الله
سبحانه ان يشرك به في هذه المحبة ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
فمحبة الصور تفوت محبة ما هو انفع للعبد منها بل تفوت محبة ما

ليس له صلاح ولا نعيم ولا حياة نافعة الا بمحبته وحده فليختر احد المحبتين
فانهما لا يجتمعان في القلب ولا يرتفعان منه بل من اعرض عن محبة الله
وذكره والشوق الى لقائه ابتلاه بمحبة غيره فيعذب به في الدنيا وفي
البرزخ وفي الاخرة فاما ان يعذبه بمحبة الاوثان او محبة الصلبان او
محبة النيران او محبة المردان او محبة النسوان او محبة الاثمان
او محبة العشراء والخلان او محبة ما دون ذلك مما هو في غاية
الحقارة والهوان فالانسان عبد محبوبه كائنا ما كان كما قيل
انت القتيل بكل من احببته فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي
فمن لم يكن الهه مالكه ومولاه كان الهه هواه قال الله تعالى
افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه
وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون
فصل وخاصة التعبد الحب مع الخضوع والذل للمحبوب فمن
احب شيئا وخضع له فقد تعبد قلبه له بل التعبد اخر مراتب الحب ويقال
له التتيم ايضا فان اول مراتبه العلاقة وسميت علاقة لتعلق المحب
بالمحبوب قال وعلقت ليلى وهي ذات تمائم ولم يبد للاتراب من ثديها
حجم وقال الاخر اعلاقة ام الوليد بعد ما افنان راسك كالثغام
المخلس ثم بعد ذلك الصبابة وسميت بذلك لانصباب القلب الى المحبوب

قال

قال تشكى المحبون الصبابة ليتني تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي ثم
الغرام وهو لزوم الحب للقلب لزوما لا ينفك عنه ومنه سمي الغريم غريما
لملازمته صاحبه ومنه قوله تعالى ان عذابها كان غراما وقد اولع
المتاخرون باستعمال هذا اللفظ في الحب وقل ان تجده في اشعار العرب
ثم العشق وهو افراط المحبة ولهذا لا يوصف به الرب تعالى ولا يطلق
في حقه ثم الشوق وهو سفر القلب الى المحبوب احث السفر وقد جاء
اطلاقه في حق الرب كما في مسند الامام احمد من حديث عمار بن ياسر انه
صلى صلاة فاوجز فيها فقيل له في ذلك فقال اما اني دعوت فيها بدعوات
كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهن اللهم اني اسالك بعلمك الغيب
وقدرتك على الخلق احيني اذا كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت
الوفاة خيرا اللهم واسالك خشيتك في الغيب والشهادة واسالك كلمة
الحق في الغضب والرضا واسالك القصد في الفقر والغنا واسالك نعيما
لا ينفد واسالك قرة عين لا تنقطع واسالك برد العيش بعد الموت واسالك
لذة النظر الى وجهك واسالك الشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة
ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين وفي
اثر اخر طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم اشد شوقا وهذا

هو المعنى الذي عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله من احب لقا الله احب
الله لقاءه وقال بعض اهل البصائر في قوله تعالى من كان يرجو لقا الله
فان اجل الله لآت لما علم سبحانه شدة شوق اوليائه الى لقائه وان
قلوبهم لا تهدا دون لقائه ضرب لهم اجلا وموعدا للقا تسكن نفوسهم
به واطيب العيش واللذة على الاطلاق عيش المحبين المشتاقين فحياتهم هي
الحياة الطيبة في الحقيقة ولا حياة للعبد اطيب ولا انعم ولا اهنا منها وهي
الحياة الطيبة المذكورة في قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو
مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ليس المراد منها الحياة المشتركة بين المؤمنين
والكفار والابرار والفجار من طيب الماكل والملبس والمشرب والمنكح
بل اما زاد اعدا الله على اوليائه في ذلك اضعافا مضاعفة وقد ضمن
الله لكل من عمل صالحا ان يحييه حياة طيبة فهو صادق الوعد الذي لا
يخلف وعده واي حياة اطيب من حياة من اجتمعت همومه كلها وصارت
هما واحدا في مرضات الله ولم يتشعب قلبه بالاقبال على الله واجتمعت
ارادته وافكاره التي كانت منقسمة بكل واد منها شعبة على الله فصار
ذكر محبوبه الاعلى وحبه والشوق الى لقائه والانس بقربه هو المستولي
عليه وعليه تدور همومه وارادته وقصوده بل خطرات قلبه فان
سكت سكت بالله وان نطق نطق به وان سمع فبه يسمع وان ابصر

فبه

فبه يبصر وبه يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن وبه يحيى وبه
يموت وبه يبعث كما في صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم فيما يروي
عن ربه تبارك وتعالى انه قال ما تقرب الي عبدي بمثل ادا ما افترضت
عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها
ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي فلان
سالني لاعطينه ولان استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شي انا
فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته
ولا بد له منه فتضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرام على غليظ
الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب محبته في امرين
ادا فرايضه والتقرب اليه بالنوافل واخبر سبحانه ان ادا
فرايضه احب ما تقرب به اليه المتقربون ثم بعدها النوافل وان
المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله فاذا صار محبوبا
لله اوجبت محبة الله له محبة اخرى منه لله فوق المحبة الاولى فشغلت
هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه
روحه ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه
وحبه ومثله الاعلى مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلا

المحبوب على محبته الصادق في محبته التي قد اجتمعت قوى حبه كلها
له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع لمحبوبه وان ابصر ابصر به
وان بطش بطش به وان مشى مشى به فهو في قلبه ومعه وانيسه وصاحبه
فالبا هاهنا بالمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد
الاخبار عنها والعلم بها فالمسألة حالية لا علمية محضة واذا كان المخلوق
يجد هذا في محبة المخلوق التي لم يخلق لها ولم يفطر عليها كما قال بعض
المحبين شعر خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فاين
تغيب وقال الاخر ومن عجب اني احن اليهم واسال عنهم من لقيت
وهم معي وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين
اضلعي وهذا الطف من قول الاخر ان قلت غبت فقلبي لا يصدقني
اذ انت فيه مكان السر لم تغب او قلت ما غبت قال الطرف ذا
كذب فقد تحيرت بين الصدق والكذب فليس شي ادنى الى المحب
من محبوبه وربما تمكنت منه المحبة حتى يصير ادنى اليه من نفسه
بحيث ينسا نفسه ولا ينساه كما قال اريد لانسا ذكرها فكانما تمثل لي
ليلى بكل سبيل وقال اخر يراد من القلب نسيانكم وتابى الطباع على
الناقل وخص في هذا الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر
فان هذه الالات الات الادراك والات الفعل والسمع والبصر

يوردان

يوردان على القلب الارادة والكراهة ويجلبان اليه الحب والبغض
فتستعمل اليد والرجل فاذا كان سمع العبد بالله وبصره بالله كان
محفوظا في الات ادراكه وكان محفوظا في حبه وبغضه فحفظ في
بطشه ومشيه وتامل كيف اكتفى بذكر السمع والبصر واليد والرجل
عن اللسان فانه اذا كان ادراك السمع الذي يحصل باختياره تارة
وبغير اختياره تارة وكذلك البصر قد يقع بغير الاختيار فجاة
وكذلك حركة اليد والرجل التي لا بد للعبد منها فكيف بحركة اللسان
التي لا يقع الا بقصد واختيار وقد يستغني العبد عنها الا حيث امر بها
وايضا فانفعال اللسان عن القلب اتم من انفعال ساير الجوارح فانه
ترجمانه ورسوله وتامل كيف حقق تعالى كون العبد به عند سمعه
وبصره وبطشه ومشيه بقوله كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها تحقيقا لكونه مع
عبده وكون عبده به في ادراكاته بسمعه وبصره وحركاته بيده
ورجله وتامل كيف قال فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش ولم يقل فلي يسمع
ولي يبصر ولي يبطش وربما يظن الظان ان اللام اولى بهذا الموضع
اذ هي ادل على الغاية ووقوع هذه الامور لله وذلك اخص من
وقوعها به وهذا من الوهم والغلط اذ ليست البا هاهنا لمجرد الاستعانة

فان حركات الابرار والفجار واذ راءاتهم انما هي بمعونة الله لهم وانما
الباء هاهنا للمصاحبة اي انما يسمع ويبصر ويبطش ويمشي وانا صاحبه
ومعه كقوله في الحديث الاخر انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي
شفتاه وهذه هي المعية الخاصة المذكورة في قوله لا تحزن ان الله
معنا وقول النبي صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقوله وان
الله لمع المحسنين وقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
وقوله واصبروا ان الله مع الصابرين وقوله كلا ان معي ربي سيهدين
وقوله لموسى وهارون انني معكما اسمع وارى فهذه الباء مفيدة لمعنى
هذه المعية دون اللام ولا يتاتى للعبد الاخلاص والصبر والتوكل
ونزوله في منازل العبودية الا بهذه الباء وهذه المعية فمتى كان
العبد لله هانت عليه المشاق وانقلبت المخاوف في حقه امانا فبالله
يهون كل صعب ويسهل كل عسير ويقرب كل بعيد وبالله تزول الهموم
والغموم والاحزان فلا هم مع الله ولا غم ولا حزن الا حيث يفوته معنى
هذه الباء فيصير قلبه حينئذ كالحوت اذا فارق الماء يثب ويتقلب حتى
يعود اليه ولما حصلت هذه الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت
موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولا يسالني لاعطينه ولان
استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي بامتثال اوامري والتقرب

الي

الى بمحابي فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسالني ان افعله به
ويستعيذني ان يناله وقوي امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى
تردد الرب سبحانه في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تبارك
وتعالى يكره ما يكرهه عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي ان
لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه ما اماته الا ليحييه ولا امرضه الا
ليصحه ولا افقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة في
صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله ولم يقل لابيه اخرج منها
الا وهو يريد ان يعيده اليها فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه بل
لو كان في منبت كل شعرة من العبد لله محبة تامة لكان بعض ما يستحقه
على عبده شعر نقل فوادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب
الاول كم منزل في الارض يالفه الفتى وحنينه ابدا لاول منزل فصل
ثم التتيم وهو اخر مراتب الحب وهو تعبد المحب لمحبوبه يقال تيمه الحب
اذا عبده ومنه تيم الله اي عبد الله وحقيقة التعبد الذل والخضوع
للمحبوب ومنه قولهم طريق معبد اي مذلل قد ذللته الاقدام فالعبد
هو الذي ذلله الحب والخضوع لمحبوبه ولهذا كانت اشرف احوال العبد
ومقاماته هي العبودية فلا منزل له اشرف منها وقد ذكر الله سبحانه
اكرم الخلق عليه واحبهم اليه وهو رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية

في اشرف مقاماته وهي مقام الدعوة اليه ومقام التحدي بالنبوة ومقام
الاسرا فقال وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا
وقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وقال
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وفي حديث الشفاعة
اذهبوا الى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فنال مقام
الشفاعة بكمال عبوديته وكمال مغفرة الله له والله سبحانه خلق الخلق
لعبادته وحده لا شريك له التي هي كمال انواع المحبة مع اكمل انواع
الخضوع والذل وهذا هو حقيقة الاسلام وملة ابراهيم التي من رغب عنها
فقد سفه نفسه قال الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه
ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم
قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله
اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب
الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك
ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون ولهذا كان اعظم
الذنوب عند الله الشرك والله لا يغفر ان يشرك به واصل الاشراك
بالله الاشراك به في المحبة كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله فاخبر سبحانه ان من

الناس

الناس من يشرك به ويتخذ من دونه ندا يحبه كما يحب الله واخبر ان
الذين امنوا اشد حبا لله من اصحاب الانداد لاندادهم وقيل بل المعنى
انهم اشد حبا لله من اصحاب الانداد لله فانهم وان احبوا الله لكن لما
شركوا بينه وبين اندادهم في المحبة ضعفت محبتهم لله والموحدون لله
لما اخلصت محبتهم له كانت اشد من محبة اولئك والعدل برب العالمين
والتسوية بينهم وبين الانداد هو في هذه المحبة كما تقدم ولما كان
مراد الله من خلقه هو خلوص هذه المحبة له انكر على من اتخذ من
اتخذ من دونه وليا او شفيعا غاية الانكار وجمع ذلك تارة
وافرد احدهما عن الاخر بالانكار تارة فقال تعالى الله الذي خلق
السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من
دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون وقال تعالى وانذر به الذين
يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم
يتقون وقال في الافراد ام اتخذوا من دون الله شفعا قل ولو كانوا
لا يملكون شيئا ولا يعقلون وقال تعالى من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم
ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اوليا ولهم عذاب عظيم فاذا
والى العبد ربه وحده واقام له وليا من الشفعا وعقد الموالاة
بينه وبين عباده المومنين فصاروا اولياؤه في الله بخلاف من اتخذ

مخلوقا من دون الله فهذا لون وذاك لون كما ان الشفاعة الشركية
الباطلة لون والشفاعة الحق الثابتة التي انما تنال بالتوحيد لون وهذا
مواضع فرقان بين اهل التوحيد واهل الاشراك والله يهدي من
يشا الى صراط مستقيم والمقصود ان حقيقة العبودية لا تحصل مع الا
شراك بالله في المحبة بخلاف المحبة لله فانها من لوازم العبودية لا
وموجباتها فان محبة الرسول بل تقديمه في الحب على الانفس والاباء
والابنا لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله وكذلك كل حب
لله وفي الله كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان وفي لفظ في الصحيح لا يجد حلاوة
الايمان الا من كان فيه ثلاث خصال ان يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يرجع في
الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار وفي
الحديث الذي في السنن من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله
فقد استكمل الايمان وفي حديث اخر ما تحاب رجلان في الله الا كان
افضلهما اشدهما حبا لصاحبه فان هذه المحبة من لوازم محبة الله
وموجباتها وكلما كانت اقوى كان اصلها كذلك فصل
وها هنا اربعة انواع من المحبة يجب التفريق بينها وانما ضل من ضل

بعد

بعدم التمييز بينها احدها محبة الله ولا تكفي وحدها في النجاة
من عذابه والفوز بثوابه فان المشركين وعباد الصليب واليهود
وغيرهم يحبون الله وقد الثاني محبة ما يحب الله وهذه هي التي تدخله
في الاسلام وتخرجه من الكفر واحب الناس الى الله اقواهم بهذه
المحبة واشدهم فيها الثالث الحب لله وفيه وهي من لوازم محبة ما
يحب ولا يستقيم محبة ما يحب الا بالحب فيه وله الرابعة المحبة مع
الله وهي المحبة الشركية وكل من احب شيا مع الله لا لله ولا من اجله
ولا فيه فقد اتخذه ندا من دون الله وهذه محبة المشركين وبقي
قسم خامس ليس مما نحن فيه وهو المحبة الطبيعية وهي ميل الانسان
الى ما يلايم طبعه كحب العطشان للما والجايع للطعام ومحبة النوم
والزوجة والولد فتلك لا تذم الا اذا الهت عن ذكر الله وشغلت
عن محبته كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله وقال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
فصل ثم الخلة وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها بحيث لا يبقى في
قلب المحب سعة لغير محبوبه وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجه
ما وهذا المنصب خاص للخليلين صلوات الله وسلامه عليهما ابراهيم
ومحمد كما قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفي الصحيح

عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله وفي حديث اخر اني ابرا الى كل
خليل من خليله ولما سال ابراهيم الولد فاعطيه وتعلق حبه بقلبه فاخذ
منه شعبة غار الحبيب على خليله ان يكون في قلبه موضع لغيره فامره
بذبحه وكان الامر في المنام ليكون تنفيذ المامور به اعظم ابتلا وامتحانا
ولم يكن المقصود ذبح الولد ولكن المقصود ذبحه من قلبه ليخلص
القلب للرب فلما بادر الخليل الى الامتثال قدم محبة ربه على محبة ولده
حصل المقصود فرفع الذبح وفدي بذبح عظيم فان الرب تعالى ما امر
بشي ثم ابطله راسا بل لابد ان يبقى بعضه او بدله كما ابقى شرعية الفدا
وكما ابقى استحباب الصدقة بين يدي المناجاة وكما ابقى الخمس صلوات
بعد رفع الخمسين وابقى ثوابها وقال لا يبدل القول لدي هي خمس وهي
خمسون في الاجر **فصل** واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة
اكمل من الخلة وان ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله من جهله فان
المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة وقد اخبر النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه
مع اخباره لحبه لعايشة رضي الله عنها ولابيها ولعمر ابن الخطاب
وغيرهم وايضا فان الله سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب

الصابرين

الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة
بالخليلين والشاب التايب حبيب الله وانما هذا من قلة العلم والفهم عن الله
ورسوله **فصل** قد تقدم ان العبد لا يترك ما يحبه ويهواه
الا لما يحبه ويهواه لكن يترك اضعفهما محبة لاقواهما محبة كما انه
يفعل ما يكرهه لحصول ما محبته اقوى عنده من كراهة ما يفعله
او الخلاص من مكروه كراهته عنده اقوى من كراهة ما يفعله وتقدم
ان خاصة العقل ايثار اعلى المحبوبين على ادناهما وايسر المكروهين
على اقواهما وتقدم ان هذا كمال قوة الحب والبغض ولا يتم له هذا الا
بامرين قوة الادراك وشجاعة القلب فان التخلف عن ذلك والعمل
بخلافه يكون اما لضعف الادراك بحيث انه لم يدرك مراتب
المحبوب والمكروه على ما هي عليه واما لضعف في النفس وعجز في
القلب لا يطاوعه لايثار الاصلح له مع علمه بانه الاصلح فاذا صح ادرا
كه وقويت نفسه وتشجع قلبه على ايثار المحبوب الاعلى والمكروه
الادنى فقد وفق لاسباب السعادة فمن الناس من يكون سلطان
شهوته اقوى من سلطان عقله وايمانه فيقهر الغالب للضعيف
ومنهم من يكون سلطان ايمانه وعقله اقوى من سلطان شهوته
واذا كان كثير من المرضى يحميه الطبيب عما يضره فتابى عليه نفسه

وشهوته الا تناوله ويقدم شهوته على عقله وتسميه الاطبا عديم المروه
فهكذا اكثر مرضى القلوب يوثرون ما يزيد مرضهم لقوة شهوتهم فاصل
الشر من ضعف الادراك وضعف النفس ودنايتها واصل الخير من كمال
الادراك وقوة النفس وشرفها وشجاعتها فالحب والارادة اصل كل
فعل ومبداه والبغض والكراهة اصل كل ترك ومبداه وهاتان
القوتان في القلب اصل سعادة العبد وشقاوته ووجود الفعل الا
ختياري لا يكون الا بوجود سببه من الحب والارادة واما عدم
الفعل فتارة يكون لعدم مقتضيه وسببه وتارة يكون لوجود
البغض والكراهة والمانع منه وهذا متعلق الامر والنهي وهو
الذي يسمى الكف وهو متعلق الثواب والعقاب وبهذا يزول الاشتباه
في مسلة الترك هل هو امر وجودي او عدمي والتحقيق انه قسمان
فالترك المضاف الى عدم السبب المقتضي عدمي والمضاف الى السبب
المانع من الفعل وجودي لم يتابل هذا الفصل **فصل** وكل واحد
من الفعل والترك الاختياريين انما يوثره الحي لما فيه من حصول
المنفعة التي يلتذ بحصولها او زوال الالم الذي يحصل له الشفا
وليس منها شفا الدا منه ول وهذا مطلوب يوثره العاقل بل
الحيوان البهيم ولكن يغلط فيه اكثر الناس غلطا قبيحا فيقصد

حصول اللذة بما يعقب عليه اعظم الالم فيولم نفسه من حيث يظن
انه يحصل لذتها ويشفي قلبه بما يعقب عليه غاية المرض وهذا شان
من قصر نظره على العاجل ولم يلاحظ العواقب وخاصة العقل
النظر في العواقب فاغفل الناس من اثر لذته وراحته الاجلة
الدايمة على العاجلة المنقضية الزايلة واسفه الخلق من باع نعيم
الابد وطيب الحياة الدايمة واللذة العظمى التي لا تنغيص فيها ولا
نقص بوجه ما بلذة منغصة مشوبة بالالام والمخاوف وهي سريعة
الزوال وشيكة الانقضا قال بعض **العقلا** فكرت فيما يسعى فيه
العقلا فرايت سعيهم كلهم في مطلوب واحد وان اختلفت طرقهم
في تحصيله رايتهم جميعهم انما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم
فهذا بالاكل والشرب وهذا بالتجارة والكسب وهذا بالنكاح
وهذا بسماع الغنا والاصوات المطربة وهذا باللهو واللعب فقلت
هذا المطلوب مطلوب العقلا ولكن الطرق كلها غير موصلة اليه
بل لعل اكثرها انما يوصل الى ضده ولم ار في جميع هذه الطرق طريقا
موصلة الى الاقبال على الله وحده ومعاملته وحده وايثار مرضاته على
كل شي فان سالك هذه الطريق ان فاته حظه من الدنيا فقد
ظفر بالحظ العالي الذي لا فوت معه وان حصل للعبد حصل له كل شي

وان فاته فاته كل شى وان ظفر بحظه من الدنيا ناله على اهنا الوجوه
فليس للعبد انفع من هذه الطريق ولا اوصل منها الى لذته وبهجته وسعادته
وبالله التوفيق **فصل** والمحبوب قسمان محبوب لنفسه ومحبوب
لغيره والمحبوب لغيره لابد ان ينتهي الى المحبوب لنفسه دفعا للتسلسل
المحال وكل ما سوى المحبوب الحق فهو محبوب لغيره وليس شى يحب
لنفسه الا الله وحده وكل ما سواه مما يحب فانما محبته تبع لمحبة الرب
تعالى فمحبة ملائكته وانبيائه واوليائه فانها تبع لمحبته سبحانه وهي
من لوازم محبته فان محبة المحبوب توجب محبة ما يحبه وهذا موضع
يجب الاعتناء به فانه محل فرقان بين المحبة النافعة لغيره والتي لا تنفع
بل قد تضر فاعلم انه لا يحب لذاته الا من كماله من لوازم ذاته
والهيته وربوبيته وغناه من لوازم ذاته وما سواه فانما يبغض
ويكره لمنافاته محابه ومضادته لها وبغضه وكراهته بحسب قوة
هذه المنافاة وضعفها فما كان اشد منافاة لمحابه كان اشد كراهة
من الاعيان والاوصاف والافعال والارادات وغيرها فهذا ميزان
عادل يوزن به موافقة الرب ومخالفته وموالاته ومعاداته
فاذا راينا شخصا يحب ما يكرهه الرب تعالى ويكره ما يحبه علمنا
ان فيه من معاداته بحسب ذلك واذا راينا الشخص يحب ما يحبه

الرب ويكره ما يكرهه وكلما كان الشى احب الى الرب كان احب
اليه واثر عنده وكلما كان ابغض الى الرب كان ابغض اليه وابعد
منه علمنا ان فيه من موالاة الرب بحسب ذلك فتمسك بهذا الاصل
غاية التمسك في نفسك وفي غيرك فالولاية عبارة عن موافقة
الولي الحميد في محابه ومساخطه ليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تمزق
ولا رياضة والمحبوب لغيره **قسمان** ايضا **احدهما** ما يلتذ المحب بادراكه
وحصوله **والثاني** ما يتالم به ولكن يحتمله لافضائه الى محبوب كشرب
الدوا الكريه قال الله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله
يعلم وانتم لا تعلمون فاخبر سبحانه ان القتال مكروه لهم مع انه
خير لهم لافضائه الى اعظم محبوب وانفعه والنفوس تحب الراحة
والدعة والرفاهية وذلك شر لها لافضائه الى فوات هذا المحبوب
فالعاقل لا ينظر الى لذة المحبوب العاجل فيؤثرها والم المكروه
العاجل فيرغب عنه فان ذلك قد يكون شرا له بل قد يجلب عليه
غاية الالم ويفوته اعظم اللذة بل عقلا الدنيا يتحملون المشاق
المكروهة لما يعقبهم من اللذة بعدها وان كانت منقطعة فالا
مور اربعة مكروه يوصل الى مكروه ومكروه يوصل الى محبوب

ومحبوب يوصل الى محبوب ومكروه يوصل الى محبوب فالمحبوب
الموصل الى المحبوب قد اجتمع فيه داعي الفعل من وجهين والمكروه
الموصل الى المكروه قد اجتمع فيه داعي الترك من وجهين بقي القسمان
الاخران يتجاذبهما الداعيان وهما معترك الابتلا والامتحان فالنفس
تؤثر اقربهما جوارا منها وهو العاجل والعقل والايمان يؤثران
انفعهما وابقاهما والقلب بين الداعيين وهو الى هذه مرة والى
هذه مرة وها هنا محل الابتلا قدرا وشرعا فداعي العقل والايمان
ينادي كل وقت حي على الفلاح شعر عند الصباح يحمد القوم السرا
وفي الممات يحمد العبد التقى فان اشتد ظلام ليل المحنة وتحكم سلطان
الشهوة والارادة يقول يا نفس اصبري فما هي الا ساعة ثم تنقضي
ويذهب هذا كله ويزول فصل واذا كان الحب اصل كل عمل
من حق وباطل فاصل الاعمال الدينية حب الله ورسوله كما ان
اصل الاقوال الدينية تصديق الله ورسوله وكل ارادة تمنع كمال
الحب لله ورسوله وتزاحم هذه المحبة او شبهة تمنع كمال التصديق
فهي معارضة لاصل الايمان او مضعفة له فان قويت حتى عارضت
اصل الحب والتصديق كانت كفرا وشركا اكبر وان لم تعارضه
قدحت في كماله واثرت فيه ضعفا وفتورا في العزيمة والطلب وهي

تحجب

تحجب الواصل وتقطع الطالب وتنكس الراغب فلا تصح الموالاة الا
بالمعاداة كما قال تعالى عن امام الحنفا المحبين انه قال لقومه افرايتم
ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين
فلم يصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة الا بتحقيق هذه المعاداة
فانه لا ولا الا ببرا ولا ولا لله الا بالبرا من كل معبود سواه قال تعالى
قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم
انا برا منكم ومما تعبدون من دون الله وقال تعالى واذ قال ابراهيم
لابيه وقومه انني برا مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين
وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون اي جعل هذه الموالاة لله
والبراة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الانبيا
واتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة لا اله الا الله وهي التي ورثها
امام الحنفا جميع المخلوقات وعليها اسست الملة ونصبت القبلة
وجردت سيوف الجهاد وهي محض حق الله على جميع العباد وهي
الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من
عذاب القبر وعذاب النار وهي المنشور الذي لا يدخل احد الجنة
الا به والحبل الذي لا يصل الى الله من لم يتعلق بسببه وهي كلمة الا
سلام ومفتاح دار السلام وبها انقسم الناس الى شقي وسعيد ومقبول

وطرثيل وبها انفصلت دار الكفر من دار الايمان وتميزت دار النعيم
من دار الشقا والهوان وهي العمود الحامل للفرض والسنة ومن كان
اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وروح هذه الكلمة وسرها افراد
الرب جل ثناوه وتقدست اسماوه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا
اله غيره بالمحبة والاجلال والتعظيم والخوف والرجا وتوابع ذلك من
التوكل والانابة والرغبة والرهبة فلا يحب سواه وكلما يحب غيره
فانما يحب تبعا لمحبته وكونه وسيلة الى زيادة محبته ولا يخاف سواه
ولا يرجا سواه ولا يتوكل الا عليه ولا يرغب الا اليه ولا يرهب الا منه
ولا يحلف الا باسمه ولا ينذر الا له ولا يتاب الا اليه ولا يطاع الا امره
ولا يتحسب الا به ولا يستغاث في الشدايد الا به ولا يلتجا الا اليه ولا يسجد
الا له ولا يذبح الا له وباسمه ويجتمع ذلك كله في حرف واحد وهو ان
لا تعبد الا اياه بجميع انواع العبادة فهذا هو تحقيق شهادة ان لا
اله الا الله ولهذا حرم الله على النار من شهد ان لا اله الا الله حقيقة
الشهادة ومحال ان يدخل من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها
كما قال تعالى والذين هم بشهاداتهم قايمون فيكون قايما بشهادته في ظاهره
وباطنه في قلبه وقالبه فان من الناس من تكون شهادته ميتة ومنهم
من تكون نايمة اذا انبهت انتبهت ومنهم من تكون مضطجعة

ومنهم

ومنهم من تكون الى القيام اقرب وهي في القلب بمنزلة الروح في البدن
فروح ميتة وروح مريضة الى الموت اقرب وروح الى الحياة اقرب
وروح صحيحة قايمة بمصالح البدن وفي الحديث الصحيح عنه صلى
الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت الا وجدت روحه
لها روحا فحياة الروح بحياة هذه الكلمة فيها كما ان حياة البدن
بوجود الروح فيه وكما ان من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة
يتقلب فيها فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحه تتقلب في جنة
الماوى وعيشه اطيب عيش قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فالجنة ماواه يوم اللقا وجنة
المعرفة والمحبة والانس بالله والشوق الى لقايه والفرح به والرضا
به وعنه ماوى روحه في هذه الدار فمن كانت هذه الجنة ماواه هاهنا
كانت جنة الخلد ماواه يوم المعاد ومن حرم هذه الجنة فهو لتلك
اشد حرمانا والابرار في النعيم وان اشتد بهم العيش وضاقت عليهم
الدنيا والفجار في جحيم وان اتسعت عليهم الدنيا قال الله تعالى من
عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة واطيب
الحياة جنة الدنيا وقال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا

فاي نعيم اطيب من شرح الصدر واي عذاب امر من ضيق الصدر
وقال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين
امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة لا
تبديل لكلمات الله ذالك هو الفوز العظيم فالمومن المخلص لله من
اطيب الناس عيشا وانعمهم بالا واشرحهم صدرا واسرهم قلبا وهذه
جنة عاجلة قبل الجنة الاجلة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مررتم
برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر ومن هذا
قوله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومن
هذا قوله وقد سالوه عن وصاله في الصوم فقال اني لست كهيئتكم
اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني فاخبر صلى الله عليه وسلم انما يحصل له
من الغذا عند ربه يقوم مقام الطعام والشراب الحسي وانما يحصل له
من ذالك امر مختص به لا يشركه فيه غيره فاذا امسك عن الطعام والشراب
فله عنه عوض يقوم مقامه وينوب منابه ويغني عنه كما قيل شعر

لها احاديث من ذكراك يشغلها عن الشراب ويلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضي به ومن حديثك في اعقابها حادي
اذا اشتكت من كلال السير اوعدها روح اللقا فتحيا عند ميعاد

فصل وكل ما كان وجود الشي انفع للعبد وهو اليه احوج كان

تالمه

تالمه بفقده اشد وكلما كان عدمه انفع له كان تالمه بوجوده اشد
ولا شي على الاطلاق انفع للعبد من اقباله على الله واشتغاله بذكره
وتنعمه بحبه وايثاره لمرضاته بل لا حياة له ولا نعيم ولا سرور له
ولا بهجة الا بذالك فعدمه الم شي له واشده عذابا عليه وانما
تغيب الروح عن شهود هذا الالم والعذاب اشتغالها بغيره
واستغراقها في ذالك الغير فتغيب به عن شهود ما هي فيه من
الم الفوات بفراق احب شي اليها وانفعه لها وهذا بمنزلة السكران
المستغرق في سكره الذي احترقت داره واهله واولاده وهو
لاستغراقه في السكر لا يشعر بالم ذالك الفوت وحسرته حتى اذا
صحا وكشف عنه غطا السكر وانتبه من رقدة الخمر فهو اعلم بحاله
حينيذ وهكذا الحال سوا عند كشف الغطا ومعاينة طلايع الاخرة
والاشراف على مفارقة الدنيا والانتقال منها الى الله تعالى بل الحسرة
والالم والعذاب هناك اشد باضعاف مضاعفة فان المصاب في
الدنيا يرجو جبر مصيبته بالعوض ويعلم انه قد اصيب بشي زايل
لا بقا له فكيف بمن مصيبته بما لا عوض له عنه ولا بدل منه ولا نسبة
بينه وبين الدنيا جميعا فلو قضى الله سبحانه بالموت من هذه
الحسرة والالم لكان العبد جديرا به وان الموت ليفوت اعظم

امنيته واكبر حسراته هذا العذاب الاليم على مجرد الفوات فكيف
وهناك من العذاب على الروح والبدن بامور اخرى وجودية
ما لا يقدر قدره فتبارك من حمل هذا الخلق الضعيف هذين الالمين
العظيمين الذين لا تحملها الجبال الرواسي فاعرض الان على نفسك
اعظم محبوب لك في الدنيا بحيث لا تطيب لك الحياة الا معه فاصبح
وقد اخذ منك وحيل بينك وبينه احوج ما كنت اليه كيف يكون
حالك هذا ومنه كل عوض فكيف بمن لا عوض عنه شعر من كل
شي اذا ضيعته عوض وما من الله ان ضيعته عوض وفي اثر الهي
ابن ادم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب
ابن ادم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شي وان فتك فاتك
كل شي وانا احب اليك من كل شي فصل ولما كانت المحبة جنسا
تحته انواع متفاوتة في القدر والوصف كان اغلب ما يذكر فيها في حق
الله تعالى ما يختص به ويليق به من انواعها ولا يصلح الا له وحده مثل
العبادة والانابة ونحوهما فان العبادة لا تصلح الا له وحده وكذلك
الانابة وقد تذكر المحبة باسمها المطلق كقوله تعالى فسوف ياتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه وقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله واعظم انواع المحبة المذمومة

المحبة

المحبة مع الله التي يسوي المحب فيها بين محبته لله ومحبته للند الذي
اتخذه من دونه واعظم انواعها المحمودة محبة الله وحده ومحبة
ما احب وهذه المحبة هي اصل السعادة وراسها التي لا ينجو احد
من العذاب الا بها والمحبة المذمومة الشركية هي اصل الشقاوة
وراسها التي لا يبقى في العذاب الا اهلها فاهل المحبة الذين
احبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له لا يدخلون النار ومن
دخلها منهم بذنوبه فانه لا يبقى فيها منهم احد ومدار القران
على الامر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن المحبة الاخرى ولوازمها
والامثال والمقاييس للنوعين وذكر قصص النوعين وتفصيل اعمال
النوعين واوليائهم ومعبود كليهما واخباره عن فعله بالنوعين
وعن حال النوعين في الدور الثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ
ودار القرار فالقران في شان النوعين واصل دعوة جميع الرسل
من اولهم الى اخرهم انما هو عبادة الله وحده لا شريك له المتضمنة
لكمال حبه وكمال الخضوع والذل له والاجلال والتعظيم ولوازم
ذلك من الطاعة والتقوى وقد ثبت في الصحيحين من حديث
انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي
بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده

والناس اجمعين وفي صحيح البخاري ان عمر ابن الخطاب قال يا رسول الله
والله لانت احب الي من كل شي الا من نفسي فقال لا يا عمر حتى اكون
احب اليك من نفسك فقال فو الذي بعثك بالحق لانت احب الي من
نفسي فقال الان يا عمر فاذا كان هذا شان محبة عبده ورسوله
ووجوب تقديمها على محبة نفس الانسان وولده ووالده والناس
اجمعين فما الظن بمحبة مرسله سبحانه وتعالى ووجوب تقديمها
على محبة ما سواه ومحبة الرب تعالى تختص عن محبة غيره في
قدرها وصفتها وافراده سبحانه بها فان الواجب له من ذلك
ان يكون احب الى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره
ونفسه التي بين جنبيه فيكون الهه ومعبوده احب اليه من ذلك
كله والشي قد يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس
شي يحب لذاته من كل الا الله عز وجل ولا تصلح الالوهية الا له
ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا والتاله هو المحبة والطاعة
والخضوع **فصل** وكل حركة في العالم العلوي والسفلي فاصلها
المحبة فهي علتها الفاعلية والغائية وذلك لان الحركات ثلاثة
انواع حركة اختيارية ارادية وحركة طبيعية وحركة قسرية
والحركة الطبيعية اصلها السكون وانما يتحرك الجسم اذا خرج عن

مستقره

مستقره ومركزه الطبيعي فهو يتحرك للعود اليه وخروجه عن مركزه
ومستقره انما هو بتحريك القاسر المحرك له فله حركة قسرية بتحريكه
وقاسره وحركة طبيعية بذاته يطلب بها العود الى مركزه وكلا
حركتيه تابعة للقاسر المحرك فهو اصل الحركتين والحركة الاختيارية
الارادية هي اصل الحركتين الاخريين وهي تابعة للارادة والمحبة
فصارت الحركات الثلاثة تابعة للمحبة والارادة والدليل على
انحصار الحركات في هذه الثلاث ان المتحرك ان كان له شعور
بالحركة فهي الارادية وان لم يكن له شعور بها فاما ان يكون على
وفق طبعه اولا فالاولى هي الطبيعية والثانية القسرية اذا ثبت
هذا فما في السماوات والارض وما بينهما من حركات الافلاك والشمس
والقمر والنجوم والرياح والسحاب والمطر والنبات وحركات
الاجنة في بطون امهاتها فانما هي بواسطة الملائكة المدبرات امرا
والمقسمات امرا كما دل على ذلك نصوص الكتاب والسنة في غير موضع
والايمان بذلك من تمام الايمان بالملائكة فان الله وكل بالرحم
ملائكة وبالقطر ملائكة وبالنبات ملائكة وبالرياح وبالافلاك
والشمس والقمر والنجوم ووكل بكل عبد اربعة من الملائكة كاتبين
على يمينه وشماله وحافظين من بين يديه ومن خلفه ووكل ملائكة

بقبض روحه وتجهزها الى مستقرها من الجنة والنار وملائكة تسائله
وامتحانه في قبره وعذابه هناك او نعيمه وملائكة تسوقه الى المحشر
اذا قام من قبره وملائكة تعذبه في النار او نعيمه في الجنة ووكل
بالجبال ملائكة وبالسحاب ملائكة تسوقه حيث امرت به وبالقطر
ملائكة تنزله بامر الله بقدر معلوم كما شاء الله ووكل ملائكة بغرس
الجنة وعمل آلتها وفرشها ونبابها والقيام عليها وملائكة بالنار
كذلك فاعظم جند الله الملائكة ولفظ الملك يشعر بانه رسول
منفذ لامر غيره وليس لهم من الامر شيء بل الامر كله لله وهم يدبرون
الامر ويقسمونه بامر الله واذنه قال تعالى اخبارا عنهم وما نتنزل الا
بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا
وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد
ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى واقسم سبحانه بطوائف الملائكة المنفذين
لامره في الخليقة كما قال تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا
فالتاليات ذكرا وقال تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والنا
شرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا وقال تعالى والنازعات
غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات
امرا وقد ذكرنا معنى ذلك وسر الاقسام به في كتاب ايمان القران

واذا

واذا عرف ذلك فجميع تلك المحبات والحركات والارادات والافعال هي
عبادة منهم لرب الارض والسماوات وجميع الحركات الطبيعية
والقسرية تابعة لها فلولا الحب ما دارت الافلاك ولا تحركت الكوا
كب النيرات ولا هبت الرياح المسخرات ولا مرت السحب الحاملات
ولا تحركت الاجنة في بطون الامهات ولا انصدع عن الحب انواع
النبات ولا اضطربت امواج البحار الزاخرات ولا تحركت المدبرات
والمقسمات ولا سبحت بحمد فاطرها الارضون والسماوات وما فيهما من
انواع المخلوقات فسبحان من تسبح له السماوات السبع والارض
ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه
كان حليما غفورا **فصل** اذا عرف ذلك فكل حي له ارادة
ومحبة وعمل بحسبه وكل متحرك فاصل حركته المحبة والارادة
ولا صلاح للموجودات الا بان تكون حركاتها ومحبتها لفاطرها
وباريها وحده كما لا وجود لها الا بابداعه وحده ولهذا قال تعالى
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولم يقل سبحانه لما وجدتا ولكانتا
معطلتين ولا قال لعدمتا اذ هو سبحانه قادر على ان يبقيهما على وجه
الفساد لكن لا يمكن ان تكونا على وجه الصلاح والاستقامة الا بان
يكون الله وحده هو معبودهما ومعبود ما حوتاه وسكن فيهما فلو

كان للعالم الاهان لفسد نظامه غاية الفساد فان كل اله كان يطلب
مغالبة الاخر والعلو عليه وتفرده دونه بالالهية اذ الشركة نقص تنافي
كمال الالهية والاله لا يرضى لنفسه ان يكون الها ناقصا فان قهر احدهما
الاخر كان هو الاله وحده والمقهور ليس باله وان لم يقهر احدهما الاخر
لزم عجز كل منهما ونقصه ولم يكن تام الالهية فيجب ان يكون فوقهما
اله قاهر لهما حاكم عليهما والا كل منهما بما خلق وطلب كل منهما العلو
على الاخر وفي ذلك فساد السماوات والارض ومن فيهما كما هو المعهود
من فساد البلد اذا كان فيه ملكان متكافيان وفساد الزوجة
اذا كان لها بعلان والشول اذا كان فيه فحلان الشول هو المكان
الذي ياوي اليه الماشية واصل فساد العالم انما هو من اختلاف
الملوك والخلفا ولهذا لم يطمع اعدا الاسلام فيه في زمن الازمنة
الا في زمن تعدد ملوك المسلمين واختلافهم وانفراد كل منهم ببلاد
وطلب بعضهم العلو على بعض فصلاح السماوات والارض واستقامتها
وانتظام امر المخلوقات على اتم نظام من اظهر الادلة على انه لا اله الا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير وان
كل معبود من لدن عرشه الى قرار ارضه باطل الا وجهه الاعلى قال
تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما

خلق

خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة
فتعالى عما يشركون وقال تعالى ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله عما يصفون لا يسال عما
يفعل وهم يسالون وقال قل لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا
الى ذي العرش سبيلا فقيل المعنى لابتغوا السبيل اليه بالمغالبة والقهر
كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض ويدل عليه قوله في الاية الاخرى ولعلا
بعضهم على بعض قال شيخنا والصحيح ان المعنى لابتغوا اليه سبيلا بالتقرب
اليه وطاعته فكيف تعبدونهم من دونه وهم لو كانوا الهة كما
يقولون لكانوا عبيدا له ويدل على هذا وجوه احدها منها قوله
تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب
ويرجون رحمته ويخافون عذابه اي هؤلاء الذين تعبدونهم
من دوني هم عبادي كما انتم عبادي يرجون رحمتي ويخافون عذابي
فلما تعبدونهم من دوني الثاني انه سبحانه لم يقل لابتغوا عليه سبيلا
بل قال لابتغوا اليه سبيلا وهذا اللفظ انما يستعمل في التقرب كقوله
اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة واما في المغالبة فانما يستعمل بعلى كقوله
فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا الثالث انهم لم يقولوا ان الهتهم
تغالبه وتطلب العلو عليه وهو سبحانه قد قال قل لو كان معه الهة

كما تقولون وهم انما كانوا يقولون ان آلهتهم تبتغي التقرب اليه وتقربهم
زلفى اليه فقال لو كان الامر كما تقولون لكانت تلك الالهة عبيدا له فلما
ذا تعبدون عبيده من دونه **فصل** والمحبة لها آثار وتوابع ولوازم
واحكام سواء كانت محمودة او مذمومة نافعة او ضارة من الذوق
والوجد والحلاوة والشوق والانس والاتصال بالمحبوب والقرب منه
والانفصال عنه والبعد منه والصد والهجران والفرح والسرور
والبكاء والحزن وغير ذلك من احكامها ولوازمها والمحبة المحمودة
هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها ما ينفعه في دنياه وآخرته وهذه
المحبة هي عنوان سعادته والضارة هي تجلب لصاحبها ما يضره
في دنياه وآخرته وهي عنوان شقاوته ومعلوم ان الحي العاقل لا
يختار محبة ما يضره ويشقيه وانما ذلك يصدر عن جهل وظلم فان
النفس قد تهوى ما يضرها ولا ينفعها وذلك ظلم من الانسان لنفسه
اما بان تكون جاهلة بحال محبوبها بان تهوى الشيء وتحبه غير
عالمة بما في محبته من المضرة وهذا حال من اتبع هواه بغير علم واما
عالمة بما في محبته من المضرة لكن تؤثر هواها على علمها وقد تتركب
محبتها من امرين اعتقاد فاسد وهوى مذموم وهذا حال من اتبع
الظن وما تهوى الانفس فلا تقع المحبة الفاسدة الا من جهل او اعتقاد

فاسد

فاسد او هوى غالب او ما تركب من ذلك واعان بعضه بعضا
فتتفق شبهة يشتبه بها الحق بالباطل تزين له امر المحبوب
وشهوة تدعوه الى حصوله فيتساعد جيش الشبهة والشهوة على
جيش العقل والايمان والغلبة لاقواهما واذا عرف هذا فتوابع
كل نوع من انواع المحبة له حكم متبوعه فالمحبة النافعة المحمودة
التي هي عنوان سعادة العبد وتوابعها كلها نافعة له حكمها حكم
متبوعها فان بكى نفعه وان حزن نفعه وان فرح نفعه وان
انقبض نفعه وان انبسط نفعه فهو يتقلب في منازل المحبة واحكامها
في مزيد وربح وقوة والمحبة الضارة المذمومة توابعها وآثارها
كلها ضارة لصاحبها مبعدة له من ربه كيف ما تقلب في آثارها
ونزل في منازلها في خسارة وبعد وهذا شان كل فعل تولد عن
طاعة ومعصية وكلما تولد عن الطاعة فهو زيادة لصاحبه وقربه
وكل ما تولد عن معصية فهو خسران لصاحبه وبعد قال الله تعالى
ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا
يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب
لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة
صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله

احسن ما كانوا يعملون فاخبر سبحانه انه في الاية الاولى ان المتولد
عن طاعاتهم وافعالهم يكتب لهم به عمل صالح واخبر في الثانية ان
اعمالهم الصالحة التي باشروها يكتب لهم انفسها والفرق بينهما ان
الاول ليس من فعلهم وانما تولد عنه فكتب لهم به عمل صالح والثاني
نفس اعمالهم فكتبت لهم فليتامل لبيب المحبة هذا الفصل حق التامل
ليعلم ماله وما عليه سيعلم يوم العرض اي بضاعة اضاع وعند الوزن
ما كان حصلا: **فصل** وكما ان المحبة والارادة اصل كل فعل
كما تقدم فهي اصل كل دين سوا كان حقا او باطلا فان الدين هو
من الاعمال الباطنة والظاهرة والمحبة والارادة اصل ذلك كله
والدين هو الطاعة والعبادة والخلق هو الطاعة اللازمة الدائمة
التي صارت خلقا وعادة ولهذا فسر الخلق بالدين في قوله وانك لعلى
خلق عظيم قال الامام احمد عن ابن عيينة قال ابن عباس لعلى دين عظيم
وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت كان خلقه القران والدين فيه معنى الاذلال والقهر وفيه معنى
الذل والخضوع والطاعة فلذلك يكون من الاعلا الى الاسفل كما
يقال دنته فلان اي قهرته فذل قال الشاعر هو دان الرباب
اذ كرهوا فاصحوا بعزة وصيال: ويكون من الادنى للاعلا كما

دنت الله ودنت لله وفلان لا يدين الله دينا ولا يدين لله يدين فلان
الله اي اطاع الله واحبه وخافه ودان لله اي خشع له وخضع وذل
وانقاد والدين الباطن لا بد فيه من الحب والخضوع كالعبادة بخلاف
الدين الظاهر فانه لا يستلزم الحب وان كان فيه انقياد وذل في
الظاهر وسمى الله سبحانه يوم القيامة يوم الدين فانه اليوم الذي
يدين فيه الناس باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر وذلك يتضمن
جزاهم وحسابهم فلذلك فسر بيوم الجزا ويوم الحساب وقال تعالى فلولا
ان كنتم غير مدينين ترجعونها اي هلا تردون الروح الى مكانها ان
كنتم غير مربوبين ولا مقهورين ولا مجزيين وهذه الاية تحتاج الى
تفسير فانها سيقت للاحتجاج عليهم في انكارهم البعث والحساب ولا
بد ان يكون الدليل مستلزما للمدلول بحيث ينتقل الذهن منه الى المدلول
لما بينهما من التلازم وكل ملزوم دليل على لازمه ولا يجب العكس ووجه
الاستدلال انهم اذا انكروا البعث والجزا فقد كفروا بربهم وانكروا
قدرته وربوبيته وحكمته فاما ان يقروا بان لهم ربا قاهرا لهم متصرفا
فيهم كما يشا يميتهم اذا شا ويحييهم اذا شا ويامرهم وينهاهم ويثيب محسنهم
ويعاقب مسيئهم واما ان لا يقروا برب هذا شانه فان اقروا به امنوا
بالبعث والنشور والدين الامري والجزائي وان انكروه وكفروا

به فقد زعموا انهم غير مربوبين ولا محكوم عليهم ولا لهم رب متصرف فيهم
كما اراد فهلا يقدرون على دفع الموت عنهم اذا جاءهم وعلى رد الروح
الى مستقرها اذا بلغت الحلقوم وهذا خطاب للحاضرين عند المحتضر
وهم يعاينون موته اي فهلا يردون روحه الى مكانها ان كان لكم
قدرة وتصرف ولستم مربوبين ولا مقهورين لقاهر قادر يمضي عليكم
احكامه وتنفذ فيكم اوامره وهذا غاية التعجيز لهم اذ تبين عجزهم
عن رد نفس واحدة من مكان ولو اجتمع على ذلك الثقلان
فيا لها من اية دالة على ربوبيته سبحانه ووحدانيته وتصرفه في
عباده ونفوذ احكامه فيهم وجريانها عليهم والدين دينان دين
شرعي ودين امري حسابي جزائي وكلاهما لله وحده فالدين كله
لله امرا وجزاء والمحبة اصل كل واحد من الدينين فان ما شرعه سبحانه
وامر به فانه يحبه ويرضاه وما نهى عنه فانه يكرهه ويبغضه
لمنافاته لما يحبه ويرضاه فهو يحب ضده فعاد دينه الامري كله
الى محبته ورضاه ودين العبد لله به انما يقبل اذا كان عن محبته
ورضاه كما قال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا فهذا الدين قائم بالمحبة وبسببها شرع
ولاجلها وعليها اسس وكذلك دينه الجزائي فانه يتضمن مجازاة

المحسن

المحسن باحسانه والمسيء باساءته وكل من الامرين محبوب للرب فانهما
عدله وفضله وكلاهما من صفات كماله وهو سبحانه يحب اسماءه وصفاته
ويحب من يحبها وكل واحد من الدينين فهو صراطه المستقيم الذي هو
عليه سبحانه فهو على صراط مستقيم في امره ونهيه وثوابه وعقابه
كما قال تعالى اخبارا عن نبيه هود عليه السلام انه قال لقومه اني
اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا
ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ
بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ولما علم نبي الله ان ربه على صراط
مستقيم في خلقه وامره وثوابه وعقابه وقضائه وقدره ومنعه وعطائه
وعافيته وبلائه وتوفيقه وخذلانه لا يخرج في ذلك عن موجب كماله
المقدس الذي تقتضيه اسماؤه وصفاته من العدل والحكمة والرحمة
والاحسان والفضل ووضع الثواب في موضعه والعقوبة في موضعها
اللائق بها ووضع التوفيق والخذلان والعطاء والمنع والهداية والاضلال
كل ذلك في اماكنه ومحاله اللائقة به بحيث يستحق على كمال الحمد والثناء
اوجب له ذلك العلم والعرفان اذ نادى على رؤوس الملا من قومه بجنان
ثابت وقلب غير خائف بل متجرد لله اني اشهد الله واشهدوا اني بريء
مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي

وربكم ثم اخبر عن عموم قدرته وقهره لكل ما سواه وذل كل شي لعظمته
فقال ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فكيف
اخاف ما ناصيته بيد غيره وهو في قبضته وتحت قهره وسلطانه
دونه وهل هذا الا من اجهل الجهل واقبح الظلم ثم اخبر انه سبحانه على
صراط مستقيم في كل ما يقضيه ويقدره فلا يخاف العبد جوره ولا
ظلمه ولا اخاف ما دونه فان ناصيته بيده ولا اخاف جوره ولا ظلمه
فانه على صراط مستقيم فهو سبحانه ماض في عبده حكمه عدل فيه
قضاؤه له الملك وله الحمد لا يخرج تصرفه في عباده عن العدل والفضل
ان اعطى واكرم وهدى ووفق فبفضله ورحمته وان منع واهان
واضل وخذل واشقى فبعدله وحكمته وهو على صراط مستقيم في هذا
وهذا وفي **الحديث** الصحيح ما اصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال اللهم
اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل
في قضاؤك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك
او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل
القران ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي
الا اذهب الله همه وغمه وابدله مكانه فرجا وهذا يتناول حكم
الرب الكوني والامري وقضاه الذي يكون باختيار العبد وغير

اختياره فكلا الحكمين ماض في عبده وكلا القضائين عدل فيه
فهذا الحديث مشتق من هذه الاية بينهما اقرب نسب **فصل**
ولنختم الجواب بفصل يتعلق بعشق الصور وما فيه من المفاسد
العاجلة والاجلة وان كانت اضعاف ما يذكره ذاكر فانه يفسد
القلب بالذات واذا فسد فسدت الارادات والاقوال والاعمال
وفسد ثغر التوحيد كما تقدم وكما سنقرره ان شا الله تعالى والله
سبحانه انما حكى هذا المرض عن طايفتين من الناس وهما اللوطيه
والنسا فاخبر عن عشق امراة العزيز ليوسف وما راودته وكادته
به واخبر عن الحال التي صار اليها يوسف بصبره وعفته وتقواه
مع ان الذي ابتلي به امر لا يصبر عليه الا من صبره الله فان موافقة
الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع وكان الداعي ها هنا في غاية
القوة من وجوه **احدها** ما ركبها الله سبحانه في طبع الرجل من
ميله الى المراة كما يميل العطشان الى الما والجايع الى الطعام حتى ان
كثيرا من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النسا وهذا
لا يذم اذا صادف حلالا بل يحمد كما في كتاب الزهد للامام احمد من
حديث يوسف ابن عطية الصفار عن ثابت عن انس **عن** النبي صلى الله عليه وسلم
حبب الي من دنياكم النسا والطيب اصبر عن الطعام والشراب ولا

اصبر عنهن الثاني ان يوسف كان شابا وشهوة الشاب وحدته اقوى
الثالث انه كان عزبا ليس له زوجة ولا سرية تكسر شدة الشهوة الرابع
انه كان في بلاد غربة يتاتى للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتاتى له
في وطنه بين اهله ومعارفه الخامس ان المراة كانت ذات منصب
وجمال بحيث ان كل واحد من هذين الامرين يدعو الى مواقعتها السادس
انها غير ممتنعة ولا ابية فان كثيرا من الناس يزيل رغبته في المراة اباها
وامتناعها لما يجد في نفسه من ذل الخضوع والسؤال لها وكثير من
الناس يزيده الابا والامتناع ارادة وحبا كما قال الشاعر وزادني
كلفا في الحب ان منعت احب شي الى الانسان ما منعا فطباع الناس
مختلفة في ذلك فمنهم من يتضاعف حبه عند بذل المراة ورغبتها
ويضمحل عند ابايها وامتناعها واخبرني بعض القضاة ان ارادته وشهوته
تضمحل عند امتناع امراته او سريته وابايها بحيث لا يعاودها ومنهم
من يتضاعف حبه وارادته بالمنع فيشتد شوقه كلما منع ويحصل له
من اللذة بالظفر نظير ما يحصل من اللذة بالظفر بالضد بعد امتناعه
ونفاره واللذة بادراك المسالة بعد استصعابها وشدة الحرص على
ادراكها السابع انها طلبت وارادت وراودت وبذلت الجهد فكفته
مونة الطلب وذل الرغبة اليها بل كانت هي الراغبة الذليلة وهو

العزيز المرغوب اليه الثامن انه في دارها وتحت سلطانها وقهرها
بحيث يخشى ان لم يطاوعها من اذاها له فاجتمع داعي الرغبة والرهبة
التاسع انه لا يخشى ان تنم عليه هي ولا احد من جهتها فانها هي الطالبة
الراغبة وقد غلقت الابواب وغيبت الرقبا العاشر انه كان في
الظاهر مملوكا لها في الدار بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكر
عليه فكان الانس سابقا على الطلب وهو من اقوى الدواعي كما قيل
لامراة شريفة من اشراف العرب ما حملك على الزنا قالت قرب
الوساد وطول السواد تعني قرب وساد الرجل من وسادي وطول
السواد بيننا الحادي عشر انها استعانت عليه بايمة المكر والاحتيال
فارته اياهن وشكت حالها اليهن لتستعين بهن عليه فاستعان هو
بالله عليهن فقال والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين
الثاني عشر انها توعدته بالسجن والصغار وهذا نوع اكراه اذ
هو تهديد من يغلب على الظن وقوع ما هدد به فيجتمع داعي الشهوة
وداعي السلامة من ضيق السجن والصغار الثالث عشر ان الزوج لم
يظهر منه من الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما ويبعد كلا منهما عن
صاحبه بل كان غاية ما قابلها به ان قال ليوسف اعرض عن هذا
وللمراة استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وشدة الغيرة في

الرجل من اقوى الموانع وهذا لم يظهر منه غيره ومع هذه الدواعي
كلها فآثر مرضات الله وخوفه وحمله حبه لله على ان اختار السجن
على الزنا فقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه وعلم انه لا
يطيق صرف ذلك عن نفسه وان ربه تعالى ان لم يعصمه ويصرفه
عنه صبا اليهن بطبعه وكان من الجاهلين وهذا من كمال معرفته
بربه وبنفسه وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على
الف فائدة لعلنا ان وفق الله ان نفردها في مصنف مستقل **فصل**
والطايفة **الثانيه** الذين حكى عنهم العشق هم اللوطيه كما قال تعالى
وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هاؤلاي ضيفي فلا تفضحون
واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاي بناتي
ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فهذه عشقت حكاها
سبحانه عن طايفتين عشق كل منهما ما حرم عليه من الصور ولم يبال
بما في عشقه من الضرر وهذا داء اعيا الاطبا دواه وعز عليهم شفاوه
وهو لعمر الله الدا العضال والسم القتال الذي ما علق بقلب الا
وعز على الورى استنقاذه من اساره ولا اشتعلت ناره في مهجة
الا وصعب على الخلق تخليصها من ناره وهو اقسام فانه يكون
تاره كفرا كمن اتخذ معشوقه ندا يحبه كما يحب الله فكيف اذا كانت

محبته

محبته اعظم من محبة الله في قلبه فهذا العشق لا يغفر لصاحبه فانه
من اعظم الشرك والله لا يغفر ان يشرك به وانما يغفر بالتوبة الماحية
وعلامة هذا العشق الشركي الكفري ان يقدم العاشق رضى
معشوقه على رضى ربه واذا تعارض عنده حق معشوقه
وحظه وحق ربه وطاعته قدم حق معشوقه على حق ربه وآثر
رضاه على رضاه وبذل لمعشوقه انفس ما يقدر عليه وبذل لربه
ان بذل اردى ما عنده واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه
وطاعته والتقرب اليه وجعل لربه ان اطاعه الفضله التي تفضل
عن معشوقه من ساعاته فتامل حال اكثر عشاق الصور هل
تجدها مطابقة لذلك ثم ضع حالهم في كفة وتوحيدهم وايمانهم
في كفة وزن وزنا يرضى الله ورسوله ويطابق العدل وربما
صرح العاشق منهم بان وصل معشوقه احب اليه من توحيده
ربه **كما قال الفاسق الخبيث** يترشفن من فمي رشفات هن احلى فيه
من التوحيد ، وكما صرح الخبيث **الاخر** بان وصل معشوقه اشهى
اليه من رحمة ربه فعياذا بك اللهم من هذا الخذلان **فقال** وصلك
اشهى الى فوادي من رحمة الخالق الجليل ، ولا ريب ان هذا العشق
من اعظم الشرك وكثير من العشاق يصرح بانه لم يبق في قلبه موضع

لغير معشوقه البتة بل قد ملك معشوقه عليه قلبه كله فصار عبداً
محضاً من كل وجه لمعشوقه فقل رضى هذا من عبودية الخالق
جل جلاله بعبودية مخلوق مثله فان العبودية هي كمال الحب
والخضوع وهذا قد استفرغ قوة حبه وخضوعه وذله لمعشوقه
فقد اعطاه حقيقة العبودية ولا نسبة بين مفسدة هذا الامر
العظيم ومفسدة الفاحشة فان تلك ذنب كبير لفاعله حكم امثاله ومفسدة
هذا العشق مفسدة الشرك وكان بعض الشيوخ من العارفين
يقول لان ابتلى بالفاحشة مع تلك الصورة احب الي من ان ابتلى فيها
بعشق يتعبد لها قلبي ويشغله عن الله فصل ودوا اهل الداء
القتال ان يعرف ما ابتلى به من الدا المضاد للتوحيد اولاً ثم ياتي من
العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكرة فيه
ويكثر اللجا والتضرع الى الله سبحانه وتعالى في صرف ذلك عنه وان
يراجع بقلبه اليه وليس له دوى انفع من الاخلاص لله وهو الدوا الذي
ذكره الله في كتابه حيث قال كذلك لنصرف عنه السو والفحشا انه من
عبادنا المخلصين فاخبر سبحانه انه صرف عنه السو من العشق والفحشا
من الفعل باخلاصه فان القلب اذا خلص واخلص عمله لله لم يتمكن منه
عشق الصورة فانه انما يتمكن من قلب فارغ كما قال فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

وليعلم

وليعلم العاقل ان العقل والشرع يوجبان تحصيل المصالح وتكميلها
واعدام المفاسد وتقليلها فاذا عرض للعاقل امر يرى فيه مصلحة
ومفسدة وجب عليه امران امر علمي وامر عملي فالعلمي طلب معرفة
الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة فاذا تبين له الرجحان وجب عليه
ايثار الاصلح له ومن المعلوم انه ليس في عشق الصور مصلحة دينية ولا
دنيوية بل مفسدته الدينية والدنيوية اضعاف اضعاف ما يقدر
فيه من المصلحة وذلك من وجوه احدها الاشتغال بحب المخلوق
وذكره عن حب الرب تعالى وذكره فلا يجتمع في القلب هذا وهذا الا
ويقهر احدهما صاحبه ويكون السلطان والغلبة له الثاني عذاب قلبه
بمعشوقه فان من احب شيئاً غير الله عذب به ولا بد شعر فما في الارض
اشقا من محب وان وجد الهوى حلو المذاق ٠ تراه باكياً في كل
حين مخافة فرقة او لاشتياق ٠ فيبكي ان نأوا شوقاً اليهم ويبكي ان دنوا
خوف الفراق ٠ فتسخن عينه عند الفراق وتسخن عينه عند التلاق ٠
والعشق وان استعذبه العاشق فهو من اعظم عذاب القلب الثالث
ان العاشق قلبه اسير في قبضة معشوقه يسومه الهوان ولكن لسكرة
العشق لا يشعر بمصابه شعر فقلبه كعصفورة في يد طفل يسومها حياض
الردا والطفل يلهو ويلعب ٠ فعيش العاشق عيش الاسير الموثق وعيش

الخلي عيش المسيب المطلق **شعر** طليق براي العين وهو اسير عليل على قطب
الهلاك بل وزن ومن ميت يرى في صورة الحي غاديا وليس له حتى النشور نشور
اخو غمرات ضاع فيهن قلبه فليس له حتى الممات حضور **الرابع** انه يشغل
به عن مصالح دينه ودنياه فليس شي اضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق
الصور اما مصالح الدين فانها منوطه بلم شعث القلب واقباله على الله
تعالى وعشق الصور اعظم شي تشعيثا وتشتيتا له واما مصالح الدنيا فهي
تابعه في الحقيقه لمصالح الدين فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت
عليه فمصالح دنياه اضيع واضيع **الخامس** ان افات الدنيا والاخره
اسرع الى عشاق الصور من النار في يابس الحطب وسبب ذلك ان القلب
كلما قرب من العشق وقوي اتصاله به بعد من الله فابعد القلوب من الله
قلوب عشاق الصور واذا بعد القلب من الله طرقته الافات من كل
ناحيه فان الشيطان يتولاه ومن تولاه عدوه واستولى عليه لم ياله
وبالا ولم يدع اذا امكنه ايصاله اليه الا اوصله فما الظن بقلب تمكن منه
عدوه واحرص الخلق على غيه وفساده وبعد منه وليه ومن لا سعاده
له ولا فلاح ولا سرور الا بقربه وولايته **السادس** انه اذا تمكن من القلب
واستحكم وقوي سلطانه افسد الذهن واحدث الوسواس وربما التحق
صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها واخبار العشاق

في

في ذلك موجوده في مواضعها بل بعضها مشاهد بالعيان واشرف
ما في الانسان عقله وبه يتميز عن ساير الحيوانات فاذا عدم عقله
التحق بالحيوان البهيم بل ربما كان حال الحيوان اصلح من حاله وهل
اذهب عقل مجنون ليلى واضرابه الا العشق وربما زاد جنونه على
جنون غيره **كما قيل** قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق اعظم
مما بالمجانين العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وانما يصرع المجنون في
الحين **السابع** انه ربما افسد الحواس او بعضها اما فسادا معنويا او
صوريا اما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب فان القلب اذا
فسد فسدت العين والاذن واللسان فيرى القبيح حسنا منه ومن
معشوقه كما في المسند مرفوعا حبك الشي يعمي ويصم وهو يعمي عين القلب
عن رويه مساوي المحبوب وعيوبه فلا ترى العين ذلك ويصم اذنه
عن الاصغا الى العذل فيه فلا تسمع الاذن ذلك والرغبات تستر
العيوب فالراغب في الشي لا يرى عيوبه حتى اذا زالت رغبته فيه
ابصر عيوبه فشده الرغبه غشاوه على العين تمنع من رويه الشي على
ما هو به **كما قيل** هويتك اذ عيني عليها غشاوه فلما انجلت قطعت نفسي الومها
والداخل في الشي لا يرى عيوبه والخارج منه الذي لم يدخل فيه لا
يرى عيوبه ولا يرى عيوبه الا من دخل فيه ثم خرج منه ولهذا كان

في

الصحابة الذين دخلوا في الاسلام بعد الكفر خيرا من الذين ولدوا
في الاسلام قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انما ينقض عرى الاسلام
عروة عروة اذا ولد في الاسلام من لم يعرف الجاهلية واما افساده
للحواس ظاهرا فانه يمرض البدن وينهكه وربما ادى الى تلفه كما هو
معروف في اخبار من قتلهم العشق وقد رفع الى ابن عباس رضي الله
عنهما وهو بعرفة شاب قد انتحل حتى عاد لحما على عظم فقال ما شان
هذا قالوا به العشق فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق يومه
الثامن ان العشق كما تقدم هو الافراط في المحبة بحيث يستولي المعشوق
على قلب العاشق حتى لا يخلو من تخيله وذكره والفكر فيه بحيث
لا يغيب عن خاطره وذهنه فعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام
القوى الحيوانية والنفسانية فتتعطل تلك القوى فيحدث بتعطلها
من الافات على البدن والروح ما يعز دواه ويتعذر فتتغير افعاله
وصفاته ومقاصده ويختل جميع ذلك فيعجز البشر عن صلاحه كما
قيل شعر الحب اول ما يكون لجاجة تاتي به وتسوقه الاقدار ٭
حتى اذا خاض الفتى لجج الهوى جاءت امور لا تطاق كبار ٭
والعشق مباديه سهلة حلوه واوسطه هم وشغل قلب وسقم واخره
عطب وقتل ان لم تتداركه عناية من الله كما قيل عشقت حاليا فالحب اوله

عنا

عنا واوسطه سقم واخره قتل ٭ وقال الاخر تولع بالعشق حتى
عشق فلما استقل به لم يطق ٭ راى لجة ظنها موجة فلما تمكن منها
غرق ٭ والذنب له فهو الجاني على نفسه فقد تحت المثل السائر
يداك اوكتا وفوك نفخ فصل والعاشق له ثلاث مقامات
مقام ابتدا ومقام توسط ومقام انتها فاما مقام ابتدائه فالواجب
عليه فيه مدافعته بكل ما يقدر عليه اذا كان الوصول الى
معشوقه متعذرا قدرا او شرعا فان عجز عن ذلك وابى قلبه
الى السفر الى محبوبه وهذا مقام التوسط والانتها فعليه كتمان
ذلك وان لا يفشيه الى الخلق ولا يشبب بمحبوبه ويهتكه بين الناس
فيجمع بين الشرك والظلم فان الظلم في هذا الباب من اعظم انواع
الظلم وربما كان اعظم ضررا على المعشوق واهله في ماله فانه
يعرض المعشوق بتهتكه في عشقه الى وقوع الناس فيه وانقسامهم
الى مصدق ومكذب واكثر الناس يصدق في هذا الباب بادنى
شبهة واذا قيل فلان فعل بفلان او بفلانة كذبه واحد وصدقه
تسعماية وتسعة وتسعون وخبر الفاسق المتهتك عند الناس في
هذا الباب يفيد القطع اليقيني بل اذا اخبرهم المفعول به عن نفسه
كذبا وافترا على غيره جزموا بصدقه جزما لا يحتمل النقيض بل

لو جمعهما مكان واحد اتفاقا لجزموا ان ذلك عن وعد واتفاق بينهما
وجزمهم في هذا الباب على الظنون والتخيل والشبه والاوهام
والاخبار الكاذبة كجزمهم بالحسيات المشاهدة وبذلك وقع اهل
الافك في الطيبة المطيبة حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبراة
من فوق سبع سماوات بشبهة مجي صفوان ابن المعطل بها وحده خلف
العسكر حتى هلك من هلك ولولا ان تولى الله سبحانه براتها والذب
عنها وتكذيب قاذفها والا كان امرا اخر والمقصود ان في اظهار
المبتلى عشق من لا يحل له الاتصال به من ظلمه واذاه ما هو عدوان
عليه وعلى اهله وتعريض لتصديق كثير من الناس ظنونهم فيه فان
استعان عليه بمن يستميله اليه اما برغبة او رهبة تعدى الظلم
وانتشر وصار ذلك الواسطة ديوثا ظالما واذا كان النبي صلى الله
عليه وسلم قد لعن الرايش وهو الواسطة بين الراشي والمرتشي في
ايصال الرشوة فما الظن بالديوث الواسطة بين العاشق
والمعشوق في الوصلة المحرمة فيتساعد العاشق والديوث
على ظلم المعشوق وظلم غيره ممن يتوقف حصول غرضهما على ظلمه
في نفس او مال او عرض فانه كثيرا ما يتوقف المطلوب فيه على قتل
نفس تكون حياتها مانعة من غرضه فكم من قتيل طل دمه بهذا السبب

من زوج وسيد وقريب وكم خببت امراة على بعلها وجارية وعبد على
سيدهما وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك وتبرا
منه وهو من اكبر الكباير واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد
نهى ان يخطب الرجل على خطبة اخيه او يستام على سومه فكيف بمن يسعى
في التفريق بينه وبين امراته وامته حتى يتصل بهما وعشاق الصور
ومساعدوهم من الديثة لا يرون ذلك ذنبا فان طلب العاشق
وصل معشوقه ومشاركة الزوج والسيد ففي ذلك من ظلم الغير
ما لعله ان يقصر عن [اثم] ظلم الفاحشة ان لم يرب عليها ولا يسقط حق الغير
بالتوبة من الفاحشة فان التوبة وان اسقطت حق الله فحق العبد باق
له المطالبة به يوم القيامة فان ظلم الوالد فلذة كبده ومن هو اعز عليه
من نفسه وظلم الزوج بافساد حبيبته والجناية على فراشه اعظم من ظلمه
باخذ ماله كله ولهذا يوذيه ذلك اعظم مما يوذيه اخذ ماله ولا يعدل
ذلك عنده الا سفك دمه فيا له من ظلم اعظم اثما من ظلم الفاحشة فان
كان ذلك حقا لغاز في سبيل الله وقف له الجاني الفاعل يوم القيامة وقيل
له خذ من حسناته ما شئت كما اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فما ظنكم اي فما تظنون يبقى له من حسناته فان انضاف
الى ذلك ان يكون المظلوم جارا او ذا رحم تعدد الظلم وصار ظلما موكدا

بقطيعة الرحم واذى الجار ولا يدخل الجنة قاطع رحم ولا من لا يامن جاره بوائقه
فان استعان العاشق على وصال معشوقه بشياطين الجن اما بسحر او استخدام
ونحو ذلك ضم الى الشرك والظلم كفر السحر فان لم يفعله هو ورضي به كان
راضيا بالكفر غير كاره لحصول مقصوده به وهذا ليس ببعيد من الكفر
والمقصود ان التعاون في هذا الباب تعاون على الاثم والعدوان واما ما
يقترن بحصول غرض العاشق من الظلم المنتشر المتعدي ضرره فامر لا يخفى فانه
اذا حصل له مقصوده من المعشوق فللمعشوق اغراض اخر يريد من العاشق
اعانته عليها فلا بد من اعانته بدلا فيبقى كل منهما يعين الاخر على الظلم والعدوان
فالمعشوق يعين العاشق على ظلم من يتصل به من اهله واقاربه وسيده
وزوجه والعاشق يعين المعشوق على ظلم من يكون غرض المعشوق متوقفا
على ظلمه فكل منهما يعين الاخر على اغراضه التي يكون فيها ظلم الناس فيحصل
العدوان والظلم للناس بسبب تشاركهما في القبح لتعاونهما بذلك على الظلم
كما جرت العادة بين العشاق والمعشوقين من اعانة العاشق لمعشوقه
على ما فيه ظلم وبغي وعدوان حتى ربما يسعى له في منصب لا يليق به ولا يصلح
لمثله وفي تحصيل مال من غير حله وفي استطالته على غيره فاذا اختصم
معشوقه وغيره او تشاكيا لم يكن الا في جانب المعشوق ظالما كان
او مظلوما هذا الى ما ينضم الى ذلك من ظلم العاشق للناس بالتحيل على
اخذ

اخذ اموالهم والتوصل بها الى المعشوق بسرقة او غصب او خيانة او يمين
كاذبة او قطع طريق ونحو ذلك وربما ادى ذلك الى قتل النفس
التي حرمها الله ليأخذ ماله يتوصل به الى معشوقه فكل هذه الآفات
واضعافها واضعاف اضعافها تنشأ من عشق الصور وربما حمل على الكفر
الصريح وقد تنصر جماعة ممن نشأ في الاسلام بسبب العشق كما جرى لبعض
المؤذنين حين ابصر امرأة جميلة على سطح فافتتن بها فنزل ودخل عليها
وسألها نفسها فقالت هي نصرانية فان دخلت في ديني تزوجت بك
ففعل فرقى ذلك اليوم على درجة عندهم فمات ذكر هذا عبد الحق في
فسقط منها
كتاب العاقبة له واذا اراد النصارى ان ينصروا الاسير اروه
امرأة جميلة وامروها ان تطمعه في نفسها حتى اذا تمكن حبها من قلبه
بذلت له نفسها ان دخل في دينها فهنالك يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما
يشاء وفي العشق من ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه بمعاونته
له على الفاحشة وظلمه لنفسه فكل منهما ظالم لنفسه وصاحبه وظلمهما متعد
الى الغير كما تقدم واعظم من ذلك ظلمهما بالشرك فقد تضمن العشق انواع
الظلم كلها والمعشوق اذا لم يتق الله فانه يعرض العاشق للتلف وذلك
ظلم منه بان يطمعه في نفسه ويتزين له ويستميله بكل طريق حتى يستخرج

منه ماله ونفعه ولا يمكنه من نفسه لئلا يزول غرضه بقضا وطره منه فهو
يسومه سوء العذاب والعاشق ربما قتل معشوقه ليشفي نفسه منه ولاسيما
ان جاد بالوصال لغيره فكم للعشق من قتيل من الجانبين وكم قد ازال من
نعمة وافقر من غني واسقط من مرتبة وشتت من شمل وكم افسد من اهل
للرجل وولد فان المراة اذا ان بعلها عاشقا لغيرها اتخذت هي
معشوقا لنفسها فيصير الرجل مترددا بين خراب بيته بالطلاق وبين
القيادة فمن الناس من يوثر هذا ومنهم من يوثر هذا فعلى العاقل ان
لا يحكم على نفسه عشق الصور لئلا يوديه ذلك الى هذه المفاسد او
اكثرها او بعضها فمن فعل ذلك فهو المفرط بنفسه المغرر بها فاذا
هلكت فهو الذي اهلكها فلولا تكراره النظر الى وجه معشوقه
وطمعه في وصاله لم يتمكن عشقه من قلبه فان اول اسباب العشق الاستحسان
سوا تولد عن نظر او سماع فان لم يقارنه طمع في الوصال وقارنه الاياس
من ذلك لم يحدث له العشق فان اقترن به الطمع فصرفه عن فكره
ولم يشغل قلبه به لم يحدث له ذلك فان اطال مع ذلك الفكر في محاسن
المعشوق وقارنه خوف ما هو اكبر عنده من لذة وصاله اما خوف ديني
كدخول النار وغضب الجبار واحتقاب الاوزار وغلب هذا الخوف
على ذلك الطمع والفكر لم يحدث له العشق وان فاته هذا الخوف

فقارنه

تقارنه خوف دنيوي كخوف تلاف نفسه وماله وذهاب جاهه وسقوط
مرتبته عند الناس وسقوطه من عين من يعز عليه وغلب هذا الخوف لداعي
العشق دفعه وكذلك اذا خاف من فوات محبوب هو احب اليه وانفع
له من ذلك المعشوق وقدم محبته على محبة المعشوق اندفع عنه
العشق فان انتفى ذلك كله او غلبت محبة المعشوق لذلك انجذب
اليه القلب بكليته ومالت اليه النفس كل الميل فان قيل ذكرتم افات
العشق ومضاره ومفاسده فهلا ذكرتم منافعه وفوائده التي من
جملتها رقة الطبع وترويح النفس وخفتها وزوال ثقلها ورياضتها وحملها
على مكارم الاخلاق من الشجاعة والكرم والمروة ورقة الحاشية
ولطف الجانب وقد قيل ليحيى بن معاذ الرازي ان ابنك عشق فلانة
فقال الحمد لله الذي صيره الى طبع الادمي وقال بعضهم العشق داء افئدة
الكرام وقال غيره العشق لا يصلح الا لذي مروة ظاهرة وخليقة
طاهرة او لذي لسان فاضل واحسان كامل او لذي ادب بارع وحسب
ناصع وقال اخر العشق يشجع جنان الجبان ويصفي ذهن الغبي ويسخي
كف البخيل ويذل عزة الملوك ويسكن نوافر الاخلاق وهو انيس من
لا انيس له وجليس من لا جليس له وقال اخر العشق يزيل الاثقال ويلطف
الروح ويصفي كدر القلب ويوجب الارتياح لافعال الكرام كما قال

سيهلك في الدنيا شفيق عليكم اذا غاله من جانب الحب غايله
كريم مليت السر حتى كانه اذا استفهموه عن جل شي جاهله
يود بان تمشي سقيما لعلها اذا سمعت عنه بشكوى تراسله
ويهتز للعروف في طلب العلى لتحمد يوما عند ليلى شمايله
فالعشق يحل على مكارم الاخلاق وقال بعض الحكما العشق يروض النفس
ويهذب الاخلاق اظهاره طبعي واضماره تكلفي وقال اخر من لم تبتهج
نفسه بالصوت الشجي والوجه البهي فهو فاسد المزاج يحتاج الى العلاج
وانشد وافي ذلك شعر اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فانت وعير
في الفلاة سوي وقال اخر اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا
من جانب الصخر جلدا وقال اخر اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فقم واعتلف تبنا فانت حمار وقال اخر اذا انت لم تعشق ولم تدر
ما الهوى فما لك في طيب الحياة نصيب وقال بعض العشاق لولا
العفة والصيانة عفوا تشرفوا واعتفوا انظرفوا وقيل لبعض العشاق
ما كنت تصنع لو ظفرت بمن تهوي فقال امتع طرفي بوجهه واروح قلبي
بذكره وحديثه واستر منه ما لا يحب كشفه ولا اصير بقبح الفعل الى ما
ينقض عهده ثم انشد اخلوا به فاعف عنه تكرما خوف الديانة لست
من عشاقه كالما في يد صايم يلتذ ظما فيصبر عن لذيذ مذاقه وقال

اسحق ابن ابراهيم ارواح العشاق عطرة لطيفة وابدانهم رقيقة
خفيفة نزهتهم المواسنة وكلامهم يحيي موات القلوب ويزيل في العقول
ولولا العشق والهوي لبطل نعيم الدنيا وقال اخر العشق للارواح بمنزلة
الغذا للابدان ان تركته ضرك وان اكثرت منه قتلك وفي ذلك قيل
خليلي ان الحب فيه لذاذة وفيه شقا دايم وكروب على ذاك ما عيش
يطيب بغيره ولا عيش الا بالحبيب يطيب ولا خير في الدنيا بغير صبابة
ولا في نعيم ليس فيه حبيب وذكر الخرايطي عن ابي غسان قال مر ابو بكر
الصديق رضى الله عنه بجارية وهي تقول وهو بيته من قبل قطع
تمايم متمايسا مثل الغصن الناعم فسالها احرة انت ام مملوكة قالت
بل مملوكة فقال من هواك فتلكات فاقسم عليها فقالت وانا التي
لعب الهوى بفوادها فقتلت بحب محمد ابن القسم فاشتراها من مولاها
وبعث بها الى محمد ابن القسم ابن جعفر ابن ابي طالب رضى الله عنه
وقال هولا فتن الرجال وكم والله قد مات بهن كريم وعطب بهن سليم
وجات الى عثمان ابن عفان رضى الله عنه جارية تستعدي على رجل
من الانصار فقال لها عثمان ما قصتك فقالت كلفت يا امير المومنين بابن
اخيه فما انفك اراعيه فقال له عثمان اما ان تهبها لابن اخيك او
اعطيك ثمنها من مالي فقال اشهدك يا امير المومنين انها له وثمن

لا ننكر فساد العشق الذي متعلقه فعل الفاحشة بالمعشوق وانما الكلام
في العشق العفيف من الرجل الظريف الذي يابى له دينه وعفته ومروته
ان يفسد ما بينه وبين الله تعالى وما بينه وبين معشوقه بالحرام
وهل كعشق السلف الكرام والايمة الاعلام فهذا عبيد الله ابن عبد
الله ابن عتبة ابن مسعود احد الفقها السبعة عشق حتى اشتهر امره
ولم ينكر عليه وعد ظالما من لامه **ومن شعره** كتمت الهوى حتى اضر
بك الكتم ولامك اقوام ولومهم ظلم ،، فنم عليك الكاشحون
وقبلهم عليك الهوى قد نم لو نفع الكتم ،، فاصبحت كالنهدي اذا
مات حسرة على اثر هند او كمن شفه سقم ،، تجنبت اتيان الحبيب
تاثما الا ان هجران الحبيب هو الاثم ،، فذق هجرها قد كنت
تزعم انه رشاد الا يا ربما كذب الزعم ،، وهذا عمر ابن عبد
العزيز عشقه بجارية فاطمة بنت عبد الملك امراته مشهور وكانت
جارية بارعة الجمال وكان معجبا بها وكان يطلبها من امراته
وحرص على ان تهبها له فتابى ولم تزل الجارية في نفس عمر فلما استخلف
امرت فاطمة بالجارية فاصلحت وكانت مثلا في حسنها وجمالها
ثم دخلت على عمر وقالت يا امير المومنين انك كنت معجبا بجاريتي
فلانة وسالتنيها فابيت عليك والان فقد طابت نفسي لك بها فلما

قالت

قالت له ذلك استبان الفرح في وجهه وقال عجلي علي بها فلما ادخلتها
عليه ازداد بها عجبا وقال لها القي ثيابك ففعلت ثم قال لها على رسلك ،،
اخبريني لمن كنت ومن اين صرت لفاطمة فقالت اغرم الحجاج عاملا له بالكوفة
مالا وكنت في رقيق ذلك العامل فاخذني وبعث بي الى عبد الملك فوهبني
لفاطمة قال وما فعل ذلك العامل قالت هلك قال وهل ترك ولدا قالت نعم
قال فما حاله قالت سيئة فقال شدي عليك ثيابك واذهبي الى مكانك ثم
كتب الى عامله على العراق ان ابعث الي فلان ابن فلان على البريد فلما
قدم قال له ارفع الي جميع ما غرمه الحجاج لابيك فلم يرفع اليه شيا الا دفعه
اليه ثم امر بالجارية فدفعت اليه ثم قال له اياك واياها فلعل اباك كان
الم بها فقال الغلام هي لك يا امير المومنين قال لا حاجة لي بها قال فابتعها
مني قال لست اذا ممن نهى النفس عن الهوى فلما عزم الفتى على الانصراف
بها قالت اين وجدك بي يا امير المومنين قال على حاله ولقد زاد ولم تزل
الجارية في نفس عمر حتى مات رحمه الله وهذا ابو بكر محمد ابن داود الظا
هري العلم المشهور في فنون العلوم من الفقه والحديث والتفسير والادب
وله في الفقه وهو من كبار العلما وعشقه مشهور قال نفطويه دخلت عليه
في مرضه الذي مات فيه فقلت كيف تجدك فقال حب من تعلم اورثني ما
ترى فقلت ما منعك الاستماع به مع القدرة عليه فقال الاستماع على

وجهين احدهما النظر الى المباح والاخر اللذة المحظورة فاما النظر المباح فهو الذي
اورثني ما ترى واما اللذة المحظورة فمنعني منها ما حدثني ابي نا سويد ابن
سعيد نا علي ابن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس يرفعه
من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وادخله الجنة ثم انشد يقول شعر
انظر الى السحر يجري من لواحظه وانظر الى دعج في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه كانهن نمال دب في عاجي
ثم انشد ما لهم انكروا سوادا بخديه ثم لا ينكرون ورد القضيب
ان يكن عيب خده بدو الشعر فعيوب العيون شعر الجفون
فقلت له نفيت القياس في الفقه واثبته في الشعر فقال غلبة الوجد وملكة
النفس دعوا اليه ثم مات من ليلته وبسبب معشوقه صنف كتاب الزهره
ومن كلامه فيه من ياس ممن يهواه ولم يمت في وقته سلاه وذلك
ان اول روعات الياس تاتي القلب وهو غير مستعد لها فاما الثانيه
فتاتي القلب وقد وطاته لها الروعة الاولى والتقى هو وابو العباس ابن
سريج في مجلس ابي الحسن علي بن عيسى الوزير فتناظرا في مسلة من الايلاء
فقال له ابن سريج انت بان تقول من دامت لحظاته كثرت حسراته
احذق منك بالكلام على الفقه فقال فان كان ذلك فاني اقول
انزه في روض المحاسن مقلتي وامنع نفسي ان تنال محرما واحمل من ثقل

الهوى ما لو انه يصب على الصخر الاصم تهدما ويسطو طرفي عن
مترجم خاطري فلولا اختلاسي وده لتكلما رايت الهوى دعوى
من الناس كلهم فلست ارى ودا صحيحا مسلما فقال له ابو العباس
ابن سريج بم تفتخر علي ولو شئت قلت ومطاعم كالشهد في نغماته
قد بت امنعه لذيذ سناته صبا بحسنه وحل ثنيه وانزه اللحظات
في وجناته حتى اذا ما الصبح لاح عموده ولى بخاتم ربه وبراته
فقال ابو بكر يحفظ عليه الوزير ما اقر به حتى يقيم شاهدين على انه
ولى بخاتم ربه وبراته فقال ابن سريج يلزمني في هذا ما يلزمك في قولك
انزه في روض المحاسن مقلتي وامنع نفسي ان تنال محرما فضحك الوزير
وقال لقد جمعتما لطفا وظرفا ذكر ذلك ابو بكر الخطيب في تاريخه
وجاءته يوما فتيا مضمونها يا ابن داود يا فقيه العراق افتنا في قواتل
الاحداق هل عليها بما اتت من جناح ام حلال لها دم العشاق فكتب
الجواب بخطه تحت البيتين عندي جواب مسائل العشاق فاسمعه
من قرح الحشا مشتاق لما سالت عن الهوى هيجتني وارقت دمعا لم يكن
بمراق ان كان معشوق يعذب عاشقا كان المعذب انعم العشاق
قال صاحب كتاب منزل الاحباب شهاب الدين محمود ابن سلمان بن فهد
صاحب الانشا وقلت في جواب البيتين على وزنهما مجيبا للسائل قل لمن جا

سائلا عن لحاظ هن يلعبن في دم العشاق ، ما على السيف في الورى من
جناح ان تبيح الحل من دم مهراق ، وسيوف اللحاظ اولى بان تصفح عنها
جنت على العشاق ، انما كل من قتلن شهيد او لهذا ابقى ضنا وهو باق
ونظيره الكتنوي وردت على الشيخ ابي الخطاب محفوظ ابن احمد
الكلوذاني شيخ الحنابلة في وقته قل للامام ابي الخطاب مسالة جاءت
اليك وما خلق سواك لها ، ماذا على رجل رام الصلاة فمذ لاحت لخاطره
ذات الجمال لها ، فاجابه تحت سواله قل للاديب الذي وافى بمسالة
سرت فوادي لما ان اصخت لها ، ان الذي فتنته عن عبادته ،
خريدة ذات حسن فانثنى ولها ، ان تاب ثم قضى عنه عبادته فرحمة
الله تغشى من عصى ولها ، وقال عبد الله ابن معمر القيسي حججت سنة
ثم دخلت مسجد المدينة لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما
انا جالس ليلة بين القبر والمنبر اذ سمعت انينا فاصغيت اليه فاذا هو
يقول اشجاك نوح حمايم السدر ، فاهجن منك بلابل الصدر ،
ام عز نومك ذكر غانية ، اهدت اليك وساوس الفكر ،
يا ليلة طالت على دنف ، يشكو السهاد وقلة الصبر ،
اسلمت من يهوى لحر جوى ، متوقد كتوقد الجمر ، ه
فالبدر يشهد انني كلف ، مغرى بحب شبيهة البدر ،

ما كنت احسبني اهيم بها ، حتى بليت وكنت لا ادري ، ثم
انقطع الصوت فلم ادر من اين جا واذا به قد اعاد البكا والانين ثم
انشد اشجاك من ريا خيال زائر ، والليل مسود الذوايب عاكر ،
واعتاد مهجتك الهوى برسيسه ، واهتاج مقلتك الخيال الزائر ،
ناديت ريا والظلام كانه ، يم تلاطم فيه موج زاخر ،
والبدر يسري في السما كانه ، ملك ترجل والنجوم عساكر ،
وترى به الجوزى ترقص في الدجا ، رقص الحبيب علاه سكر ظاهر ،
يا ليل طلت على محب ما له ، الا الصباح مساعد ومؤازر ،
فاجابني مت حتف انفك واعلمن ، ان الهوى لهو الهوان الحاضر ،
قال وكنت قد ذهبت عند ابتدايه فلم يثبته الا وانا عنده فرايت شابا
مقتبلا شبابه قد خرق الدمع في خده خرقين فسلمت عليه فقال
اجلس من انت فقلت عبد الله ابن معمر القيسي قال الك حاجة قلت نعم
كنت جالسا في مجلس الروضة فما راعني الا صوتك فبنفسي افديك
فما الذي تجد فقال انا عتبة ابن الحباب ابن المنذر ابن الجموح الا
نصاري غدوت يوما الى مسجد الاحزاب فصليت فيه ثم اعتزلت
غير بعيد فاذا بنسوة قد اقبلن يتهادين مثل القطا وفي وسطهن
جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت علي وقالت يا عتبة ما

تقول في وصل من يطلب وصالك ثم تركتني وذهبت فلم اسمع لها خبرا ولا
نفوت لها اثرا وانا حيران انتقل من مكان الي مكان ثم صرخ والكب
مغشيا عليه ثم افاق كانما صبغت وجنتاه بورس ثم انشا يقول شعر

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة ... فيا هل تروني بالفؤاد على بعدي
فؤادي وطرفي ياسفان عليكم ... وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست الذ العيش حتى اراكم ... ولو كنت في الفردوس في جنة الخلد

فقلت يا ابن اخي تب الى ربك واستغفر من ذنبك فبين يديك هول
المطلع فقال ما انا بسال حتى يووب القارضان ولم ازل معه الى ان
طلع الصبح فقلت قم بنا الي مسجد الاحزاب فلعل الله ان يكشف
كربتك قال ارجوا ذلك ان شا الله ببركة طلعتك فذهبنا حتى
اتينا مسجد الاحزاب فسمعته يقول يا للرجال ليوم الاربعا اما
ينفك يحدث لي بعد النهى طربا ... ما ان يزال غزال منه يقلقني
ياتي الي مسجد الاحزاب منتقبا ... يخبر الناس ان الاجر همته وما
اتى لطالب الاجر محتسبا ... لو كان يبغي ثوابا ما اتى صلفا
مضمخا بفتيت المسك مختضبا ... ثم جلسنا حتى صلينا الظهر واذا بالنسوة
قد اقبلن وليست الجارية فيهن فوقفن عليه وقلن له يا عتبة ما ظنك
بطالبة وصلك وكاشفة بالك قال وما بالها قلن اخذها ابوها وارتحل

بها الي ارض السماوة فسالهن عن الجارية فقلن هي ريا ابنة
الغطريف السلمي فرفع عتبة اليهن راسه وقال شعر

خليلي ريا قد اجد بكورها ... وسارت الى ارض السماوة عيرها
خليلي اني قد عشيت من البكا ... فهل عند غيري مقلة استعيرها

فقلت له اني قد وردت بمال جزيل اريد به اهل الستر والله
لابذلنه امامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا فقم بنا الي مسجد
الانصار فقمنا وسرنا حتى اشرفنا على ملا منهم فسلمت عليهم فاحسنوا
الرد فقلت ايها الملا ما تقولون في عتبة وابيه قالوا من سادات
العرب قلت انه قد رمي بداهية من الهوي وما اريد منكم الا
المساعدة الي السماوة فقالوا سمعا وطاعة فركبنا وركب القوم
معنا حتى اشرفنا على منازل بني سليم فاعلم الغطريف بنا فخرج مبادرا
فاستقبلنا وقال حييتم بالاكرام فقلنا وانت فحياك الله انا لك اضيافا
فقال نزلتم اكرم منزل ثم نادي يا معشر العبيد انزلوا القوم ففرشت
الانطاع والنمارق وذبحت الذبايح فقلنا لسنا بذايقي طعامك
حتى تقضي حاجتنا فقال وما حاجتكم فقلنا نخطب عقيلتك الكريمة
لعتبة ابن الحباب ابن المنذر فقال ان التي تخطبونها امرها الى نفسها
وانا ادخل اخبرها ثم دخل مغضبا علي بنته فقالت يا ابت ما لي

ادي الغضب في وجهك فقال قد وردا الانصار يخطبونك مني قالت
سادة كرام استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبة منهم قال لعتبة
ابن الحباب قالت والله لقد سمعت عن عتبة هذا انه يفي بما وعد ويدرك
ما طلب واذا قصد فقال اقسمت لا زوجتك به ابدا ولقد نمي الي بعض
حديثك معه قالت ما كان ذالك ولكن اذا قسمت فان الانصار
لا يردون ردا قبيحا فاحسن لهم الرد فقال باي شي قالت اغلظ لهم المهر
فانهم يرجعون ولا يجيبون فقال ما احسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال
ان فتاة الحي قد اجابت ولكن اريد لها مهر مثلها فمن القايم به فقال عبد
الله ابن معمر انا فقل ما شئت فقال الف مثقال من الذهب ومائة
ثوب من الابراد وخمسة اكرشة عنبر فقال عبد الله لك ذالك فهل
اجبت قال اجل قال عبد الله فانفذت نفرا رجلا من الانصار الي المدينة
فاتوا بجميع ما طلب ثم صنعت الوليمة واقمنا على ذالك اياما ثم قال خذوا
فتاتكم وانصرفوا مصاحبين ثم حملها في هودج وجهزها بثلاثين راحلة
من المتاع والتحف فودعناه وسرنا حتى اذا بقي بيننا وبين المدينة
مرحلة واحدة خرجت علينا خيل تريد الغارة احسبها من سليم فحمل عليها
عتبة ابن الحباب فقتل منهم رجالا وجدل الاخرين ثم رجع وبه طعنة
تفور دما فسقط الى الارض واتتنا نجدة فطردت عنا الخيل وقد قضى
عتبه

عتبة نحبه فقلنا واعتباه فسمعتنا الجارية فالقت نفسها عن البعير
وجعلت تصيح بحرقة **وانشدت** تصبرت لا اني صبرت وانما اعلل
نفسي انها بك لاحقة ،، ولو انصفت نفسي لكانت الي الردى امامك من
دون البرية سابقة ،، فما احد بعدي وبعدك منصف خليلا ولا
نفس لنفس موافقة ،، ثم شهقت وقضت نحبها فاحتفرنا لهما قبرا واحدا
ودفناهما فيه ثم رجعت فاقمت سبع سنين ثم ذهبت الى الحجاز ووردت
المدينة فقلت والله لاتين قبر عتبة ازوره فاتيت القبر فاذا عليه شجرة
عليها عصايب حمر وصفر فقلت لارباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة
قالوا شجرة العروسين ولو لم يكن في العشق من الرخصة المخالفة ،،
للتشديد الا الحديث الوارد بالحسن من الاسانيد وهو حديث سويد
ابن سعيد عن علي ابن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس رض
يرفعه من عشق وعف وكتم فمات ــــ فهو شهيد ورواه سويد ايضا
عن ابن مسهر عن هشام عن عروة عن ابيه عن عايشة مرفوعا ورواه
الخطيب عن الازهري عن المعافي ابن زكريا عن قطبة ابن الفضل عن احمد
ابن مسروق عنه ورواه الزبير ابن بكار عن عبد العزيز الماجشون عن
عبد العزيز ابن ابي حازم عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس وهذا
سيد الاولين والاخرين ورسول رب العالمين نظر الى زينب بنت جحش

فقال سبحان مقلب القلوب وكانت تحت زيد ابن حارثة مولاه فلما
هم بطلاقها قال له اتق الله وامسك عليك زوجك فلما طلقها زوجها الله
سبحانه من رسوله من فوق سبع سماوات فكان هو وليها وولي تزوجها
من رسوله وعقد عقد نكاحها فوق عرشه وانزل على رسوله واذ تقول
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في
نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وهذا داود
نبي الله لما كان تحته تسع وتسعون امراة ثم احب تلك المراة فتزوجها
وكمل بها المائة وقال الزهري اول حب كان في الاسلام حب النبي صلى
الله عليه وسلم عائشة وكان مسروق يسميها حبيبة رسول رب العالمين
وقال انيس مولى عبد الله ابن عمرو ارسلني عبد الله ابن عمرو الى ام سلمة
اسالها كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل اهله وهو صائم فقالت لا
فقال ان عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها وهو صائم فقالت
ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا راى عائشة لا يتمالك عنها
وذكر سعيد ابن ابراهيم عن عامر ابن سعد عن ابيه قال كان ابراهيم الخليل عليه
السلام يزور هاجر في كل يوم من الشام على البراق من شغفه بها وقلة
صبره عنها وذكر الخرائطي ان عبد الله ابن عمر اشترى جارية رومية
فكان يحبها حبا شديدا فوقعت ذات يوم عن بغلة له فجعل يمسح التراب

عن

عن وجهها ويقبلها وكانت تكثر ان تقول له يا بطرون انت
قالون يعني يا مولاي انت جيد ثم انها هربت منه فوجد عليها
وجدا شديدا **وقال شعر** قد كنت احسبني قالون فانصرفت
فاليوم اعلم اني غير قالون ** وقال ابو محمد ابن حزم وقد احب
الخلفاء الراشدين والائمة المهديين كثير وقال رجل لعمر ابن الخطاب
يا امير المومنين رايت امراة فعشقتها فقال ذاك ما لا تملك فالجواب
وبالله التوفيق ان الكلام في هذا الباب لا بد فيه من التمييز
بين الواقع والجائز والنافع والضار ولا يستعجل عليه بالذم ولا الانكار
ولا بالمدح والقبول من حيث الجملة وانما يتبين حكمه وينكشف امره
بذكر متعلقه والا فالعشق من حيث هو لا يحمد ولا يذم ونحن نذكر
النافع من الحب والضار والجائز والحرام **اعلم** ان انفع المحبة على
الاطلاق واوجبها واعلاها واجلها محبة من جبلت القلوب على
محبته وفطرت الخليقة على تالهه وبها قامت الارض والسماوات
وعليها فطرت المخلوقات وهي سر شهادة ان لا اله الا الله فان
الاله هو الذي تالهه القلوب بالمحبة والاجلال والتعظيم والذل
والخضوع وتعبده والعبادة لا تصلح الا له وحده والعبادة هي
كمال الحب مع كمال الخضوع والذل والشرك في هذه العبودية من

الظلم الذي لا يغفره الله والله سبحانه وتعالى يحب لذاته من جميع
الوجوه وما سواه فانما يحب تبعا لمحبته وقد دل على وجوب محبته
سبحانه جميع كتبه المنزلة ودعوة جميع رسله وفطرته التي فطر عليها
عباده وما ركب من العقول وما اسبغ عليهم من النعم فان القلوب
مفطورة مجبولة على محبة من انعم عليها واحسن اليها فكيف من كل
الاحسان منه وما خلقه من نعمة فمنه وحده لا شريك له كما قال
تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون وما
تعرف به الي عباده من اسمائه الحسنى وصفاته العليا وما دلت عليه
اثار مصنوعاته من كماله وبهائه وجلاله وعظمته والمحبة لها داعيان
الجمال والاجمال كله منه فلا احق ان يحب والرب تعالى له الكمال
المطلق من ذلك فانه جميل يحب الجمال بل الجمال كله له والاجمال كله
منه فلا يستحق ان يحب لذاته من كل وجه سواه قال تعالى قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى يا ايها الذين امنوا
من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على
المومنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم انما وليكم
الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة

وهم

وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله
هم الغالبون والولاية اصلها الحب فلا موالاة الا بحب كما ان العداوة
اصلها البغض والله ولي الذين امنوا وهم اولياؤه فهم يوالونه بمحبتهم
له وهو يواليهم بمحبته لهم فالله يوالي عبده بحسب محبته له ولهذا
انكر سبحانه على من اتخذ من دونه اولياء بخلاف من والى اولياءه فانه
لم يتخذهم من دونه اولياء بل موالاته لهم من تمام موالاته وقد انكر
على من سوى بينه وبين غيره في المحبة واخبر ان من فعل ذلك
فقد اتخذ من دونه اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد
حبا لله واخبر عن من سوى بينه وبين الانداد في الحب انهم يقولون
في النار لمعبوديهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين
وبهذا التوحيد في الحب ارسل الله سبحانه جميع رسله وانزل جميع كتبه
واطبقت عليه دعوة الرسل من اولهم الي اخرهم ولاجله خلقت السماوات
والارض والجنة والنار فجعل الجنة لاهله والنار للمشركين به وقد اقسم
النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يومن عبد حتى يكون هو احب اليه من ولده
ووالده والناس اجمعين فكيف بمحبة الرب جل جلاله وقال لعمر ابن الخطاب
رضي الله عنه لا حتى اكون احب اليك من نفسك اي لا تومن حتى تصل
محبتك الي هذه الغاية واذا كان اولى بنا من انفسنا في المحبة

ولوازمها انفراد الرب جل جلاله وتقدست اسماؤه وتبارك اسمه وتعالى
جده ولا اله غيره اولى بمحبته وعبادته من انفسهم وكلما منه الى عبده
المؤمن يدعوه الى محبته مما يحب العبد او يكره فعطاؤه ومنعه
ومعافاته وابتلاؤه وقبضه وبسطه وعدله وفضله واماتته واحياؤه
ولطفه وبره ورحمته واحسانه وستره وعفوه وحلمه وصبره على
عبده واجابته لدعائه وكشف كربه واغاثة لهفته وتفريج كربته
من غير حاجة منه اليه بل مع غناه التام عنه من جميع الوجوه كل
ذلك داع للقلوب الى تألهه ومحبته بل تمكينه عبده من معصيته
واعانته عليها وستره حتى يقضي وطره منها وكلاءته وحراسته له وهو
يقضي وطره من معصيته يعينه ويستعين عليها بنعمه من اقوى الدواعي
الى محبته فلو ان مخلوقا فعل بمخلوق ادنى شيء من ذلك لم يملك قلبه
عن محبته فكيف لا يحب العبد بكل قلبه وجوارحه من يحسن اليه على
الدوام بعدد الانفاس مع اساءته فخيره اليه نازل وشره اليه صاعد
يتحبب اليه بنعمه وهو غني عنه والعبد يتبغض اليه بالمعاصي وهو فقير
اليه فلا احسانه وبره وانعامه عليه يصده عن معصيته ولا معصية
العبد ولؤمه يقطع احسان ربه عنه فالام اللوم تخلف القلوب عن
محبة من هذا شانه وتعلقها بمحبة سواه وايضا فكل من تحبه من الخلق

وكل من يحبك انما يريدك لنفسه وغرضه منك والله تعالى يريدك
لك كما في الاثر الالهي عبدي كل يريدك لنفسه وانا اريدك لك
فكيف لا يستحي العبد ان يكون ربه له بهذه المنزلة وهو معرض عنه
مشغول بحب غيره وقد استغرق قلبه محبته سواه وايضا فكل
من تعامله من الخلق ان لم يربح عليك لم يعاملك فلا بد له من نوع
من انواع الربح والرب تعالى انما يعاملك لتربح انت عليه اعظم
الربح واعلاه فالدرهم بعشرة امثاله الى سبعمائة ضعف الى اضعاف
كثيرة والسيئة بواحدة وهي اسرع شيء محوا وايضا فهو سبحانه خلقك
لنفسه وخلق كل شيء لك في الدنيا والاخرة فمن اولى منه باستفراغ
الوسع في محبته وبذل الجهد في مرضاته وايضا فمطالبك بل مطالب
الخلق كلهم جميعا لديه وهو اجود الاجودين واكرم الاكرمين اعطى عبده
قبل ان يسأله فوق ما يؤمله يشكر القليل من العمل وينميه ويغفر
الكثير من الزلل ويمحوه ويسأله من في السماوات والارض كل يوم هو
في شان لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه كثرة المسائل ولا يتبرم بالحاح
الملحين بل يحب الملحين في الدعاء ويحب ان يسأل ويغضب اذا لم يسأل
يستحيي من عبده حيث لا يستحيي العبد منه ويستره حيث لا يستر نفسه
ويرحمه حيث لا يرحم نفسه دعاه بنعمه واحسانه واياديه الى كرامته

ورضوانه فأبى فأرسل إليه رسله في طلبه وبعث إليه معهم عهده ثم نزل إليه
سبحانه بنفسه وقال من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له أدعوك
للوصل فتأبى أبعث رسولي في الطلب   أنزل إليك بنفسي ألقاك في النوم
وكيف لا تحب القلوب من لا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يذهب بالسيئات إلا
هو ولا يجيب الدعوات ويقيل العثرات ويغفر الخطيئات ويستر العورات
ويكشف الكربات ويغيث اللهفات وينيل الطلبات سواه فهو أحق من ذكر
وأحق من شكر وأحق من عبد وأحق من حمد وأنصر من ابتغي وأرأف من ملك
وأجود من سئل وأوسع من أعطى وأرحم من استرحم وأكرم من قصد وأعز
من التجأ إليه وأكفى من توكل عليه أرحم بعبده من الوالدة بولدها وأشد
فرحا بتوبة التائب من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض
المهلكة إذا يئس من الحياة ثم وجدها وهو الملك لا شريك له والفرد لا ند
له كل شيء هالك إلا وجهه لن يطاع إلا بإذنه ولن يعصى إلا بعلمه يطاع فيشكر
وبتوفيقه ونعمته أطيع ويعصى فيغفر ويعفو وحقه أضيع فهو أقرب شهيد
وأجل حفيظ وأوفى وفاء بالعهد وأعدل قائم بالقسط حال دون النفوس
وأخذ بالنواصي وكتب الآثار ونسخ الآجال فالقلوب له مفضية والسر عنده
علانية والغيب لديه شهادة مكشوف وكل أحد إليه ملهوف عنت الوجوه
لنور وجهه وعجزت العقول عن إدراك كنهه ودلت الفطر والأدلة كلها

على

على امتناع مثله وشبهه أشرقت لنور وجهه الظلمات واستنارت له الأرض
والسموات وصلحت عليه جميع المخلوقات لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض
القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل
حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه
فصل ما اعتاض باذل وجهه لسواه من عوض ولو ملك الوجود بأسره
وها هنا أمر عظيم يجب على اللبيب الاعتناء به وهو أن كمال اللذة والفرح
والسرور ونعيم القلب وابتهاج الروح تابع لأمرين أحدهما كمال المحبوب
في نفسه وجماله وأنه أولى بإيثار المحبة من كل ما سواه والأمر الثاني
كمال محبته واستفراغ الوسع في حبه وإيثار قربه والوصول إليه على
كل شيء وكل عاقل يعلم أن اللذة بحصول المحبوب بحسب قوة محبته
فكلما كانت المحبة أقوى كانت لذة المحب أكمل فلذة من اشتد ظمؤه
بإدراك الماء الزلال ومن اشتد جوعه بأكل الطعام الشهي ونظائر ذلك على
حسب شوقه وشدة إرادته ومحبته وإذا عرف هذا فاللذة والسرور والفرح
أمر مطلوب في نفسه بل هو مقصود كل حي وإذا كانت اللذة مطلوبة
لنفسها فهل تذم إذا أعقبت ألما أعظم منها أو منعت لذة خيرا وأجل منها
فكيف إذا أعقبت أعظم الحسرات وفوتت أعظم اللذات والمسرات
وتحمد إذا أعانت على لذة عظيمة دائمة مستقرة لا تنغيص فيها ولا نكد بوجه ما

وهي لذة الاخرة ونعيمها وطيب العيش فيها قال تعالى بل تؤثرون الحياة
الدنيا والاخرة خير وابقى وقال السحرة لفرعون لما امنوا اقض ما انت
قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا
عليه من السحر والله خير وابقى والله سبحانه خلق الخلق ليبليهم هذه اللذة
الدايمة في دار الخلد واما الدنيا فمنقطعة ولذاتها لا تصفو ابدا ولا
تدوم بخلاف الاخرة فان لذاتها دايمة ونعيمها خالص من كل كدر والم
وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين مع الخلود ابدا ولا تعلم نفس ما
اخفى الله لعباده فيها من قرة اعين بل فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر وهذا المعنى الذي قصده الناصح لقومه بقوله
يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الدنيا متاع وان الاخرة
هي دار القرار فاخبرهم ان الدنيا متاع يتمتع بها الى غيرها وان الاخرة
هي دار المستقر واذا عرف ان لذات الدنيا ونعيمها متاع ووسيلة الى لذات
الاخرة ولذلك خلقت الدنيا ولذاتها فكل لذة اعانت على لذة الاخرة
واوصلت اليها لم يذم تناولها بل يحمد بحسب ايصالها الى لذة الاخرة اذا
عرف هذا فاعظم نعيم الاخرة ولذاتها النظر الى وجه الرب جل جلاله
وسماع كلامه منه والقرب منه كما ثبت في الصحيح في حديث الرؤية فوالله
ما اعطاهم شيئا احب اليهم من النظر اليه وفي حديث اخر انه اذا تجلى لهم وراوه

نسوا

نسوا ما هم فيه من النعيم وفي النساى ومسند الامام احمد من حديث عمار ابن
ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعايه واسالك لذة النظر الى وجهك
والشوق الى لقايك وفي كتاب السنة لعبد الله ابن الامام احمد مرفوعا
كان الناس يوم القيامة لم يسمعوا القران اذا سمعوه من الرحمن
فكانهم لم يسمعوه قبل ذلك واذا عرف هذا فاعظم الاسباب التي تحصل هذه
اللذة هو اعظم لذات الدنيا على الاطلاق وهو لذة معرفته سبحانه ولذة
محبته فان ذلك هو جنة الدنيا ونعيمها العالي ونسبة لذاتها الفانية
اليه كتفلة في بحر فان الروح والقلب والبدن انما خلق لذلك فاطيب ما في
الدنيا معرفته ومحبته والذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته فمحبته
ومعرفته قرة العيون ولذة الارواح وبهجة القلوب ونعيم الدنيا
وسرورها بل لذات الدنيا القاطعة عن ذلك تنقلب آلاما وعذابا
ويبقى صاحبها في المعيشة الضنكى فليست الحياة الطيبة الا بالله وكان
بعض المحبين تمر به اوقات فيقول ان كان اهل الجنة في مثل هذا انهم
لفي عيش طيب وكان غيره يقول لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه
لجالدونا عليه بالسيوف واذا كان صاحب المحبة الباطلة التي هي عذاب
على قلب المحب يقول في حاله وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى ولا
خير فيمن لا يحب ويعشق ويقول الاخر فالدنيا متى لم يكن صاحب الدنيا

محب او حبيب ويقول الاخر ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها وانت وحيد مفرد
غير عاشق. ويقول الاخر اسكن الى سكن تلذ بحبه ذهب الزمان
وانت منفرد ويقول الاخر شكى المحبون الصبابة ليتني تحملت ما يلقون
من بينهم وحدي. فكانت لقلبي لذة الحب كلها فلم يلقها قبلي محب
ولا بعدي. فكيف بالمحبة التي هي حياة القلوب وغذا الارواح
وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة الا بها واذا فقدها القلب كان
المه اعظم من الم العين اذا فقدت نورها والاذن اذا فقدت سمعها
والانف اذا فقد شمه واللسان اذا فقد نطقه بل فساد القلب اذا خلا من
محبة فاطره وباريه والهه الحق اعظم من فساد البدن اذا خلا من
الروح وهذا امر لا يصدق به الا من فيه حياة وما لجرح بميت ايلام
والمقصود ان اعظم لذات الدنيا هو السبب الموصل الى اعظم لذة
في الاخرة ولذات الدنيا ثلاثة انواع فاعظمها واكملها ما اوصل الى لذة
الاخرة ويثاب الانسان على هذه اللذة اتم ثواب ولهذا كان المومن
يثاب على ما يقصد به وجه الله من اكله وشربه ولباسه ونكاحه وشفا
غيظه بقهر عدو الله وعدوه فكيف بلذة ايمانه ومعرفته بالله ومحبته
له وشوقه الى لقائه وطمعه في رؤية وجهه الكريم في جنات النعيم
النوع الثاني لذة تمنع لذة الاخرة وتعقب آلاما اعظم منها كلذة الذين

اتخذوا

اتخذوا من دون الله اوثانا مودة بينهم في الحياة الدنيا يحبونهم كحب
الله ويستمتعون بعضهم ببعض كما يقولون في الاخرة اذا لقوا ربهم ربنا
استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم
خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضا بما كانوا يكسبون ولذة اصحاب الفواحش والظلم والبغي في
الارض والعلو بغير الحق وهذه اللذات في الحقيقة انما هي استدراج
من الله لهم ليذيقهم بها اعظم الالام ويحرمهم بها اكمل اللذات بمنزلة
من قدم لغيره طعاما لذيذا مسموما يستدرجه به الى هلاكه **قال**
تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين
قال بعض السلف في تفسيرها كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة حتى اذا
فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين. وقال تعالى في اصحاب هذه اللذات
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا
يشعرون. وقال في حقهم فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وهذه اللذات
تنقلب آخرا آلاما من اعظم الالام **كما قيل** يا رب كانت في الحياة لاهلها
عذبا فصارت في الممات عذابا. النوع **الثالث** لذة لا تعقب لذة

في دار القرار ولا المآ ولا تمنع اصل لذة دار القرار وان منعت كمالها
وهذه اللذة المباحة التي لا يستعان بها على لذة الاخرة فهذه زمانها
يسير ليس لتمتع النفس بها قدر ولا بد ان يشغل عما هو خير وانفع منها وهذا
القسم هو الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كل لهو يلهو به الرجل
فهو باطل الا رميه بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته امراته فانهن من
الحق فما اعان على اللذة المطلوبة لذاتها فهو حق وما لم يعن عليها فهو
باطل **فصل** فهذا الحب لا ينكر ولا يذم بل هو احمد انواع الحب وكذلك
حب النبي صلى الله عليه وسلم وانما يعني المحبة الخاصة وهي التي تشغل قلب
المحب وفكره وذكره لمحبوبه والا فكل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله
لا يدخل في الاسلام الا بها والناس متفاوتون في درجات هذه المحبة
تفاوتا لا يحصيه الا الله فبين محبة الخليلين ومحبة غيرهما ما بينهما فهذه
المحبة التي تلطف وتخفف اثقال التكاليف وتسخي البخيل وتشجع
الجبان وتصفي الذهن وتروض النفس وتطيب الحياة على الحقيقة
لا محبة الصور المحرمة واذا بليت السرائر يوم اللقا كانت سريرة
صاحبها من خير سرائر العباد **كما قيل** سيبقى لكم في مضمر القلب
والحشا سريرة حب يوم تبلى السرائر وهذه المحبة التي تنور الوجه
وتشرح الصدر وتحيي القلب وكذلك محبة كلام الله فانه من علامة

محبة الله واذا اردت ان تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله
فانظر محبة القران من قلبك والتذاذك بسماعه اعظم من التذاذ
اصحاب الملاهي والغنا المطرب بسماعهم فانه من المعلوم ان من
احب محبوبا كان كلامه وحديثه احب شي اليه **كما قيل** ان
كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي اما تاملت ما فيه من لذيذ خطابي
وقال عثمان ابن عفان رضي الله عنه لو طهرت قلوبنا لما شبعت من
كلام الله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لعبد الله ابن مسعود اقرا علي
فقال اقرا عليك وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري
فاستفتح وقرا سورة النسا حتى اذا بلغ قوله فكيف اذا جينا من كل
امة بشهيد وجينا بك على هاولاي شهيدا قال حسبك فرفع راسه
فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان من البكا وكان الصحابة
اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرا وهم
يستمعون فلمحبي القران من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور
اضعاف ما لمحبي السماع الشيطاني فاذا رايت الرجل ذوقه ووجده
وطربه ونشوته في سماع الابيات دون سماع الايات وفي سماع الالحان
دون سماع القران وهو **كما قيل** تقرا عليك الختمة وانت جامد كالحجر

بيت من الشعر يشبب فيه بالنسوان ، فهل من اقوى الادلة على فراغ
قلبه من محبة الله وكلامه وتعلقه بمحبة سماع الشيطان والمعرو ويعتقد
انه على شي فمحبة الله وكلامه ورسوله اضعاف اضعاف ما ذكر
السائل من فوائد العشق ومنافعه بل لا حب على الحقيقة انفع منه وكل
حب سوى ذلك باطل ان لم يعن عليه ويسوق المحب اليه **فصل**
واما محبة النسوان فلا لوم على المحب فيها بل هي من كماله وقد امتن
الله سبحانه على عباده فقال ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون فجعل المراة سكنا للرجل يسكن قلبه اليها
وجعل بينهما خالص الحب وهو المودة المقترنة بالرحمة **قال**
تعالى عقيب ذكره ما احل لنا من النسا وما حرم منهن يريد الله ليبين
لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم
والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات
ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا
ذكر سفيان الثوري في تفسيره عن طاوس عن ابيه قال كان
اذا نظر الى النسا لم يصبر **وفي** الصحيح من حديث جابر عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه راى امراة فاتى زينب فقضى حاجته منها وقال

ان المراة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان
فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات اهله فان ذلك يرد ما في
نفسه وفي هذا الحديث عدة فوائد **منها** الارشاد الى التسلي عن
المطلوب بجنسه كما يقوم الطعام مقام الطعام والثوب مقام الثوب
ومنها الامر بمداواة الاعجاب بالمراة المورث لشهوتها بانفع الادوية
وهو قضى وطره من اهله وذلك ينقص شهوته لها وهذا كما ارشد
المتحابين الى النكاح كما في سنن ابن ماجة مرفوعا لم ير للمتحابين مثل
النكاح فنكاح المعشوقة هو دوا العشق الذي جعل الله دواه شرعا
وقد تداوى به داود عليه السلام ولم يرتكب نبي الله محرما
وانما تزوج المراة وضمها الى نسائه لمحبته لها وكانت توبته بحسب
منزلته عند الله وعلو مرتبته ولا يليق بنا المزيد على هذا واما قضية
زينب بنت جحش فزيد كان قد عزم على طلاقها ولم يوافقه وكان
يستشير النبي صلى الله عليه وسلم في فراقها وهو يامره بامساكها فعلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه يفارقها ولا بد فاخفى في نفسه ان يتزوجها
اذا فارقها زيد وخشي مقالة الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
تزوج زوجة ابنه فانه كان قد تبنى زيدا قبل النبوة والرب تعالى يريد
ان يشرع شرعا عاما فيه مصالح عباده فلما طلقها زيد وانقضت عدتها

منه ارسله اليها يخطبها لنفسه فجا زيد واستدبر الباب بظهره وغطت
في صدره لما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداها من وراء الباب
يا زينب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك فقالت حقا ما انا بصانعة
شيئا حتى اوامر ربي وقامت الى محرابها فصلت فتولى الله عز وجل نكاحها
من رسوله بنفسه وعقد النكاح له فوق عرشه وجا الوحي بذلك فلما
قضى زيد منها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم لوقته فدخل عليها فكانت
تفخر على نسا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وتقول انتن زوجكن اهاليكن
وزوجني الله من فوق سبع سموات فهذه قصة رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع زينب ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حبب اليه النساء
كما في الصحيح من انس عنه صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم النساء
والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة هذا لفظ الحديث لا ما يرويه
بعضهم حبب الي من دنياكم ثلاث زاد الامام احمد في كتاب الزهد في
هذا الحديث اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن وقد حسده
اعداء الله اليهود على ذلك فقالوا ما همه الا النكاح فرد الله سبحانه عن
رسوله ونافح عنه فقال ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله
فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما وهذا
ابراهيم خليل الله امام الحنفا كان عنده سارة اجمل نسا العالمين واحب

هاجر وتسراها وهذا داود عليه السلام كان عنده تسعة وتسعون
امراة فاحب تلك المراة وتزوج بها فكمل المائة وهذا سليمان ابنه كان
يطوف في الليلة على تسعين امراة وقد سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن احب الناس اليه فقال عائشة وقال عن خديجة اني رزقت
حبها فمحبة النسا من كمال الانسان قال ابن عباس خير هذه الامة اكثرها
نسا وقد ذكر الامام احمد ان عبد الله ابن عمر وقع في سهمه يوم جلولا جارية
كان عنقها ابريق فضة قال عبد الله فما صبرت ان قبلتها والناس ينظرون
وبهذا احتج الامام احمد على جواز الاستمتاع من المسبية قبل الاستبرا بغير
الوطي بخلاف الامة المشتراه والفرق بينهما انه لا يتوهم انفساخ الملك في
المسبية بخلاف المشتراه فقد ينفسخ فيها الملك فيكون مستمتعا بامة غيره
وقد شفع النبي صلى الله عليه وسلم للعاشق ان تواصله معشوقته بان تتزوج
به فابت وذلك في قصة مغيث وبريرة فانه راه يمشي خلفها بعد فراقها
ودموعه تجري على خديه فقال لها لو راجعتيه فقالت اتامرني يا رسول
الله قال لا انما اشفع فقالت لا حاجة لي به فقال لعمه يا عباس الا تعجب من
حب مغيث بريرة ومن بغضها له ولم ينكر عليه حبها وان كانت قد بانت
منه فان هذا ما لا يملكه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسوي بين نسائه في
القسم ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما لا املك يعني الحب وقد قال

تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا ولو حرصتم يعني في الحب والجماع
ولم يزل الخلفا الراشدون والروحا من الناس يشفعون في العشاق
الي معشوقهم الجايزه وصلهن كما تقدم من فعل ابي بكر وعثمان وكذلك
علي بن بغلام من العرب وجد في جدار قوم بالليل فقال له ما قصتك
قال لست بسارق ولكني اصدقك ثم قال شعر تعلقت في دار الرياحي
خودة يذل لها من حسن منظرها البدر . لها في بنات الروم حسن
ومنصب اذا افتخرت بالحسن خافتها الفخر . فلما طرقت الدار من حر
مهجة اتيت وفيها من توقدها الجمر . تبادر اهل الدار بي ثم صيحوا
هو اللص محتوما له القتل والاسر . فلما سمع علي رضي الله عنه شعره
رق له وقال للمهلب ابن رباح اسمح له بها فقال يا امير المومنين من هو
فقال النهاس ابن عيينة فقال خذها فهي لك واشترى معاوية جارية
فاعجب بها اعجابا شديدا فسمعها يوما تنشد ابياتا منها وفارقته
كالغصن يهتز في الثرى طربا وسيما بعد ما طرشا ربه . فسالها
فاخبرته انها تحب سيدها فردها اليه وفي قلبه منها وذكر الزمخشري
في ربيعة ان نبيلة قرات في طريق مكة على حايط شعرا اما في عباد
الله اوفي اماية كريم يجلي الهم عن ذاهب العقل . له مقلة اما الماقي
قريحة واما الحشا فالنار منه على رجلي . فقد ربّ ان تحال لقايلهما

ان

ان عرفته حتى تجمع بينه وبين من يحبه فبينما هي بالمزدلفة اذ
سمعت من ينشد البيتين فطلبته فزعم انه قالهما في ابنة عم له نذر اهلها
ان لا يزوجها منه فوجهت الي الحي وما زالت تبذل لهم المال حتى
زوجوها منه واذا المراة اعشق له منه لها فكانت تعده من اعظم
حسناتها وتقول ما انا بشي اسر مني من جمعي بين ذالك الفتا والفتاة
قال الخرايطي وكان لسليمان ابن عبد الملك غلام وجارية يتحابان
فكتب الغلام اليها يوما شعر ولقد رايتك في المنام كانما عاطيتني
من ريق فيك البارد . وكان كفك في يدي وكاننا بتنا جميعا
في فراش واحد . فطفقت يومي كله متراقد لاراك في نومي
ولست براقد . فاجابته الجاريه خيرا رايت وكلما ابصرته
ستناله مني برغم الحاسد . اني لارجو ان تكون معانقي فتبيت
مني فوق ثديي ناهد . واراك بين خلاخلي ودمالجي واراك فوق
ترايبي ومحاسد . فبلغ ذالك سليمان فانكحها الغلام واحسن
حالهما على فرط غيرته وقال جامع ابن مرجة سالت سعيد ابن المسيب مفتي
المدينة هل في حب دها من وزر فقال سعيد ابن المسيب انما تلام على
ما تستطيع من الامر فقال سعيد والله ما سالني احد عن هذا ولو سالني
ما كنت اجيب الا به تعشق النسا ثلاثة اقسام عشق هو قربة وطاعة وهو

عشق الرجل امراته وجاريته وهذا العشق عشق نافع فانه ادعى الي
المقاصد التي شرع الله لها النكاح واكف للبصر والقلب عن التطلع
الي غير اهله ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله وعند الناس وعشق
هو مقت من الله وبعد من رحمته وهو اضر شي على العبد في دينه ودنياه
وهو عشق المردان فما ابتلى به الا من سقط من عين الله وطرد عن بابه
وابعد قلبه وهو من اعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال بعض السلف
اذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان وهذه المحبة هي
التي جلبت على قوم لوط ما جلبت فما اتوا الا من هذا العشق قال تعالى لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون ودوا هذا الدا الدوي الاستعانة بمقلب
القلوب وصدق اللجا اليه والاشتغال بذكره والتعوض بحبه وقربه
والتفكر في الالم الذي يعقبه هذا العشق واللذة التي تفوته به
فيترتب عليه فوات اعظم محبوب وحصول اعظم مكروه فان اقدمت
نفسه على هذا واثرته فليكبر عليها تكبيرة على الجنازة وليعلم ان
البلا قد احاط به والقسم الثالث من العشق عشق مباح لا يملك كعشق
من وصفت له امراة جميلة وراها فجاة من غير قصد فاورثته ذلك
عشقا لها ولم يحدث ذلك العشق معصية فهذا لا يملك ولا يعاقب
عليه والانفع له مدافعته والاشتغال بما هو انفع له والواجب على هذا

ان

ان يكتم ويعف ويصبر على بلواه فيثيبه الله على ذلك ويعوضه على صبره
لله وعفته وتركه طاعة هواه وايثار مرضاة الله وما عنده فصل
والعشاق ثلاثة اقسام منهم من يعشق الجمال المطلق ومنهم من يعشق
الجمال المقيد سوا طمع بوصاله او لم يطمع ومنهم من لا يعشق الا من
يطمع في الوصول اليه وبين هذه الانواع تفاوت في القوة والضعف
فعاشق الجمال المطلق قلبه يهيم في كل واد وله في كل صورة جميلة
مراد يوما بحزوى ويوما بالعذيب ويوما بالعقيق ويوما بالخليصا
وتارة بنجد وتارة شعب العقيق وطورا قصر تيما فهذا عشقه
واسع ولكنه غير ثابت كثير التنقل يهيم بهذا ثم يعشق غيره ويتلاهم
من وقته حتى يصبح وعاشق الجمال المقيد اثبت على معشوقه وادوم
محبة له ومحبته اقوى من محبة الاول لاجتماعها في واحد ولقسم الاول
ولكن يضعفها عدم الطمع في الوصال وعاشق يطمع في الوصول
فهو اثبت العشاق واعرفهم ومحبته اقوى لان الطمع يمده ويقويه
فصل واما حديث من عشق فعف فهذا يرويه سويد ابن سعيد
فقد انكره حفاظ الاسلام عليه قال ابن عدي في كامله هذا الحديث
احد ما انكر على سويد وكذا ذكر البيهقي وابن طاهر في الذخيرة
والتذكرة وابو الفرج ابن الجوزي وعده في الموضوعات وانكره

ابو عبد الله الحاكم على تساهله وقال انا اتعجب منه قلت والصواب
في الحديث انه من كلام ابن عباس موقوفا عليه فغلط سويد في
رفعه قال محمد ابن خلف ابن المرزبان ثنا ابو بكر الازرق عن سويد
به فعاتبته على ذلك فاسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فكان بعد
ذلك يسال عنه فلا يرفعه ولا يشبه هذا كلام النبوة واما رواية
الخطيب له عن الازهري ثنا المعافا ابن زكريا ثنا قطبة ابن الفضل ثنا احمد
ابن محمود ابن مسروق ثنا سويد ثنا ابن مسهر عن هشام ابن عروة عن
عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها مرفوعا فهو من ابين الخطا ولا يحتمل
هشام عن ابيه عن عايشة مثل هذا عند من شم ادنى رايحة من الحديث
ونحن نشهد لله ان عايشة ما حدثت بهذا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قط ولا حدث به عنها عروة ولا حدث به عنه هشام واما
حديث ابن الماجشون عن عبد العزيز ابن ابي حازم عن ابن ابي نجيح
عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا فكذب على ابن الماجشون فانه
لم يحدث بهذا ولا حدث به عنه الزبير ابن بكار وانما هذا من تركيب
بعض الوضاعين ويا سبحان الله كيف يحتمل هذا الاسناد مثل هذا
المتن فقبح الله الوضاعين وقد ذكر ابو الفرج من حديث محمد ابن
جعفر ابن سهل ثنا يعقوب ابن عيسى من ولد عبد الرحمن ابن عوف عن

ابن

ابن ابي نجيح عن مجاهد مرفوعا وهذا اغلط واقبح فان محمد ابن جعفر هذا
هو الخرايطي توفي سنة سبع وعشرين وثلاثماية فمحال ان يدرك شيخه
يعقوب ابن ابي نجيح لا سيما وقد رواه في كتاب الاعتلال عن يعقوب
هذا عن الزبير عن عبد الملك ابن عبد العزيز عن ابن ابي نجيح والخرايطي
هذا مشهور بالضعف في الرواية ذكره ابو الفرج في كتاب الضعفاء
وكلام حفاظ الاسلام في انكار هذا الحديث هو الميزان واليهم يرجع
في هذا الشان وما صححه بل ولا حسنه احد منهم يعول في علم الحديث عليه
ولا من يرجع في التصحيح اليه ولا من عادته التساهل والتسامح فانه لم
نطب نفسه به ويكفي ان ابن طاهر الذي يتساهل في احاديث التصوف
ويروي منها الغث والسمين والمنخنقة والموقوذة قد انكره وشهد ببطلانه
نعم ابن عباس غير مستنكر ذلك عنه من قوله وقد ذكر ابو محمد ابن حزم عنه
انه سيل عن الميت عشقا فقال قتيل الهوى لا عقل ولا قود ورفع اليه بعرفات
شاب قد صار كالفرخ فقال ما شانه قالوا العشق فجعل عامة يومه
يستعيذ من العشق فهذا نفس من قال من عشق وعف وكتم ومات فهو شهيد
ومما يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم عد الشهدا في الحديث الصحيح
فذكر المقتول في الجهاد والمبطون والحرق والنفسا يقتلها ولدها والغرق
وصاحب ذات الجنب ولم يذكر منهم العاشق يقتله العشق وحسب قتيل

العشق ان يصح له هل الاثر عن ابن عباس من قوله ان صح على انه لم يدخل
تحته حتى يصبر لله ويعف لله ويكتم لله وهل الا بكون الا مع قدرته على
معشوقه وايثار محبة الله وخوفه ورضاه وهل من احق من دخل تحت
قوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي الماوى وتحت قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان والله سبحانه المستعان
وبه المستغاث وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله فنسال الله
العظيم رب العرش العظيم ان يجعلنا ممن اثر حبه على هواه وابتغا بذلك
قربه ورضاه بمنه وكرمه امين تمت الفتوى والدا والدوا الذي الفه
الشيخ شمس الدين محمد ابن ابي بكر ابن قيم الجوزية رحمه ورضي عنه
وكان الفراغ من كتابته نهار الاربعا يوم اربعة وعشرين من شهر ربيع
الاخر من شهور سنة ثمانية وعشرين وثمانمائة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد واله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل غفر الله لكاتبه ولقاريه
ولمن نظر فيه ولمن دعا لكاتبه بالتوبة والمغفرة ولجميع المسلمين امين والحمد لله رب العالمين
لمه موسى سليمان ابن اقبال التفتاوى عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين امين

كتبت وقد ايقنت يوم كتابته بان يدي تبلى ويبقى كتابها
ايا قاري الخط الذي قد كتبته تفكر في يدي وما قد اصابها
لقد كان يبكي القلب في كل ليلة ثمانون او تسعون نفسا وارجح

يهيم بهم انتم يا الف غيره وسلوهم من فوره حين يصبح
وكان فوادي خاليا قبل حبكم وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعى قلبي هواك اجابه فلست اراه عن جنابك يبرح
فان شيت واصلني وان شيت لا تصل فلست ارى قلبي لغيرك يصلح
حرمت مناي منك ان كنت كاذبا وان كنت في الدنيا بغيرك افرح
وان كان شي في البلاد باسرها اذا غبت عن عيني لعيني يملح
غيره قوم همو همهم بالله قد علقت فما لهم همة تسمو الى احد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
فما تنازعهم دنيا ولا شرف من المطاعم واللذات والولد
غيره من كان في ظلم الليالي ساهرا رصد النجوم واوقد المصباحا
حتى اذا ما البدر ارسل نوره ترك النجوم وراقب الاصباحا
حتى اذا انجاب الظلام باسره وراي الصباح باسره قد لاحا
ترك السارج والكواكب كلها والبدر وارتقب السنا الوضاحا
غيره يا غاديا في غفلة ورايحا الى متى تستحسن القبايحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا
واعجبا منك وانت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا

تم بحمد الله سبحانه وصلى الله على سيدنا محمد
واله وصحبه اجمعين

قال النبي عليه السلام سألت من الله تعالى عن القيامة
فقال عز وجل يا محمد بعد هجرتك في عشر ودعه لا يكون
المحبة بين الخلق ووقع الفتنة بينهم وفي عشرين ودعه
يكون جدالا وخصومة متصلا وفي ثلثين ودعه يمطر من السماء
البرد وكان كيفيته كالبيضة فهلك الزروع وينزل الطوفان
ويخرب البلاد من هذه المطر وفي اربعين ودعه لا يمطر بالمواقيت
فصار النساء في الاسواق كالبغال والحمير ويخرج محمد مهدي
صاحب الزمان ويجر حكمه شرقا وغربا وفي خمسين ودعه
لا تطلع الشمس ثلثة ايام ويسد باب التوبة فينادي من السماء
يا الفزع فهلك من الجن والانس وزالت الحمد من السماء
بهذه الصوت وفي ستين ودعه يخرج ياجوج وماجوج
ويشربون النيل ولا يبقى اثر الماء ويخرج دابة الارض
وفي سبعين ودعه رفع القرآن الى السماء وخرج الدجال
الملعون ينزل عيسى عليه السلام من السماء الى الارض
ويقتل الدجال وثمانين ودعه لا يبقى ماوراء ذلك يتمه الاتم
فاذا اراد دهم العلامات فاسبقه للقيامة

نقل من الطحاوي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المتفرد بصفات الجلال والجمال
المتعالي بعظمته وجل عن الاشباه والامثال الذي تعرف الى خلقه باسمائه
وصفاته فاقر بها الموحدون تصديقا وايمانا وانكرها الجاهلون بربهم
والجاحدون لعظمته تعطيلا وكفرانا اقرت بوحدانيته الموجودات
وشهدت بربوبيته جميع المخلوقات فالعقول والفطر مضطرة الى الاقرار
بانه مبدعها ومنشيها والنفوس مجبولة على الاعتراف بانه ربها ومالكها
ومميتها ومحييها فكيف تجد العقول السبيل الى انكار معطي الكمال وكل
كمال فهو مستفاد من كماله وكل وجه فهو عان وخاضع لعز جلاله
والحمد لله المحمود على السراء والضراء والشدة والرخاء والعافية والبلاء
المتوحد بالعظمة والعزة والجبروت والكبرياء والحمد لله الذي بخلقه تكونت
الاشياء ومنه واليه الابتداء والانتهاء الذي بمشيته تصرفت الدهور وعلى
ارادته تنقلب الامور ومنه التوفيق والتسديد وبه العصمة والتأييد
وهو المرجو والمستعان وبه الثقة وعليه التكلان والحمد لله الذي لا يبلغ
الواصفون كنه صفته ولا يحيط العارفون بحقيقة عظمته بل هو كما
وصف به نفسه وفوق ما يصفه به الواصفون ولا يحصي احد ثناء عليه
بل هو كما اثنى على نفسه وفوق ما يثني به عليه المثنون فهو العليم الذي
يعلم عدد القطر وامواج البحر وذرات الرمال وما تحت اطباق الجبال

فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماوات القدير الذي شمل
قدرته كل المقدورات الحكيم الذي شهدت بحكمته جميع المخلوقات
السميع الذي يسمع ضجيج الاصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات
فلا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين في
الدعوات البصير الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في
غياهب الظلمات الرحيم الذي هو ارحم بعباده من الاباء والامهات
التواب الذي يفرح بتوبة عبده اشد من فرح الواجد لراحلته التي
عليها طعامه وشرابه بعد ما فقدها في المفاوز المهلكات الحليم الذي
لا يعجل على العاصي بما يستحقه من العقوبات الاول الذي ليس قبله
قبله شي من المحدثات الاخر الذي ليس بعده شي من المبدعات
الظاهر الذي ليس فوقه شي بل هو العالي على جميع المخلوقات الباطن
الذي ليس دونه شي بل هو المحيط بكل شي من الكائنات الذي
استوى على عرشه المجيد يدبر الامر من السما الى الارض ثم يعرج اليه
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة من هذه الاوقات وارتفع
على خلقه فهو القاهر فوق عباده بالغلبة والذات والحمد لله الذي سهل
لعباده المتقين الى مرضاته سبيلا واوضح لهم طرق الهداية وجعل
اتباع الرسول عليها دليلا واتخذهم عبيدا له فاقروا له بالعبودية ولم

يتخذوا

يتخذوا من دونه وكيلا وكتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه
لما رضوا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا واقام في ازمنة الفترات
من يكون ببيان سنن المرسلين كفيلا واختص هذه الامة بانه لا يزال فيها
طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امره ولو اجتمع
الثقلان على حربهم قبيلا يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون منهم على
الاذى ويحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنوره اهل العمى فهم
احسن الناس هديا واقومهم قيلا فكم من قتيل لابليس قد احيوه ومن ضال
تائه لا يعلم طريق رشده قد هدوه ومن مبتدع في دين الله بشهب الحق
قد رموه جهادا في الله وابتغاء مرضاته وبيانا لحجته على العالمين وبيناته
وطلبا للزلفى لديه ونيل رضوانه وجنانه فحاربوا في الله من خرج عن دينه
القويم وصراطه المستقيم الذين عقدوا الوية البدعة واطلقوا اعنة
الفتنة اختلفوا في الكتاب وخالفوا الكتاب واتفقوا على مفارقة
الكتاب ونبذوه وراء ظهورهم وارتضوا غيره منه بدلا احمده وهو
المحمود على كل ما قدره وقضاه واستعينه استعانة من يعلم انه لا رب
له غيره ولا اله له سواه واستهديه سبيل الذين انعم عليهم ممن اختاره
لقبول الحق وارتضاه واشكره والشكر كفيل بالمزيد من عطاياه واستغفره
من الذنوب التي تحول بين القلب وبين هداه واعوذ بالله من شر نفسي

ومن سيأت عملي شعاذة عبد فار الى ربه بذنوبه وخطاياه واعتصم
به من الاهواء المردية والبدع المضلة فما خاب من اصبح به معتصما وبحماه
نزيلا واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الها واحدا فردا
صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا احاط بكل شي علما واحصى كل شي عددا
جل عن الشريك والنظير وتقدس عن الوزير والظهير وتعالى عن شبه الخلق
فليس كمثله شي وهو السميع البصير واشهد ان الحلال ما حلله والحرام
ما حرمه والدين ما شرعه وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله
يبعث من في القبور واشهد ان محمدا عبده المصطفى ونبيه المرتضى
ورسوله الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
ارسله رحمة للعالمين ومحجة للسالكين وحجة على الخلايق اجمعين ارسله على
حين فترة من الرسل فهدى به الى اقوم الطرق واوضح السبل وافترض
على العباد طاعته ومحبته وتعزيزه وتوقيره والقيام بحقوقه وسد اليه
جميع الطرق فلم يفتح لاحد الا من طريقه وشرح له صدره ووضع عنه وزره
ورفع له ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف امره ارسله حين غشيت
الارض ظلمات الشرك والعناد واستولى عليها ايمة الكفر وعساكر
الفساد وقد استبد كل قوم الجطلم آرايهم وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم
الفاسدة واهوايهم ارسله وقد استوجب اهل الارض ان يحل بساحتهم

العذاب

العذاب وقد نظر الله عز وجل اليهم فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل
الكتاب فاطلع الله شمس الرسالة في حنادس تلك الظلمات وكشف به عن
الامة غياهب الضلالات فهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وارشد
به من الغواية وبصر به من العمى وكثر به بعد القلة واعز به بعد الذلة
واغنى به بعد العيلة وفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فلم يزل
صلى الله عليه وسلم صادعا بامر الله لا يرده عنه راد مشمرا في ذات الله
داعيا الى الله لا يصده عن ذلك صاد الى ان اشرقت برسالته الارض
بعد ظلماتها وتالفت به القلوب بعد شتاتها وسارت دعوته مسير الشمس
في الاقطار وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار فلما اكمل الله به الدين واتم به
النعمة على عباده المومنين استاثر به ونقله الى الرفيق الاعلى من كرامته
والمحل الارفع الاسنى بفضله ومنته ففارق الامة وقد تركها على المحجة
البيضا التي لا يزيغ عنها الا من كان من الهالكين فصلى الله عليه وعلى اله الطيبين
الطاهرين صلاة دايمة بدوام السماوات والارض ورضي الله عن اصحابه
اجمعين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين تمت بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد

بسم الله الرحمن الرحيم قال ابو القسم الطبراني ثنا احمد
ابن الحسن المصري ثنا ابو عاصم ابن كعب القرظي عن ابي هريرة وحدثنا ابو
خليفة الفضل ابن الحباب بن محمد الجمحي قالا ثنا ابو عاصم ثنا اسمعيل بن رافع
ثنا اسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد المدني عن محمد

عن محمد ابن زكريا دعن محمد ابن كعب القرظي عن رجل من الانصار عن ابي هريره
رضي الله عنه قال سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طايفة من اصحابه
فقال ان الله عز وجل لما فرغ من خلق السماوات والارض خلق الصور فاعطاه
اسرافيل عليه السلام فهو واضعه على فيه شاخصا ببصره الي العرش ينتظر متى
يومر قال قلت يا رسول الله وما الصور قال القرن قلت كيف هو قال هو عظيم
والذي بعثني بالحق ان اعظم داره فيه لعرض السماوات والارض ينفخ فيه
ثلاث نفخات الاولي نفخة الفزع والثانيه نفخة الصعق والثالثه نفخة
القيام لرب العالمين يامر الله عز وجل اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول
انفخ نفخة الفزع فيفزع اهل السماوات والارض الا من شا الله فيامره
فيل بها ويطيلها ولا يفتر يقول الله عز وجل ما ينظرها ولاي الا صيحة
واحدة ما لها من فواق فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا
ثم ترتج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة المرقاه في البحر تضربها
الامواج تكفا باهلها كالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الرياح وهي التي
يقول عز وجل يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يوميذ واجفة
فيميل الناس على ظهرها وتذهل المرضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان
وتطير الشياطين هاربه من الفزع حتى تاتي الاقطار فتلقاها الملايكة
فتضرب وجوهها وترجع ويولي الناس مدبرين وهو قوله عز وجل ما لكم

من

من الله من عاصم ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله عز وجل يوم
التناد فبينماهم على ذالك اذا تصدعت الارض من قطر الى قطر ورا و
امرا عظيما لم يرو مثله واخذهم لذالك من الكرب والهول ما الله اعلم به
عليهم ثم ينظروا الي السما فاذا هي كالمهل ثم انشقت فانتثرت نجومها وانخسفت
شمسها وقمرها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والاموات لا يعلمون
بشي من ذالك قال ابو هريره قلت يا رسول الله من استثنى الله حين يقول
ففزع من في السماوات ومن في الارض الا من شا الله قال اوليك الشهداء
وانما يصل الفزع الي الاحيا وهم احيا عند ربهم يرزقون فرحين وقاهم
فزع ذلك اليوم وامنهم وهو عذاب يبعثه الله على شر خلقه وهو الذي
يقول يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم الي قوله ولكن
عذاب الله شديد فيكونون في ذالك البلا ما شا الا انه يطول ثم
يامر الله عز وجل اسرافيل بنفخة الصعق فينفخ نفخة الصعق فيصعق
اهل السماوات والارض الا من شا الله فاذا هم خامدون فجا ملك الموت
الي الجبار جل وعز فيقول يا رب قد مات اهل السماوات والارض الا من
شيت فيقول الله عز وجل وهو اعلم بمن بقي فمن بقي فيقول يا رب بقيت
انت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكاييل
وبقيت انا فيقول الله عز وجل فليمت جبريل وميكاييل فينطق الله عز

وجل العرش فيقول يا رب تموت جبريل وميكاييل فيقول اسكت فاني
كتبت الموت على من كان تحت عرشي فيموتان ثم ياتي ملك الموت الى الجبار
فيقول اي رب قد مات جبريل وميكاييل فيقول الله عز وجل وهو اعلم من
بقي فمن بقي فيقول يا رب بقيت انت الحي الذي لا تموت وبقي حملة عرشك
وبقيت انا فيقول الله عز وجل فليمت حملة عرشي فيموتون فيامر الله
عز وجل العرش فيقبض الصور من اسرافيل عليه السلام ثم ياتي ملك الموت
فيقول يا رب قد مات حملة عرشك فيقول الله عز وجل وهو اعلم من بقي
فمن بقي فيقول يا رب بقيت انت الحي الذي لا تموت وبقيت انا فيقول
الله عز وجل له انت خلق من خلقي خلقتك لما رايت فمت فيموت فاذا لم
يبق الا الله عز وجل الواحد الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد كان
اخرا كما كان اولا طوى السما والارض كطي السجل للكتاب ثم دحاهما
ثم تلقفهما ثلاث مرات ثم قال انا الجبار انا الجبار ثلاثا ثم هتف بصوته عز
وجل لمن الملك اليوم لمن الملك اليوم لمن الملك اليوم ثلاث مرات فلا يجيبه
احد ثم يقول لنفسه عز وجل لله الواحد القهار ثم تبدل الارض غير الارض
والسماوات فيبسطها ويسطحها ثم تمدهما مد الاديم العكاظي لا ترى فيها
عوجا ولا امتا ثم يزجر الله الخلق زجرة فاذا هم في هذه المبدلة في مثل
ما كانوا فيه من الاولى من كان في بطنها كان في بطنها ومن كان على

ظهرها

ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله عز وجل عليكم ماء من تحت العرش
ثم يامر الله عز وجل السما ان تمطر فتمطر اربعين يوما حتى يكون الماء فوقكم
اثني عشر ذراعا ثم يامر الله عز وجل الاجساد ان تنبت فتنبت كنبات
الطراثيث او كنبات البقل حتى اذا تكاملت اجسادهم فكانت كما كانت
قال الله عز وجل ليحيى حملة عرشي فيحيون ويامر الله عز وجل اسرافيل فياخذ
الصور فيضعه على فيه ثم يقول ليحيى جبريل وميكاييل فيحييان ثم
يدعو الله عز وجل الارواح فيؤتى بها تتوهج ارواح المسلمين نورا
وارواح الاخرين ظلمة فيقبضها جميعا ثم يلقيها في الصور ثم يامر
اسرافيل ان ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح
كانها النحل قد ملات ما بين السما والارض فيقول وعزتي وجلالي
ليرجعن كل روح الى جسده فتدخل الارواح في الارض الى الاجساد
فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الاجساد كما يمشي السم في اللديغ ثم تنشق
الارض عنكم وانا اول من تنشق الارض عنه فتخرجون منها سراعا
الى ربكم عز وجل تنسلون مهطعين الى الداعي يقول الكافرون هذا
يوم عسر حفاة عراة غرلا غلفا تقفون موقفا واحدا مقدار سبعين
عاما لا ينظر الله اليكم ولا يقضي بينكم فتبكون حتى تنقطع الدموع
ثم تدمعون دما وتعرقون حتى يبلغ ذالك منكم ان يلجمكم او يبلغ الاذقان

ويقولون من يشفع لنا الى ربنا عز وجل فيقضي بيننا فيقولون ومن احق
بذلك من ابيكم ادم عليه السلام خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه
وكلمه قبلا فياتون ادم عليه السلام فيطلبون ذلك اليه فيابى فيقول
ما انا بصاحبكم ذلكم ثم يستقرون الانبيا نبيا نبيا كلما جاوا نبيا ابى عليهم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ياتوني فانطلق الى الفحص فاخر
ساجدا قال ابو هريرة يا رسول الله وما الفحص قال قدام العرش حتى
يبعث الله عز وجل الي ملكا فياخذ بعضدي فيرفعني فيقول لي يا محمد
فاقول نعم يا رب فيقول ما شانك وهو اعلم فاقول يا رب وعدتني الشفاعة
فشفعني في خلقك فاقض بينهم قال قد شفعتك انا اتيكم اقضي بينكم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجع فاقف مع الناس فبينما نحن وقوف اذ
سمعنا حسا من السما شديدا فهالنا فنزل اهل السما الدنيا بمثل من في الارض
من الجن والانس حتى اذا دنوا من الارض اشرقت الارض بنورهم واخذوا
مصافهم وقلنا افيكم ربنا جل جلاله قالوا لا وهو ات ثم ينزل اهل السما الثانية
بمثلي من نزل من الملايكة وبمثلي من في الارض من الجن والانس حتى اذا
دنوا من الارض اشرقت الارض بنورهم واخذوا مصافهم وقلنا افيكم
ربنا عز وجل قالوا لا وهو ات ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف
حتى ينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملايكة ويحمل عرشه يوميذ

ثمانية وهم اليوم اربعة اقدامهم على تخوم الارض السفلى والارض
والسماوات الى حجزهم والعرش على مناكبهم لهم زجل من تسبيحهم يقولون
سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان
الحي الذي لا يموت سبحان الذي يميت الخلايق ولا يموت سبوح
قدوس قدوس قدوس سبحان ربنا الاعلى رب الملايكة والروح
سبحان ربنا الاعلى الذي يميت الخلايق ولا يموت فيضع الله عز
وجل كرسيه حيث يشا من ارضه ثم يهتف بصوته يا معشر الجن والانس
اني قد انصت لكم منذ يوم خلقتكم الى يومكم هذا اسمع قولكم وابصر
اعمالكم فانصتوا الي فانما هي اعمالكم وصحفكم تقرا عليكم فمن وجد خيرا
فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ثم يامر جهنم فيخرج
منها عنق ساطع ثم يقول الم اعهد اليكم يا بني ادم الا تعبدوا الشيطان
انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم الى قوله
عز وجل هذه جهنم التي كنتم توعدون اوبها تكذبون وامتازوا
اليوم ايها المجرمون فيميز الله الناس وتجثوا الامم يقول الله عز
وجل وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها فيقضي الله عز
وجل بين خلقه الا الثقلين الجن والانس فيقضي الله عز وجل بين
الوحش والبهايم حتى انه ليقضي للجما من ذات القرن فاذا فرغ الله

عز وجل من ذلك فلم يبق تبعة عند واحد لاخرى قال الله عز وجل
كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ثم يقضي الله
عز وجل بين العباد فيكون اول ما يقضي فيه الدما وياتي كل قتيل
في سبيل الله فيامر الله عز وجل كل من قتل عمدا فياتي يحمل راسه
تشخب اوداجه دما يقول يا رب فيم قتلني هذا فيقول وهو اعلم لم
قتلته فيقول رب قتلته لتكون العزة لك فيقول الله له صدقت
فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس ثم تمر به الملايكة الى الجنة وياتي
كل من قتل على غير ذلك يحمل راسه تشخب اوداجه دما فيقول يا
رب قتلني هذا فيقول وهو اعلم لم قتلته فيقول يا رب قتلته لتكون
العزة لي فيقول تعست ثم لا تبقى نفس قتلها الا قتل بها ولا مظلمة ظلمها الا
اخذ بها وكان في مشية الله عز وجل ان شا عذبه وان شا رحمه
ثم يقضي الله عز وجل بين من بقي من خلقه حتى لا يبقى مظلمة لاحد عند احد
الا اخذها للمظلوم من الظالم ثم انه ليكلف شايب اللبن بالما ثم يتبعه
ان يخلص اللبن من الما فاذا فرغ الله عز وجل من ذلك نادى منادٍ
يسمع الخلايق كلهم الا ليلحق كل قوم بالهتهم وما كانوا يعبدون من
دون الله فلا يبقى احد عبد من دون الله شيا الا مثلت له الهته
بين يديه ويجعل يوميذ ملك من الملايكة على صورة عزير ويجعل

الله ملك من الملايكة على صورة عيسى ابن مريم ثم يتبع هذا اليهود
وهذا النصارى ثم قادتهم الهتهم الى النار وهو الذي يقول عز وجل
لو كان هاولاي الهة ما وردوها وكل فيها خالدون فاذا لم يبق الا
المومنون فيهم المنافقون جاهم الله عز وجل فيما شا من هيبته فقال
يا ايها ذهب الناس فالحقوا بالهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله
ما لنا اله الا الله وما كنا نعبد غيره فيكشف عن ساقه عز وجل ويتجلى
لهم من عظمته ما يعرفون انه ربهم عز وجل فيخرون سجدا على وجوههم
ويخر كل منافق على قفاه ويجعل الله اصلاب المنافقين كصياصي البقر
ثم ياذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهراني جهنم
كدق او كعقد الشعرة او كحد السيف عليه كلاليب وخطاطيف وك
كحسك السعدان دونه جسر دحض مزلة فيمرون كطرف العين
او كلمع البرق او كمر الريح او كجياد الخيل او كجياد الركاب او
كجياد الرجال فناج سالم وناج مخدوش ومكدوس على وجهه في جهنم
فاذا افضى اهل الجنة الى الجنة قالوا من يشفع لنا الى ربنا فندخل الجنة
فيقال من احق بذلك من ابيكم ادم عليه السلام خلقه الله بيده ونفخ فيه
من روحه وكلمه قبلا فياتون ادم عليه السلام فيطلب ذلك اليه فيذكر
ذنبه ويقول ما انا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فانه اول رسل

الله فيوتي نوح عليه السلام فيطلب ذالك اليه فيذكر ذنبه ويقول ما انا
بصاحب ذالك ويقول عليكم بابراهيم عليه السلام فان الله عز وجل اتخذه
خليلا فيوتي ابراهيم عليه السلام فيطلب ذالك اليه فيذكر ذنبه ويقول
ما انا بصاحب ذالك ولكن عليكم بموسى صلى الله عليه وسلم فان الله عز
وجل قربه نجيا وكلمه وانزل عليه التورية فيوتي موسى فيطلب
ذالك اليه فيذكر ذنبه ويقول لست بصاحب ذالك ولكن عليكم
بروح الله عز وجل وكلمته عيسى ابن مريم فيوتي عيسى عليه السلام فيطلب
ذالك اليه فيقول ما انا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فياتوني ولي عند ربي ثلاث شفاعات وعدنيهن فانطلق
فاتي الجنة فاخذ بحلقة الباب فاستفتح فيفتح لي فاحيا ويرحب بي فاذا
دخلت الجنة فنظرت الى ربي عز وجل خررت ساجدا فياذن الله
عز وجل لي من حمده وتمجيده بشي ما اذن به لاحد من خلقه ثم يقول
يا محمد اشفع تشفع وسل تعطه فاذا رفعت راسي يقول الله عز وجل وهو
اعلم ما شانك فاقول يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في اهل الجنة
فيدخلون الجنة فيقول الله عز وجل قد شفعتك وقد اذنت لهم في
دخول الجنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي بعثني
بالحق ما انتم في الدنيا باعرف بازواجكم ومساكنكم من اهل الجنة بازواجهم

ومساكنهم

ومساكنهم فيدخل كل رجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشي الله
عز وجل وثنتين ادميتين من ولد ادم لهما فضل على من انشا الله عز وجل
بعبادتهما في الدنيا فيدخل على الاولى في غرفة من ياقوتة على سرير من
ذهب مكلل باللؤلؤ عليها سبعون زوجا من سندس واستبرق ثم انه
يضع يده بين كتفيها ثم ينظر الى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها
ولحمها وانه ينظر الى مخ ساقها كما ينظر احدكم الى السلك في قصبة الياقوت
كبده لها مراة وكبدها له مراة فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله ما
ياتيها مرة الا وجدها عذرا ما يفتر ذكره وما يشتكي قبلها فبينما هم كذالك
اذ نودوا انا قد عرفنا انك لا تمل ولا تمل الا انه لا مني ولا منية الا
ان لك ازواجا غيرها فيخرج فياتيهن واحدة واحدة كلما جا واحدة
قالت له والله ما ارى في الجنة شيا احسن منك ولا في الجنة شي احب
الي منك واذا وقع اهل النار وقع فيها خلق من خلق ربك اوبقتهم
اعمالهم فمنهم من تاخذ قدميه لا تجاوز ذالك ومنهم من تاخذه الى
نصف ساقيه ومنهم من تاخذه الى ركبتيه ومنهم من تاخذه الى
حقويه ومنهم من تاخذ جسده كله الا وجهه حرم الله عز وجل
صورته عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقول يا رب شفعني
فيمن وقع في النار من امتي فيقول الله عز وجل اخرجوا من عرفتم

فيخرج اولئك حتى لا يبقى منهم احد ثم ياذن الله عز وجل فلا يبقى نبي ولا
شهيد الا شفع فيقول الله عز وجل اخرجوا من وجدتم في قلبه زنة
الدينار ايمانا فيخرج اولئك حتى لا يبقى منهم احد ثم يشفع الله عز وجل
فيقول اخرجوا من وجدتم في قلبه ثلثي دينار نصف دينار ثلث دينار
ربع دينار ثم يقول قيراط ثم يقول حبة من خردل فيخرج اولئك حتى لا
يبقى منهم احد وحتى لا يبقى في النار من عمل لله خيرا قط فلا يبقى احد له شفاعة
الا شفع حتى ان ابليس يتطاول مما يرى من رحمة الله عز وجل رجا
ان يشفع له يقول عز وجل بقيت انا ارحم الراحمين فيدخل يده عز وجل
في جهنم فيخرج منها من لا يحصيه غيره كانهم حمم فيلقيهم على نهر يقال
له نهر الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ما يلي الشمس
ما اخضر وما يلي الظل منها اصفر فينبتون كنبات الطراثيث حتى
يكونوا امثال الذر مكتوب في رقابهم الجهنميون عتقاء الرحمن
يعرفهم اهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا لله عز وجل خيرا قط فيمكثون
في الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب في رقابهم ثم يقولون ربنا امح
عنا هذا الكتاب فيمحى عنهم هكذا روى الطبراني هذا الحديث
وهو حديث غريب ولكثير من متنه شواهد في الصحيح والسنن
والمسانيد والله اعلم وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم **فصل فيما على الحاكم** والمفتي
من الخطر **قال** هشام بن حسان عن محمد ابن سيرين قال قال حذيفة
انما يفتي الناس احد ثلاثة رجل يعلم ناسخ القران ومنسوخه وامير لا
يجد بدا او احمق متكلف قال ابن سيرين فانا لست احد هذين وارجوا
ان لا اكون احمق متكلفا وقال ابن عبد البر في كتاب جامع فضل
العلم باسناده الى جعفر ابن الحسين قال رايت ابا حنيفة في النوم
فقلت ما فعل الله بك يا ابا حنيفة قال غفر لي فقلت له بالعلم فقال ما
اضر الفتيا على اهلها فقلت بم قال يقول الناس في ما لم يعلم الله منه
وقال ابو عمر قال سحنون يوما انا لله ما اشقى المفتي والحاكم ثم قال
ها انا ذا يتعلم مني ما تضرب به الرقاب وتوطا به الفروج وتوخذ به
الحقوق اما كنت عن هذا غنيا وقال ابو عمر قال ابو عثمان الحداد القاضي
ايسر ماثما واقرب الى السلامة من الفقيه يريد المفتي لان الفقيه من
شانه اصدار ما يرد عليه من ساعته بما حضره من القول والقاضي
شانه الاناة والتثبت ومن تانى وتثبت تهيا له من الصواب ما لا
يتهيا لصاحب البديهة وقال غيره المفتي اقرب الى السلامة من القاضي
لانه لا يلزم بفتواه انما يخبر بها من استفتاه فان شاء قبل وان
شاء ترك والقاضي يلزم بقوله فهو من هذا الوجه خطره اشد ولهذا

جا في القاضي من الوعيد والتخويف ما لم يات نظيره في المفتي كما روى
ابو داود الطيالسي من حديث عائشة انها ذكر عندها القضاة فقالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة
فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى انه لم يقض بين اثنين في تمرة قط وروى
الشعبي عن مسروق عن عبد الله يرفعه ما من حاكم يحكم بين الناس الا وكل
الله به ملكا اخذا بقفاه حتى يقف به على شفير جهنم فيرفع راسه الى الله
عز وجل فان امره ان يقذفه قذفه فهوى اربعين خريفا وفي السنن
الاربعة من حديث ابي بردة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق
فقضى به فهو في الجنة ورجل قضى بين الناس بالجهل فهو في النار ورجل
عرف الحق فجار عنه فهو في النار وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
ويل لديان من في الارض من ديان من في السما يوم يلقونه الا من امر
العدل وقضى بالحق ولم يقض على هوى ولا على قرابة ولا على رغب ولا
رهب وجعل كتاب الله بين عينيه وفي سنن ابي داود من حديث ابي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من طلب قضا المسلمين
حتى يناله ثم غلب عدله على جوره فله الجنة ومن غلب جوره عدله فله
النار وفي سنن البيهقي من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم الله مع القاضي ما لم يجر فاذا جار تبرى الله منه ولزمه الشيطان
وفيه عن ابن ابي اوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
مع القاضي ما لم يجر فاذا جار وكله الى نفسه وفي السنن الاربعة من حديث
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من جعل قاضيا بين المسلمين فقد ذبح
بغير سكين وفي سنن البيهقي عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ويل للامرا وويل للعرفا وويل للامنا ليتمنين اقوام يوم القيامة
ان نواصيهم كانت معلقة بالثريا يتجلجلون بين السما والارض وانهم
لم يلوا عملا وعن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا ذر
اني اراك ضعيفا واني احب لك ما احب لنفسي لا تامرن على اثنين ولا
تولين مال يتيم رواه مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة
وبئست الفاطمة رواه البخاري وفي سنن ابي داود من حديث مسلم
ابن يسار قال سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال علي ما لم اقل فليتبوا بيتا في جهنم ومن افتى بغير علم كان اثمه
على من افتاه ومن اشار على اخيه بامر يعلم الرشد في غيره فقد خانه
فكل خطر على المفتي فهو على القاضي وعليه من زيادة الخطر ما يختص
به ولكن خطر المفتي اعظم من جهة اخرى فان فتواه شريعة عامة

تتعلق بالمستفتي وغيره واما الحاكم فحكمه جزئي خاص لا يتعدى الى
غير المحكوم له فالمفتي يفتي حكما عاما ان من فعل كذا ترتب عليه
كذا والحاكم يقضي قضاء معينا على شخص معين فقضاه خاص ملزم
وفتوى العالم عامة غير ملزمه فكلاهما اجره عظيم وخطره كبير
وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم وجعله من اعظم المحرمات
فقال تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي
بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون فرتب المحرمات اربع مراتب وبدا باسهلها وهو الفواحش
ثم ثنى بما هو اشد تحريما منه وهو الاثم والظلم ثم ثلث بما هو اعظم تحريما
منهما وهو الشرك به سبحانه ثم ربع بما هو اشد تحريما من ذلك كله
وهو القول عليه بلا علم وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في اسمائه
وصفاته وافعاله وفي دينه وشرعه نعوذ بالله ان نقول عليه ما لا
نعلم **فصل في التحذير من مخالطة الاغنيا** والسلطان وبالله
المستعان روى الامام الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب السنن الكبير
باسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم من امام عادل افضل من عبادة ستين سنة وحد يقام في الارض
بحقه ازكى فيها من مطر اربعين يوما وروي باسناده عن انس ابن مالك

عن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان
فلا تدخلها فانما السلطان ظل الله ورمحه في الارض **وروي** باسناده
في باب فضل الامام العادل عن مالك ابن انس عن زيد ابن اسلم عن ابيه
قال قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قبل موته اعلموا ان الناس لم
يزالوا بخير ما استقامت لهم ولاتهم وهداتهم **وفيه** ايضا عن انس ابن عياض
قال سمعت ابا حازم يقول لا يزال الناس بخير ما لم تقع هذه الاهوى في
الحكام هم الذين يذبون عن الناس فاذا وقعت فيهم الاهوى فمن يذب
عنهم **وفيه** ايضا من حديث الزهري حدثني عامر ابن واثلة الليثي قال
قدم رجل من اهل تيما على عبد الملك ابن مروان وهو رجل من اهل الكتاب
فقال يا امير المومنين ان ابن هرمز ظلمني واعتدى علي فلم يرد عليه عبد
الملك شيا ثم عاد ثانية في الشكاية على ابن هرمز فلم يرجع اليه عبد الملك
شيا فقال الكتابي وغضب يا امير المومنين انا نجد في التوراة الذي انزلها
الله عز وجل على موسى ابن عمران انه ليس على الامام من جور العامل وظلمه
شي ما لم يبلغه ذلك من ظلمه وجوره فاذا بلغه فاقره شركه في ظلمه وجوره
فلما ذكر ذلك نزع ابن هرمز من عمله **وفيه** ايضا عن عمر ابن الخطاب رضي
الله عنه قال ارايتم ان استعملت عليكم خير من اعلم ثم امرته بالعدل افقضيت
ما علي قالوا نعم قال لا حتى انظر في عمله اعمل بما امرته ام لا **وفيه** ايضا عن

عن عبيدة ابن الجراح وابي ثعلبة ومعاذ ابن جبل رضي الله عنهم عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله بدأ هذا الامر نبوة ورحمة وكاينا خلافة ورحمة وكاينا
ملكا عضوضا وكاينا عتوا وجبرية وفسادا في الارض وقال في الامة
يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون
حتى يلقوا الله عز وجل وقد روي هذا الحديث ابو داود الطيالسي
في مسنده عن هؤلاء الصحابة باسناد لا باس به وكذلك رواه غيره
قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هو مسنده في نفسه وقد
ظهر اكثره وقد ذكره ابن كثير في بدايته فقال وقال ابو داود الطيالسي
حدثنا جرير ابن حازم عن ليث عن عبد الرحمن ابن سابط عن ابي ثعلبة
الخشني عن ابي عبيدة ابن الجراح ومعاذ ابن جبل عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الله بدأ هذا الامر نبوة ورحمة فذكر الحديث كما تقدم
وروى البيهقي من حديث عبد الله ابن الحرث ابن محمد حاطب الجمحي عن
سهيل ابن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يكون بعد الانبيا خلفا وملوك ياخذون بالثار ويقتلون
الرجال ويصطفون الاموال فمغير بيده ومغير بلسانه ومغير بقلبه
وليس وراء ذلك من الايمان شي ثم روي عن القسم ابن مخيمرة قال انما
زمانكم سلطانكم فاذا صلح سلطانكم صلح زمانكم واذا فسد سلطانكم

فسد

فسد زمانكم وقد ذكر ابن الجوزي وابن عساكر وابن كثير بالاسناد الي
انس ابن مالك رضي الله عنه قال العلما امنا الرسل ما لم يخالطوا السلطان
ويدخلوا في الدنيا فاذا خالطوا السلطان ودخلوا في الدنيا فاحذروهم
علي دينكم قال وقد رواه ابن جرير وابن ابي حاتم مرفوعا وروى البيهقي
باسناده عن حذيفة انه قال اياكم ومواقف الفتن قيل وما مواقف الفتن
قال ابواب الامرا والاغنيا وروي الامام احمد ابن حنبل عن ابن مسعود
قال ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج عنه وليس معه
دين قيل كيف ذاك قال يقول فيه ويرضيه بما يسخط الله وقال الفضيل
وابو سليمان الذي يصلي الفرايض ولا يزيد عليها ولا يخالط الامرا والاغنيا
عندنا افضل من الذي يقوم الليل ويصوم النهار ويخالطهم وروي
البيهقي وابو نعيم عن سفين الثوري قال اذا رايت القاري يختلف الي
الاغنيا فاعلم انه مرايي واذا رايته يختلف الى السلطان فاعلم انه لص
وذكر ابن ابي الدنيا وغيره عن ابي هريرة قال اضر شي بدين هذه
الامة ثلاثة اشيا حب الدنيا وحب الرياسة واتيان باب السلطان
وقد جعل الله مخرجا وروى ابن جرير وابن ابي الدنيا عن مكحول قال
من تعلم القران وتفقه في الدين ثم اتي باب السلطان واتيا الدنيا طمعا
فيما في ايديهم فقد خاض في نار جهنم بعدد خطاه وفي رواية فقد

خاض غمرة جهنم وقال ميمون ابن مهران في صحبة السلطان خطران
عظيمان ان اطعته خاطرت بدينك وان عصيته خاطرت بنفسك والسلامة
من ذالك ان لا تعرفه ولا يعرفك وروي الحسن مرفوعا لا تزال يد الله
على هذه الامة ما لم يعظم ابرارها فجارها وما لم تمال علماؤها امراها وما
وما لم يهن اشرارها اخيارها فاذا فعلوا ذالك رفع الله عز وجل يده
عنهم ورفع عنهم البركة وسلط عليهم جبابرتهم واشرارهم وانزل بهم الفاقة
وروى مالك عن عيسى عليه السلام قال ان الملوك قد اشتغلوا بدنياهم
عن دينكم فاشتغلوا بدينكم عن دنياهم وقد نظمه بعض الشعراء

ارى الملوك باذنى الدين قد قنعوا وما اراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغني بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا ينازعنكم
فيها الا الملوك والنسا فاما الملوك فدعوهم ودنياهم واما النسا فاستعينوا
عليهن بالصوم والصلاة وقد روى البيهقي وغير واحد ان عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه استعمل بشر ابن عاصم الثقفي على صدقات هوازن فتخلف عنها
فلقيه عمر فقال له ما خلفك عن عملك قال خلفني اني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من ولي امرا من امر الناس اتي به يوم القيامة حتى
يوقف على شفير جهنم فان كان محسنا نجا وان كان مسيئا انخرق به الجسر

فهوى

فهوى في جهنم سبعين خريفا فخرج عمر باكيا حزينا فلقيه ابوذر فقال ما لي
اراك باكيا حزينا فقال وما يمنعني وقد سمعت بشر ابن عاصم يقول كذا وكذا
فقال ابوذر اما سمعته ذالك قال لا فقال ابوذر اشهد اني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولي من امر الناس شيئا اتي به يوم القيامة
حتى يوقف على جسر جهنم فان كان محسنا جاز وان كان مسيئا انخرق
به فهوى في نار جهنم سبعين خريفا وهي سوداء مظلمة وقد رواه احمد
والطبراني وقد روى الامام احمد عن زاذان قال كنا مع عبد الله ابن
مسعود فرأى الناس يتحملون ويتنقلون فقال لهم قيل يفرون من الطاعون
فقال عبد الله ابن مسعود يا طاعون خذني يا طاعون خذني فقيل له
لم تدعو بالموت وقد علمت ما جاء في النهي عن ذالك فقال اخوف خصال
ستة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوفهن على امته فانا اخوفها
قيل وما هن قال امارة السفها وكثرة الشرط والرشوة على الحكم وقطيعة
الرحم والاستخفاف بالدما او قال بالدين ونشو يتخذون هذا القرآن
مزامير يقدمون الرجل في محافلهم يغنيهم به وليس بافقههم ولا باخشعهم
الا ليغنيهم به فليس في اولئك من خير ومر الحسن على باب ابن هبيرة
فرأى القرا وكانوا هم الفقها فقال طفحتم نعالكم وبيضتم ثيابكم ثم اتيتم الى
ابوابهم تسعون ثم قال لاصحابه ما ظنكم او قال اياكم وهولا الحلا

ليس مجالسهم من مجالس الاتقيا وانما مجالسهم مجالس الشرط وروى ابن
ابي الدنيا مرفوعا اياكم ومجالسة الاغنيا وعلما الامرا وقرا الاسواق
وقال الضحاك اني لا تقلب ليلي كله على فراشي التمس كلمة ارضي بها السلطان
ولا اسخط بها الرحمن فما اقدر عليها ولكن ان ارضيت السلطان اسخطت
الرحمن وان ارضيت الرحمن اسخطت السلطان وقال ابن عباس اجتنبوا
ابواب السلطان والاغنيا فانكم لا تصيبوا من دنياهم شيا الا اصابوا
من دينكم ما هو افضل منه ذكره البيهقي وقال ابن شبرمة لعيسى ابن
موسى ما لك لا تاتيني وقد جاني كبار الناس والعلما فقال وما اصنع باتيانك
ان ادنيتني فتنتني وان ابعدتني احزنتني وما عندي ما اخافك من اجله
وما عندي ما ارجوك له وقال بعض السلف دخولك على الملوك واهل
الدنيا يدعوك الى ثلاثة اشيا لا محيد لك عنها ايثارك رضاهم على
طول المخالطة لهم وتعظيمك دنياهم وتزكيتك اعمالهم مع ترك الانكار عليهم
واستصغارك ما انعم به عليك في جنب ما اوتوه وروى الامام احمد عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتى ابواب السلطان
افتتن وما ازداد عبد من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا وقال
محمد ابن واسع لقضم القصب وسف التراب خير من ان توالي ابواب
السلطان ومن دعا لظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله في الارض لان

الظلم من اعظم المعاصي وان الله ليغضب اذا مدح الظالم او الفاسق ؛
واعلموا يا ارباب الولايات انكم على خطر عظيم وانكم مسؤلون عن القليل
والكثير قد ارتهنتكم الولاية بحقوقها وانتم مطالبون ببرها وعقوقها
فان عدلتم سعيتم للنفوس في فكاكها وان جرتم ملتم بها الى هلاكها
قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن ابن سمرة لا تسال الامارة فانك
ان اعطيتها عن مسلة وكلت اليها وان اعطيتها من غير مسلة اعنت عليها
وهذا في الصحيحين وفيهما من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته والامير الذي على الناس راع
عليهم وهو مسؤل عنهم وفي افراد مسلم من حديث عايشة عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال اللهم من ولي من امر امتي شيا فشق عليهم فاشقق عليه
ومن ولي من امر امتي شيا فرفق بهم فارفق به وروى معقل ابن يسار عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يسترعي الله تعالى عبدا رعية يموت يوم
يموت وهو لها غاش الا حرم الله عليه الجنة وفي لفظ لم يحطها بنصيحة لم
يرح رايحة الجنة وفي لفظ ما من امير يلي امر المسلمين ثم لم يجتهد لهم الا
لم يدخل معهم الجنة وروى ابو مريم الازدي عن النبي صلى الله عليه
عليه وسلم انه قال من ولاه الله شيا من امور المسلمين فاحتجب دون
حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره وروى

ابو ذر قال قلت يا رسول الله الا تستعملني فضرب بيده على منكبي ثم قال يا
ابا ذر انك ضعيف وانها امانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من
اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها وروى ابو امامة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ما من رجل يلي امر عشرة فما فوق ذلك الا اتى الله عز
وجل يوم القيامة مغلولا يده الى عنقه فكه بره او اوبقه اثمه اولها
ملامة واوسطها ندامة واخرها خزي يوم القيامة وعن ابي وايل ان
عمر ابن الخطاب بعث بشر ابن عاصم على الصدقات فقال يا عمر سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو يحدث من ولي للمسلمين سلطانا
وقف يوم القيامة على جسر جهنم فيتزلزل به الجسر فان كان محسنا نجا
وان كان مسيا خرق به الجسر فهوى في قعرها فانصرف عنه عمر كيبا
حزينا فلقيه ابو ذر فقال يا عمر ما لي اراك كيبا حزينا فقال وما يمنعني
وقد سمعت بشر ابن عاصم يحدث بكذا وكذا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما سمعت ذلك قال لا قال اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما من وال ولي للمسلمين سلطانا الا وقف يوم القيامة على جسر
جهنم فيتزلزل به الجسر حتى يزول كل مفصل عن حقه فان كان محسنا
نجا وان كان مسيا انخرق به الجسر فهوى في قعرها سبعين خريفا فاي
الحديثين اوجع لقلبك يا عمر قال كل قد اخزني فمن ياخذها بما فيها

واعلم انما اصعب امر الولاية لخوف ترك العدل والميل الى الظلم وفي
الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دعوة
المظلوم تحمل على الغمام ويفتح لها ابواب السما ويقول الرب تبارك
وتعالى لانصرنك ولو بعد حين قال ابو الدردا تصعد دعوة المظلوم
الى السما كشرار النار يفتح ابواب السما وعن عاصم ابن شقيق عن عبد
الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل امر بعبد من عباده
ان يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسال ويسال حتى صارت جلدة
واحدة فامتلا قبره عليه نارا فلما سري عنه فافاق قال لم جلدتموني قالوا
انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره والحمد لله رب
العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن
باب للحما البارده يكتب على ثلاث كسر خبز بسم الله الرحمن الرحيم
انا لي الازل من قبل الازل ولم يزل يطع للحموم كل يوم واحده وبالله الاعانه
شعر الخير اجمع في السكوت وفي ملازمة البيوت
فاذا استوى لك ذا وذا فاقنع له باقل قوت شعر
ويظهر عيب المر في الناس بخله ويستره عنهم جميعا سخاوه
تغطى باثواب السخا فانني ارى كل عيب والسخا غطاوه

طعام اولنده اوقيه
اللهم بارك لنا فيه
وارزقنا خيراً منه

اكر سود ييرايسه ورزقنا
ييوبنه وزدنا ديه ذريعة الطعام

احصوا ما قتل الحجاج فبلغ
مائة الف وعشرين الفا
من المصابيح

عدة اوراقه ١٩٨

ملك الفقير
محمد اسماعيل
البلبيسي
سنة ١١٩١

٩٧